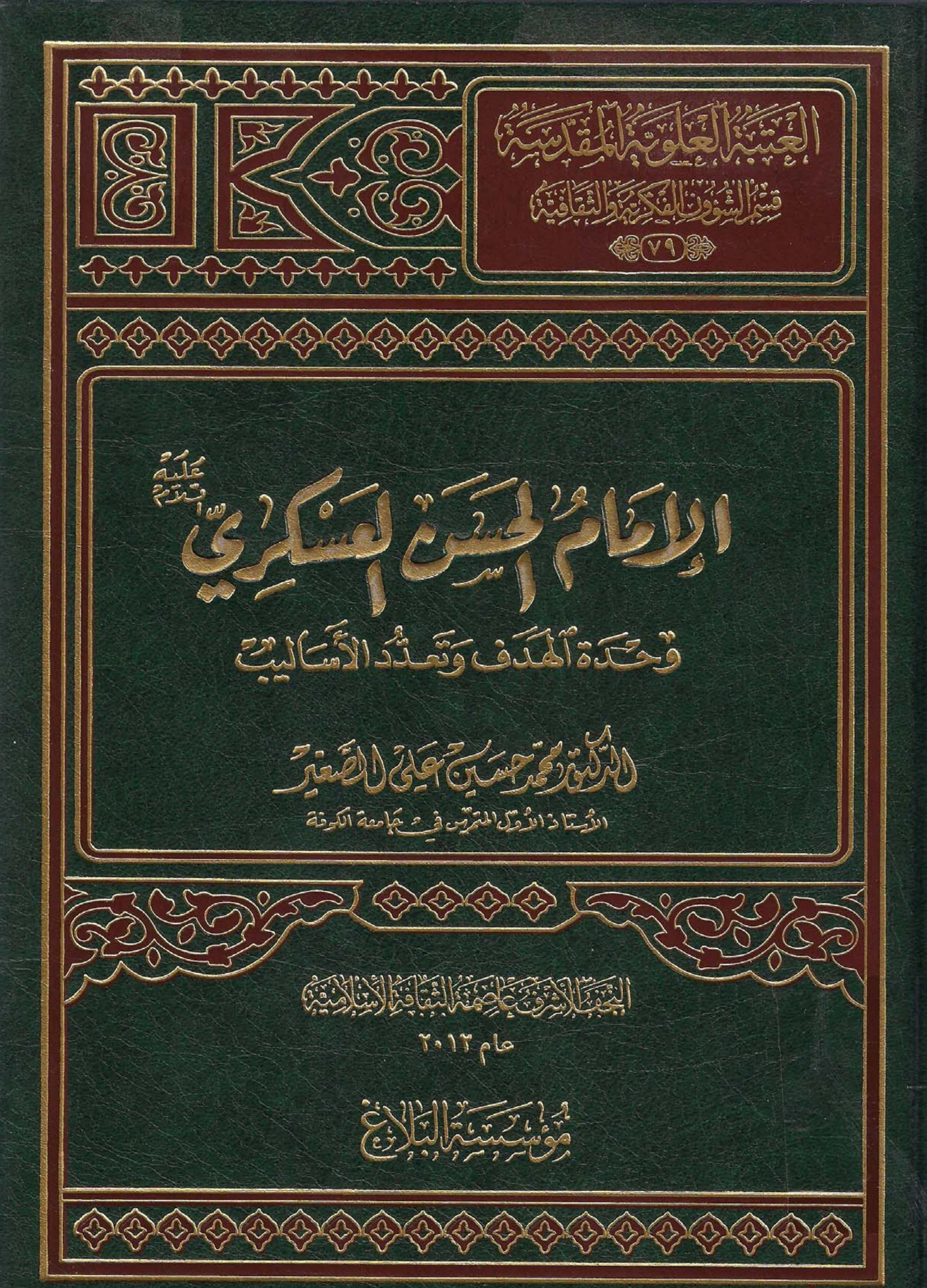
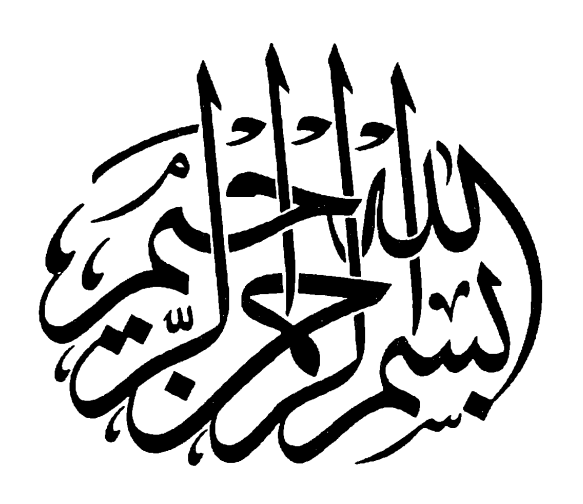


العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
٧٩
الإمام الحسن العسكري عليه السلام
وحدة الهدف وتعدد الأساليب
الدكتور محمد حسين علي الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة
النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠١٢
مؤسسة البلاغ



الإمام الحسن العسكري عليه السلام

وحدة الهدف وتعدد الأساليب



العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
(٧٩)

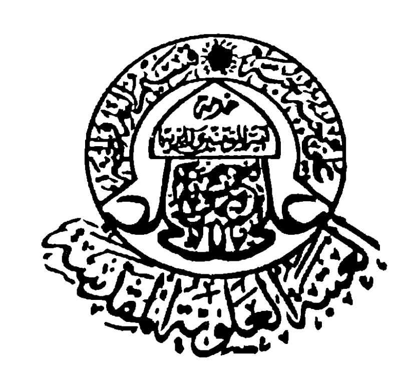
الإمام الحسن العسكري عليه السلام

وحدة الهدف وتعدد الأساليب

الدكتور محمد حسين علي الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة

النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠١٢

مؤسسة البلاغ



www.imamali-a.net
info@imamali-a.net

الإمام الحسن العسكري عليه السلام

وحدة الهدف وتعدد الأساليب

المؤلف: الدكتور محمد حسين علي الصغير

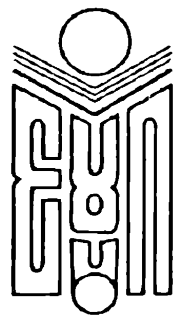
الناشر: العتبة العلوية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الإخراج الفني: محسن اليوسفي

الطبعة الأولى

تاريخ الطبع: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

التنفيذ الطباعي



مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب مركز التعاون الاسلامي - بناية حطيط
ص.ب: ١١-٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠-١١٠٧ - هاتف: (٠٢/٥١٤٩٠٥) - تلفاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان
الموقع الإلكتروني: www.albalagh-est.com
E-mail: Albalagh-est@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الأول قبل كل أول، والآخر بعد كل آخر، واشهد إن لا اله إلا الله شهادة يوافق فيها السر الإعلان، والقلب اللسان، وصلى الله على رسوله محمد الذي بعثه رحمة للعالمين وعلى آله الغر الميامين الذين من سبقهم ضلّ ومن تأخر عنهم هلك، لاسيما وصيه ووزيره أمير المؤمنين عليه السلام.

ما اعتادت الدنيا ان ترى الأفذاذ في كل أدوارها.. لذا كان ظهورهم فيها حدثا خطيرا وامرا جسيما، ومن أولئك الأفذاذ المصلحين: خاتم الانبياء محمد وعترته الطيبين الطاهرين.

وقد يصعب على الإنسان الخوض في هذه الشخصيات الإسلامية الفذة والفريدة التي تمثلت فيها جميع المثل الإنسانية العليا، لما لها من منزلة سامية ومكانة محفوفة برضوان خالقها وموجدها، فهم اختصوا بمعرفة الله تعالى التامة دون سواهم، ونالوا رتبا عالية رفعتهم عن سائر المخلوقين، حتى روي عن الرسول الأعظم صلى الله عليه واله انه قال: (يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت ولا يعرفك إلا الله وانا) فكيف ترتقي لوصفهم الأقلام، وتصف أسرار تلك النفوس الزكية.

لقد كان في كل صفة من صفاتهم معجزة.. فأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين آية من آيات الله العظمى، فهم اصل الدين وفرعه

ومعدنه ومنتهاه، بهم بدأ الله وبهم يختم.

وهذه الموسوعة الإسلامية الخاصة بآل البيت عليهم السلام لمؤلفها الاستاذ الأول المتمرس الدكتور محمد حسين بن الشيخ علي الصغير ما هي الا نفحة من النفحات العطرة عن هذا البيت النبوي الطاهر، وعرفانا من العتبة العلوية المقدسة لهذه الجهود الكبيرة في تأليف هذه الموسوعة، قامت الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة باعادة طباعة هذه الموسوعة ونشرها للقراء الكرام اثراء للمكتبة الإسلامية في نشر فكر وتراث اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين.. والله من وراء القصد.

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
النجف الأشرف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقلّد الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام منصب الولاية الإلهية، وتسنّم سدّة الإمامة الكبرى في فترة عصيبة من تأريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهو الإمام الحادي عشر الذي يطلّ على تباشير ميلاد الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

وكان هذا الإرهاص إيذاناً بإثارة هواجس البلاط العباسي والظالمين، فولده هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، والعباسيون يعرفون ذلك جيداً بما صحّ لديهم من روايات!! وهو ما يقضّ مضاجعهم ويطوح بأحلامهم، فهم الظَلَمَة وهم الجائرون؛ وهذا ما يجعلهم يعيشون حياة الرعب والقلق والاضطراب.

وكان لابد في لغة السياسة الغاشمة ـ والحالة هذه ـ من ضرب الحصار الأمني على الإمام ومتابعة تحركاته، وتطويقه برقابة صارمة، وعرضه على السجون والمعتقلات الرهيبة، وفرض تواجده في دار العامة وهي البلاط العباسي، وذلك لرصده ذاتياً من قريب، وإحصاء أنفاسه عليه، وقد تمّ ذلك، فحرم أولياؤه من الالتقاء به إلا قليلاً، فأوحى بنيابة الوكلاء، وأصّل لمرجعية الفقهاء، وأوصى بانتظار الفرج، وسلك

منهجاً جديداً في التمهيد التدريجي لولده الإمام المنتظر بفكر جديد، واستراتيجية منظمة، والتمس خطاً متوازناً في الأداء فجلب الأعداء إلى حضيرة الأولياء، ونصب نفسه علماً للشريعة الغراء، وقيّماً أميناً على شؤون الإسلام، ومناراً شاخصاً للفقاهة والمعارف والإفتاء، وصكّ الحكم بعنصر اللمح الغيبي تارة، والتخطيط السري تارةً أخرى، فتكامل له فرض مشروعة الإلهي بما ظهر من علمه، وما برز من ورعه وفضله، وما انتشر من برّه ونبله، مما سارت به الركبان رغم قصر حقبة إمامته، واستشهاده في ريعان الشباب.

وكان استنفار القوى الأمنية في مواجهة الإمام، قد حدّد نشاطه الإنساني في شتى المجالات، فاضطر الإمام في قيادته إلى ابتكار أساليب متطوّرة زمنياً بالنسبة لعصره، تعددت مستوياتها، وتنوعت وجهاتها، مع الاحتفاظ بأصل وحدة الهدف الرسالي تبعاً لآبائه وأجداده من الأئمة المعصومين.

وقد أحرز الإمام الحسن العسكري عليه السلام قصب السبق في هذه الغاية، وحقق النصر المستقبلي الكبير في هذا التخطيط، بما أوحى أن يكون عنوان هذا الكتاب:

«الإمام الحسن العسكري / وحدة الهدف.. وتعدد الأساليب».

وقد حدب البحث على دراسة هذه الأطروحة الفريدة للإمام، واستطاع ـ بكل تواضع ـ أن يبرهن على صدقها في نماذج حيّة من خطوات الإمام، وأن يبرزها في مشاهد من تطلعاته النافذة، وأن يثبتها في ظواهر آرائه النيّرة.

وكان لابد من عرض موجز لسيرته العطرة، وخلاصة عن حياته مع سلاطين عصره، وإلقاء الضوء على مشكلات زمانه، واقتطاف بعض

الثمرات من روافد معارفه، وهذا ما اقتضى أن ينتظم البحث في ستة فصول منهجية العرض، موضوعية الأداء، كالآتي:

الفصل الأول، وهو بعنوان: (شذرات ثمينة من السيرة العطرة)

اشتملت على سبعة مباحث وبضمنها تفريعاتها، وهي:

- النسب الشريف والولادة والكنى.
- النشأة الرائدة.
- النصّ على إمامته.
- الإمام الحسن العسكري في ظواهر ذاتية.
- الإمام في الرأي الآخر.
- الإمام في لغة التأريخ وألسنة الرواة.
- وللمعاصرين آراؤهم في الإمام.

وكان الفصل الثاني بعنوان «عصر الإمام الحسن العسكري» وقد اشتمل على خمسة مباحث وبضمنها تفريعاتها، وهي:

- تداعي هيبة الحكم.
- حياة اللهو والعبث والاستئثار، وإنكار الإمام.
- الاضطهاد السياسي.
- موجات الإنحراف والأفكار الوافدة.
- مجابهة الإمام العسكري للتضليل العقائدي.

وكان الفصل الثالث بعنوان: «الإمام وملوك العصر العباسي»

وقد اشتمل على خمسة مباحث وبضمنها تفريعاتها، وهي:

- الإمام والخط العباسي العام.
- الإمام في ولاية المعتز العباسي.
- الإمام في أيام المهتدي العباسي.
- الإمام في عهد المعتمد العباسي.

وكان الفصل الرابع بعنوان: «الإمام العسكري يمهّد لولده الإمام المنتظر»

وقد اشتمل على خمسة مباحث وبضمنها تفريعاتها، وهي:

- طبيعة التمهيد التدريجي للإمام المنتظر.
- التخطيط الاستراتيجي لإعلان ميلاد الإمام المهدي.
- نيابة الوكلاء عن الإمام.
- تأصيل مرجعية الفقهاء.
- فلسفة انتظار الفرج.

وكان الفصل الخامس بعنوان: «صفحات مشرقة من تراث الإمام»

وقد اشتمل على سبعة مباحث، هي:

- موارد علم الإمام العسكري.
- تلامذة الإمام العسكري ودورهم الإيجابي.
- وصايا الإمام ورسائله الرائدة.
- الإمام يدفع الشبهات بإفاضاته القيّمة.
- في رحاب التفسير.
- في ميادين الفقه.

- الألفاظ الجارية مجرى الأمثال في تراث الإمام.

وكان الفصل السادس بعنوان: «استشهاد الإمام الحسن العسكري».

وقد اشتمل على أربعة مباحث، وثلاث قصائد للمؤلف في الإمام، وهي:

- اغتيال الإمام مسموماً.
- إجراءات النظام العباسي.
- الحقيقة التأريخية في تجهيز الإمام.
- ما بعد وفاة الإمام العسكري.
- قصائد المؤلف في الإمام.

وكانت مصادر هذا الكتاب ومراجعه تشمل كتب الحديث والرواية، وتنتظم موارد التأريخ والسيرة، وتفيد من صفحات الأدب وعلم الكلام.

وكان البعد العلمي في رصد الأحداث ومؤثرات التأريخ وإشكالية الظروف رائد هذه الدراسة بدقة وموضوعية، بعيداً عن الأحكام المرتجلة، قريباً من الواقعية، وفي منأى عن الجدل العقيم والانفعال الذاتي.

وكان المنهج التحليلي لمظاهر السياسة والتأريخ والاجتماع سبيل هذا البحث في استقراء حقائق الأحداث خاضعة للنقد والمقارنة والاستنباط، مما جعل المهمة صعبة المراس في مواجهة البعد الرسمي لتدوين التأريخ المناهض لمشروع أهل البيت جملة وتفصيلاً.

أرجو أن أكون موفقاً في الاختبار، ودقيقاً في الحكم، محايداً في الاستنتاج، عسى أن أفي حقّ هذا الإمام العظيم في جزء من معالمه الكبرى، وما لا يدرك كلّه، لا يترك كلّه.

وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

النجف الأشرف

محمد حسين علي الصغير

الفصل الأول

شذرات ثمينة من السيرة العطرة

١. النسب الشريف والولادة والكنى.

٢. النشأة الرائدة.

٣. النصّ على إمامته.

٤. الإمام الحسن العسكري في ظواهر ذاتية.

٥. الإمام في الرأي الآخر.

٦. الإمام في لغة التأريخ وألسنة الرواة.

٧. وللمعاصرين آراؤهم في الإمام.



النسب الشريف والولادة والكُنى

الإمام الحسن العسكري بن الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين سيد الشهداء بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هذا الإمام العسكريُّ.. وذكره الأرجُ النديُّ.. ورَوحُهُ الأشذاءُ وهو الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وكان مولده المبارك في رحاب مدينة جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.[1]

واختلف في يوم ولادته والشهر والسنة، على عادة المؤرخين في إهمال أهل البيت، وإغفال وقائعهم وأيامهم، وتهميش دورهم المشرف في تأريخ الإسلام عمداً، أو سهواً أو خوفاً.

إلا أن الأشهر تحقيقاً، والأرجح تدويناً، والأخصّ توثيقاً، أنه

(١) ظ: المسعودي/ إثبات الوصية / ٢٠٥ + الشيخ المفيد / الإرشاد / ٣٧٧ + الشيخ الطوسي / التهذيب ٦ /٩٢ + الطبرسي / إعلام الورى ١٣١/٢ + الكنجي الشافعي / كفاية الطالب / ٣١٢ + ياقوت الحموي / معجم البلدان ١٧٥/٦ + الأربلّي/كشف الغمة ٢٢٦/٣ + المجلسي / بحار الأنوار ٢٣٥/٥٠ ـ ٢٣٧ + الشبلنجي / نور الأبصار /١٣٥ + الجواهري النجفي/ جواهر الكلام ٩٩/٢٠.

ولد في يوم الجمعة الثامن من شهر ربيع الآخر عام ثلاثين ومائتين من الهجرة النبوية، لما ثبت الاستقراء والتدقيق أن عمره يوم وفاته كان ثماني وعشرين سنة.

وقد أجمعوا أن وفاته كانت لثمان خلون من ربيع الأول.

وعلى هذا فتكون إقامته مع أبيه الهادي ثلاثاً وعشرين سنة، وإمامته بعده ست سنين تقريباً ليس غير.

وأمه يقال لها «حديث» وقيل سليل.(١)

ومهما يكن من أمر في شأن تأريخ ميلاده الشريف، فقد ابتهجت فصائل الأمة بأغلبيتها ـ عدا العباسيين ـ بإشراقة هذا الفجر الصادق، وإطلالة هذا الغصن الندي، واغتبطت أطياف المجتمع الإسلامي المتحفز بهذا الوليد الجديد: سليل النبوة وعقيد الإمامة، فغمرت البهجة الآفاق، وعمت الفرحة العارمة مشارق الأرض ومغاربها، كيف لا؟ وهو ثمرة محمد وعلي من تلك الشجرة المباركة التي احتضنت الوحي في آياته، واعتنقت التنزيل غضاً ندياً، وستبقى معه ما كرّ الجديدان حتى القيامة.

وأجرى أبوه الإمام علي الهادي عليه السلام السنن الشرعية ومراسم الاستحباب في العقيقة والحلق والتصدق والأيلام للأولياء والأصفياء والفقراء، كما نصت على ذلك ـ جملة وتفصيلاً ـ التعليمات الإسلامية التي تعهدت الإنسان في مراحل حياته وهو جنين فوليد فصبي فشاب...

---

(١) ظ: في تفصيل ذلك والجمع بين الأقوال على سبيل المثال: الكليني / الكافي ٥٠٣/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٧٧ و٣٨٩ + الطوسي / التهذيب ٩٢/٦ + ابن شهراشوب / المناقب ٤٥٧/٢ + الطبرسي / إعلام الورى / ٣٤٩ + ابن خلكان / وفيات الأعيان ٣٧٢/١ + ابن الصباغ / الفصول المهمة / ٣٧٢ + الأربلّي / كشف الغمة ١٩٩/٣ + ابن طولون / الأئمة الاثنا عشر /١١٣ + ابن حجر / الصواعق / ١٢٤ + القندوزي / ينابيع المودّة / ٣٣٦ + حيدر الحسني / عمدة الزائر / ٣٢٧ وسواها.

حتى الموت وما وراء الموت من متعلقاته وشؤونه في الميراث والوصية، وقضاء فوات الواجبات وسوى ذلك مما هو مفصّل في كتب الفقه.

ومن أولى من الإمام الهادي عليه السلام في إقامة سنن الشرع وإجراء المأثور لهذا الوليد الذي انتظره لحمل ثقل الإمامة وأداء الأمانة، والنهوض بقيادة الأمة، وقد كان طبيعياً استقبال «هذا الوليد المطهّر ابن المطهّرين بمثل تلك الحفاوة الكبيرة والبهجة الغامرة لِعَلَم آل محمد بكونه الكوكب الحادي عشر من كواكب سماء العترة المحمدية، والحلقة الجديدة الموصولة من حلقات تلك السلسلة الذهبية، واللبنة الصلبة الداخلة في كيان الإمامة الدينية، والغريسة الزهراء الناضرة من غرائس روضة النبوة الثابتة الأصول في أرض الوحى، والممتدة الفروع في قمم المجد والخلود، فأيّ وليد من مواليد الناس ينافسه في ذلك كلّه؟ وأية فرحة من أفراح الدنيا ترقى إلى مستوى الابتهاج بهذه المناسبة الغراء»؟[١]

وقد كناه الإمام الهادي بأبي محمد ليقترن اسمه والكنية باسم وكنية الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وليصبح فيما بعد أبا محمد الحسن الثاني.[٢]

وكان أشهر ألقابه على الإطلاق: «العسكري» وهو الذي ترويه مصادر دراسته أجمع، وأصل هذه التسمية سكناه ـ لدى انتقاله مع أبيه الإمام علي الهادي إلى سامراء ـ في محلة تسمى «العسكر» وقد وثق ذلك الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) فيما رواه سماعاً من مشايخه: أن المحلة التي كان يسكنها الإمامان علي بن محمد الهادي وابنه الحسن العسكري عليهما السلام بسرّ من رأى كانت تسمى «عسكر» فلذلك قيل لكل

---

(١) محمد حسن آل ياسين / الإمام الحسن بن علي العسكري /١٨.

(٢) ظ: مصادر ترجمته كافة.

واحد منهما: العسكري.[(١)]

كما أن سامراء بعامة قد تسمى بذلك أيضاً لنزول عسكر المعتصم فيها بعد أن اتخذها عاصمة لملك بني العباس حتى حين، وذلك من باب تسمية الكل باسم الجزء.

وهذا اللقب أبرز ألقابه الملتصق ذكره باسمه الشريف، فيقال «الحسن العسكري» وذلك طيلة حياته حتى الآن.[(٢)]

قال السيد الأمين: «وكان هو وأبوه وجده يعرف كل منهم بابن الرضا»[(٣)] وذلك لاستطالة اسم الإمام الرضا عليه السلام في الآفاق.

ولم يكن العسكري هو لقبه الوحيد، إذ للإمام ألقابه المتميزة الأخرى التي تحكي معالم شخصيته الفذة في أبعاد عديدة، منها:

الخالص / الهادي / النقي / التقي / الفاضل / العالم / الزكي / المرضي / الفقيه / الرجل / الأمين / الميمون / الصامت / الرفيق / الصادق / الناطق عن الله / المرشد إلى الله / الأمين على سر الله / ولي الله / المؤمن بالله / السراج المضيء.[(٤)]

---

(١) الصدوق / علل الشرائع / ٢٤١.

(٢) ظ: الخطيب البغدادي / تأريخ بغداد ٣٦٦/٧ + ابن الجوزي / المنتظم ٢٢/٥ + ياقوت / معجم البلدان ١٧٥/٦ + ابن الأثير / الكامل ٣٧٣/٥ + الكنجي الشافعي / كفاية الطالب ٣١٢ + ابن خلكان / وفيات الأعيان / ٣٧٢/١ + ابن ثغري بردي / النجوم الزاهرة ٣٢/٣ + أبو الفدا / التأريخ ٤٥/٢.

(٣) محسن الحسيني الأمين العاملي / المجالس السنية ٣٣٩/٥.

(٤) ظ: الصدوق / كمال الدين ٣٠٧/١ + ابن طلحة / مطالب السؤول ٧٨/٢ + ابن شهراشوب / المناقب ٤٥٧/٢ + ابن الصباغ / الفصول المهمة / ٢٦٦ + الأربلّي / كشف الغمة ١٩٦/٣ + ابن حجر / الصواعق المحرقة / ١٢٤ + الحر العاملي / إثبات الهداة ٤٦٩/١ ـ ٥٤٤ ـ ٦٥١ + المجلسي / البحار ٢٣٦/٥٠.

ولكل من هذا الألقاب بطبيعة الحال موضوعيتها المحددة في الدلالة على صفة من صفاته المثلى، وخصيصة من خصائصه الكبرى.

وكان نقش خاتمة: «سبحان من له مقاليد السماوات والأرض»[(١)]

وكانت صفته في اللون بين السمرة والبياض على ما روي.[(٢)]

وانفرد صاحب المناقب بالقول إنه: شديد اللون والأدمة[(٣)] بينما وصفه بعامة صفة مشاهدة وعيان ميداني معاصرة الوزير أحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان فقال: «كان رجلاً أسمر اللون، جميل الوجه، جيّد البدن، حدث السن، له جلالة وهيئة حسنة»[(٤)].

ولدى اكتمال معالم الرجولة، وبلوغ الإمام أول مدارج الشباب، اختار له أبوه الإمام الهادي عليه السلام ـ وبصورة سرّية مشدَّدة إحدى الجواري المثليات، وهي السيدة الجليلة الفاضلة «نرجس» في أغلب الروايات.[(٥)] وقيل اسمها «صقيل»، وقيل «حكيمة» وقيل «سوسن» وقيل «ريحانة»[(٦)] ولعل بعضها صفات مستلّة من سيرتها العطرة، أو أن ذلك كان للتعمية

---

(١) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة / ٢٨٥.

(٢) ظ: ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة /٢٦٧ + المجلسي / بحار النور ٢٣٨/٥٠ + الشبلنجي / نور الابصار / ١٥٣.

(٣) ظ: ابن شهراشوب / المناقب ٤٦٦/٢.

(٤) ظ: الكليني / الكافي / ٥٠٣/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٧٧ + القطب الراوندي / الخرائج والجرائح ٩٠١/٢ + الأربلّي / كشف الغمة ٢٠٢/٣.

(٥) ظ: المفيد / الإرشاد / ٣٩٠ + الأربلّي / كشف الغمة ٢٤٣/٣ + ابن خلكان / وفيات الأعيان ٣١٦/٣ + الذهبي / سير أعلام النبلاء / ١٢١/٣ + ابن الصباغ / الفصول / ٢٧٤ + الداودي النسابة/ عمدة الطالب / ١٨٨ + ابن طولون / الأئمة الاثنا عشر / ١١٧ +، وسواها.

(٦) ظ: سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ٣٧٧ + ابن طلحة / مطالب السؤول ٨٠/٢ + الشبلنجي / نور الأبصار / ١٥٤ + الأربلّي / كشف الغمة ٢٣٤/٣ + ابن خلكان / وفيات الأعيان ٣١٦/٣.

على الآخرين، والتغطية على حقيقة الأمر، تبعاً للظرف السياسي.

وقد أنجبت له هذه الزوجة الصالحة ابنها البكر الوحيد: محمد المهدي القائم الذي آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب في الصبا، وجعله آية للعالمين.(١)

وهو المنتظر لدولة الحق، وكان قد أُخفي مولده، وسُتر أمره، لصعوبة زمنه، وشدّة طلب السلطان له، والبحث عنه، فكُتم أمره إلا عند القلائل من أولياء أبيه.(٢)

في الصفحات المشرقة الآنفة الذكر، وقف البحث عند نسب الإمام الحسن العسكري، وعلى تأريخ ميلاده الميمون، وعرض لألقابه وكناه، وتحدّث عن ملامحه في الرؤية والجسم، وذكر زواجه السريّ لدى بلوغه، ووقف عند ولادة ولده الحجة المنتظر عجّل الله فرجه الشريف.

---

(١) ظ: المفيد / الإرشاد / ٣٩٠.

(٢) ظ: الطبرسي / إعلام الورى ١٥١/٢ + الأربلّي / كشف الغمة ٢١١/٣ + ابن الصباغ / الفصول المهمة ٢٧٢/٢.

النشأة الرائدة

نشأ الإمام الحسن العسكري نشأة رائدة في أبعاد متميزة في ظل أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام طيلة اثنين وعشرين عاماً منذ ولادته سنة (٢٣٢هـ) حتى استشهاد أبيه الإمام الهادي سميماً سنة (٢٥٤هـ).

وكان في هذه الحقبة الزمنية موضع عناية أبيه الخاصة في رحاب ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[1] فكان ربيب منزل الوحي، ومهبط الروح الأمين، ومعدن الحكمة، وحمى الدين الحنيف، قيّماً على شؤون الإسلام، ومبرمجاً لتعليمات القرآن.

وكانت ملازمته لأبيه في حله وترحاله، ملازمة الظل للشاخص، يدور في فلكه، ويصدر عن ورده، في تربية مثالية ورعاية نادرة، كانت ميداناً خصباً لاقتطاف ثمرة الوعي الخلاّق والأدب الرفيع والثقافة المتحضرة، فادّخر بذلك لنفسه ولأمته من كنوز الشريعة والمعرفة والعلم الصراح أنفس الأعلاق الثمينة.

وكان الإمام العسكري مضرب المثل في استيعاب أبعاد هذه النشأة، فقد ظفر من خلالها بالتأهيل الرائد على صغر سنه وحداثته، فكان ملء

(١) سورة النور /٢٤.

السمع والبصر درايةً ورواية واكتمال شخصية، مما عرفه خاصة الخاصة من المقربين جداً للإمام علي الهادي عليه السلام، وذلك نظراً للظرف السياسي العصيب الذي قضى بإضفاء الغموض على كثير من أبعاد حياته مع أبيه، تلك الحياة الحافلة بالعطاء والأصالة.

في حقبة تولّي الإمام علي الهادي عليه السلام لمنصب الإمامة الشرعية والولاية الإلهية، استولى على المناخ الديني والاجتماعي ضرب كثيفٌ من الملاحقة للإمام وتتبع خطواته، وفرضت الرقابة المشددة عليه في أساليب شتى، مماجعل الإمام الهادي عليه السلام يتكتم على ولده الإمام العسكري تكتُّماً شديداً، وقد لا يسمح بالتنويه عنه حتى أمام أوليائه، وكان وراء هذا الإجراء في الحذر والسرية هدف إيجابي وثيق في الإبقاء على الإمام الحسن العسكري في معزل عن الزخم الجماهيري، لئلا يشتهر أمره بين الناس حذر الإرهاب الدموي الذي عرف به العباسيون تجاه أهل هذا البيت، لاسيما أن الإمام الهادي ـ فيما وصل إليهم من أخبار دقيقة عن طرقهم ـ هو والد الإمام المنتظر محمد المهدي عجل الله فرجه الشريف.

وقد كان الإمام الهادي عليه السلام حريصاً على ابتعاد ولده عن الأضواء حتى خفي أمره عن جمع غفير من الهاشميين أنفسهم إلى ما قبل وفاة أبيه بقليل، وقد كان الكثيرون يعتقدون أن أبا جعفر محمد بن الإمام الهادي هو الإمام من بعده، فلمّا توفي في حياة أبيه أخذ الاضطراب يشيع في أروقة شرائح جملة من أتباع الإمام. فقد أورد الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) بسنده عن شاهويه بن عبد الله الجلاب، قوله:

«كنت رويت عن أبي الحسن العسكري عليه السلام في أبي جعفر ابنه (محمد بن الإمام الهادي) روايات تدلّ عليه، فلمّا مضى أبو جعفر قلقت لذلك، وبقيت متحيراً لا أتقدم ولا أتأخر، وخفت أن أكتب إليه في ذلك، فما أدري ما يكون!!

فكتبت إليه (الإمام الهادي) أسأله الدعاء أن يفرّج الله عنا في أسباب من قبل السلطان كنّا نغتم بها في غلماننا، فرجع الجواب بالدعاء وردّ الغلمان علينا، وكتب في آخر الكتاب: «أردت أن تسأل عن الخلف بعد مضي أبي جعفر، وقلقت لذلك، فلا تغتمّ فإن الله لا يضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يتبيّن لهم ما يتّقون، صاحبكم بعدي أبو محمد ابني (الحسن العسكري) وعنده ما تحتاجون إليه، يقدّم الله ما يشاء، ويؤخر ما يشاء.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[1] قد كتبت بما فيه بيانٌ وإقناع لذي عقل يقظان»[2].

كان هذا وعمر الإمام العسكري في حدود العشرين عاماً.

وهناك من أمثال الجلاّب كثير لا يعلم بإمامته، كما في رواية لاحقة، بل كان الإمام لا يصرّح بإمامة من بعده ـ حيناً ـ بالاسم ولا يخصّه، بل وينهى عن ذلك، فعن عمر والعطّار، قال: «دخلت على أبي الحسن عليه السلام، وابنه أبو جعفر في الأحبّاء، وأنا أظف أنه الخلف من بعده، فقلت: جعلت فداك: من أخصّ من ولدك؟ فقال: لا تخصوا أحداً من ولدي حتى يخرج إليكم أمري.

فكتب للإمام بعد وفاة ولده محمد: فيمن يكون هذا الأمر؟ قال: فكتب إلي: «الأكبر من ولدي»[3].

وقد تكرر هذا الملحظ من الإمام في عدم التصريح بالاسم!!

فعن علي بن مهزيار، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إن كان كونٌ ـ

(١) سورة البقرة / ١٠٦.

(٢) الطوسي / الغيبة / ١٣١ + المجلسي / البحار٤٢/٥ وانظر المفيد / الإرشاد / ٣٨٠.

(٣) الكليني / الكافي / ٣٢٦/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٧٩.

وأعوذ بالله ـ فإلى من؟ قال: عهدي إلى الأكبر من ولدي»[١].

وكانت شدة الوطأة على الإمام تقتضي منه التلويح لا التصريح والتلميح دون الإظهار، وهذا نوع من التخطيط الرسالي في تعدد أساليب الأداء عن هذا الأمر الخطير، فعن عبد الله بن محمد الأصفهاني، قال:

قال لي أبو الحسن عليه السلام: «صاحبكم بعدي الذي يصلي عليّ» قال: «ولم نكن نعرف أبا محمد قبل ذلك ـ فخرج أبو محمد بعد وفاته فصلّى عليه»[٢] وفي الرواية دلالة واضحة تنبئ عن التكلم على الإمام العسكري، بحيث أن الراوي ومن يحيط به كانوا لا يعرفون العسكري قبل ذلك.

وقد صرّح الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) راوياً عن يحيى بن يسار العنبري، قال:

أوصى أبو الحسن علي بن محمد إلى ابنه الحسن عليهما السلام قبل مضيّه بأربعة أشهر، وأشار إليه بالأمر من بعده، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي.»[٣]

والمدة التي سبقت وفاة الإمام بأربعة أشهر تعتبر في القياس الزمني قصيرة جداً تجاه هذا الأمر الخطير، ولكن الإمام الهادي عليه السلام يتصرّف في ضوء ما يجده ملائماً لسلامة ولده والحفاظ عليه.

ومما يؤيده متواتراً، وهو أظهر منه في مدى السريّة، ما أورده الشيخ المفيد قائلاً:

أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد (ابن قولويه) عن محمد بن

---

(١) المفيد / الإرشاد / ٣٧٩.

(٢) المفيد / الإرشاد / ٣٧٨.

(٣) المصدر نفسه / ٣٧٨.

يعقوب (الكليني) عن محمد بن يحيى وغيره، عن سعد بن عبد الله عن جماعة من بني هاشم، منهم الحسن بن الحسين الأفطس: أنهم حضروا ـ يوم توفي محمد بن علي بن محمد ـ دار أبي الحسن عليه السلام، وقد بسط له في صحن داره، والناس جلوسٌ حوله، فقالوا: قدّرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب، وبني العباس، وقريش: مائة وخمسون رجلاً، سوى مواليه وسائر الناس إذ نظر إلى الحسن بن علي (العسكري) وقد جاء مشقوق الجيب، حتى جاء عن يمينه، ونحن لا نعرفه!!

فنظر إليه أبو الحسن بعد ساعة من قيامه، ثم قال له: «يا بني أحدث لله شكراً، فقد أحدث فيك أمراً.» فبكى الحسن واسترجع، وقال: الحمد لله رب العالمين، وإيّاه أشكر تمام النعمة علينا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فسألنا عنه، فقيل لنا: هذا الحسن ابنه!! وقدّرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة ونحوها، فيومئذٍ عرفناه، وعلمنا أنه أشار إليه بالإمامة وأقامه مقامه.[1]

هذه الروايات وأمثالها تعتبر مؤشراً بارزاً في شدة المحنة التي مُني بها الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وتشير إلى مدى الكتمان على أمره حفاظاً عليه من تعسف الدولة!! بل هي تؤكد مظاهر الرقابة على الإمام الهادي في استقصاء شؤونه الخاصة، حتى إن كثيراً من أوليائه لا يعرفون من الإمام من بعده حتى وفاة محمد بن الإمام الهادي، وهذا ما يفسر لنا قول الإمام الحسن العسكري لدى حقبة إمامته القصيرة: «ما مُني أحدٌ من آبائي بمثل ما مُنيتُ به من شك هذه العصابة فيّ.»[2]

لهذا وسواه مما أغفله المؤرخون الرسميون رأينا نشأة الإمام في ظل

(١) ظ: الكليني / الكافي ٣٢٦/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٧٩. وسواهما.
(٢) ابن شعبة / تحف العقول / ٥١٧.

أبيه مجهولة الآثار في أغلب أبعادها، ولم نتشرف بالاطلاع على صورتها المشرقة، وهذا ما يقودنا إلى الحديث عن النص على إمامته.

النص على إمامته

بادئ ذي بدء ينبغي أن نشير أن النصّ على إمامة الحسن العسكري جاء مواكباً لأطروحة النصوص التي سبقته في تشخيص الأئمةعليهم السلام، وليس الأمر كما يتصور بعضهم أو يصوره بأنه تعيين فردس نابع من رغبة الإمام السابق في النص على الإمام اللاحق!! وليس الأمر كذلك قطعاً، لأن الإمام السابق حينما يصدر عنه الأمر بإناطة مسؤولية الإمامة بالإمام الجد، فإنه ينهض بذلك باعتباره مبلغاً لتكليف شرعي منصوص عليه في سلسلة الأئمة الاثني عشر، باعتبار الإمامة امتداداً طبيعياً للنبوّة. والتكليف بها لا يخضع لعوامل ذاتية على الإطلاق، والإمام ينطلق في ضوء التنفيذ لأمر مفروغ عنه صادر من صاحب الرسالة في ضوء قوله تعالى:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]

«وقد نصّ النبي بإجماع المسلمين ـ وهو يحدد الإطار العام لموضوع الإمامة من بعده ـ أن الأئمة من قريش، وأن عددهم اثنا عشر... وأن هؤلاء الأئمة الاثنا عشر من لباب عترته تحديداً، ومن صميم أهل بيته خاصة، حيث لا يشاركهم غيرهم من سائر الناس بل سمّى هؤلاء الاثني عشر في رواية بعض الحفاظ ـ واحداً بعد واحد..

ولذا فإن نص الإمام الهادي على ولده الحسن العسكري بالإمامة من

(١) سورة الحشر / ٧.

بعده لم يكن إلاّ تنفيذاً عملياً لتلك الضوابط والأوامر الرسالية المستمدة من الوحي»[١]

ومن هنا كان السيل المتدافع من النصوص على إمامة الحسن العسكري غامراً من جدّة وأبيه.

أورد الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) بسنده عن ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن حمدان بن سليمان، عن الصقر بن دلف ـ راوياً عن الإمام محمد الجوادعليه السلام ـ قال: «سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضاعليه السلام يقول: إن الإمام من بعدي ابنه علي: أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي. والإمامة بعده في ابنه الحسن». [٢]

وأما الإمام الهاديعليه السلام، فقد نص على إمامته، وإمامة ولده القائم بصفته التحريرية للأرض من الجور والظلم، فعن الصقر بن دلف قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا يقول: «الإمام بعدي الحسن، وبعد الحسن ابنه القائم، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.»[٣]

وهذا ينبئ أن الإمام الهادي معنيٌّ عناية ملتزمة بولده وحفيده معاً، وهو مبشّر بهذا الحفيد المنقذ نصاً، ومثله عن علي بن ابراهيم.[٤]

وهنالك عدة روايات في هذا الشأن تنص بالإمامة على الحسن العسكريعليه السلام، وتلفت النظر حول الخلف من بعده، تنبيهاً للإمامة على قيامه قطعاً، فعن عبد العظيم الحسني عن الإمام الهاديعليه السلام أنه

(١) محمد حسن آل ياسين / الإمام الحسن علي العسكري / ٣٢ وانظر مصادره.
(٢) الصدوق / كمال الدين ٥٠/٢ + المجلسي / بحار الأنوار ٢٣٩/٥٠.
(٣) الصدوق / كمال الدين ٥٥/٢.
(٤) ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٢٤٠/٥٠ وانظر مصدره.

قال:

«الإمام من بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده...»[١]

بل لقد مهّد الإمام الهادي ـ وهو النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي ـ لإمامة ولده العسكري، والبشارة بحفيده الإمام محمد المهدي عجّل الله فرجه بشيء من التفصيل، وبالإشارة إلى شدّة الطلب له من قبل طواغيت الأمة، حتى لا يحلّ ذكر اسمه في تلك الظروف الحرجة، كما عن أبي هاشم الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن صاحب العسكر يقول: «الخلف من بعدي ابني الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟

فقلت: ولم جعلني الله فداك؟

فقال: لأنكم لا ترون شخصه، ولا يحل لكم ذكره باسمه.

قلت: فكيف نذكره؟

قال: قولوا: الحجة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.»[٢]

وقد أورد الكليني (ت ٣٢٩ هـ) وهو من أعلام عصر الغيبة الصغرى، والشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) وهو المرجع الأعلى الأول للإمامية بعد عهود السفراء الأربعة والكليني والصدوق مثله.[٣]

كما أورد الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) والشيخ الطبرسي (ت ٥٨٨ هـ) عن سعد عن محمد بن أحمد العلوي مثله.[٤]

---

(١) الصدوق / كمال الدين ٢/٥٥.

(٢) الصدوق /كمال الدين ٢/٣٦٢

(٣) ظ : الكليني / الكافي ١/٣٣٢ + المفيد / الإرشاد / ٣٧٨.

(٤) ظ : الطوسي / الغيبة / ١٣١ + الطبرسي / إعلام الورى / ٣٥١

أما النصّ من قبل الإمام الهادي على ولده العسكري وحده، فيبدو من النصوص أن الإمام قد صرح بذلك عند وفاة ولده محمد المدفون قرب (عكبرا) وتعرف بالدجيل ما بين بلد والضلوعية اليوم، وقد ربط ذلك بنظرية «البداء» التي يقول بها الإمامية، وهي الإظهار بعد الخفاء لا أكثر ولا أقل ـ فالله تعالى يبدو له ولا يُبدى عليه ـ فله وحده لا شريك له بهذا الخصوص إظهار أيّ أمر بعد خفائه، ولا علاقة لهذا على وضوحه في المراد ـ بالتشنيع على الإمامية، فهو إظهار من قبله تعالى للحقيقة بعد خفاء أمرها على الناس.

فقد أورد محمد بن الحسن الصفار (ت ٢٩٠ هـ) وهو من أعلام الرواة في عهود الإمام العسكري والإمام المهدي والنواب الأربعة، بسنده عن علي بن عبد الله بن مروان الأنباري، قال: «كنت حاضراً عن مضي أبي جعفر بن أبي الحسن، فجاء أبو الحسن (الإمام الهادي) عليه السلام، فوضع له كرسي فجلس عليه، وأبو محمد (الحسن العسكري) قائم في ناحية، فلما فرغ من أبي جعفر[١] التفت أبو الحسن عليه السلام فقال إلى أبي محمد عليه السلام: «يا بني أحدث لله شكراً، فقد أحدث فيك أمراً.»[٢]

قال المجلسي: «فقد أحدث فيك أمرا؟» أي جعلك إماماً بموت أخيك الأكبر قبلك.[٣]

وهو ما أوضحه الإمام علي الهادي عليه السلام بضرب النظير له مثلاً: بوفاة إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حياة أبيه، وهو الأكبر من ولده، فنصّ الإمام الصادق على ولده موسى بن جعفر عليه السلام بالإمامة.

---

(١) أي فرغ من دفن ولده محمد بن الإمام الهادي.

(٢) الصفار / بصائر الدرجات / ٤٧٣ ومثله الكليني / الكافي ٣٢٦/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٧٨ + الطبرسي / إعلام الورى / ٣٥٠.

(٣) المجلسي / بحار النوار ٢٤١/٥٠.

فقد روي عن أبي هاشم الجعفري قوله:

«كنت عند أبي الحسن العسكري (الإمام الهادي) عليه السلام وقت وفاة ابنه أبي جعفر، وقد كان أشار إليه ودلّ عليه، وإني لأفكر في نفسي وأقول: هذه قصة أبي إبراهيم (الإمام موسى بن جعفر) وقصة إسماعيل، فأقبل عليّ أبو الحسن عليه السلام - وهو يقرأ ما في نفس الجعفري بعلمه اللّدني - وقال: يا أبا هاشم بدا لله في أبي جعفر (محمد بن الإمام الهادي) وصيّر مكانه أبا محمد (الحسن العسكري) كما بدا في إسماعيل بعد ما دلّ عليه أبو عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام ونصبه، وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون!!

«أبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده ما تحتاجون إليه، ومعه آلة الإمامية والحمد لله.»[1]

وعن محمد بن يحيى، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام بعد مضي أبي جعفر ابنه، فعزيته عنه، وأبو محمد (الحسن العسكري) جالسٌ فبكى أبو محمد، فأقبل عليه أبو الحسن عليه السلام فقال: «إن الله قد جعل فيك خلفاً منه فاحمد الله.»[2]

وعن أبي بكر الفهفكي قال: كتب إلي أبو الحسن عليه السلام: «أبو محمد ابني (يعني الحسن العسكري) أصحّ آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامنا، فما كنت سائلي عنه فأسأله عنه، فعنده ما تحتاج إليه.»[3]

وحديث الإمام الهادي عليه السلام هنا نص على إمامة ولده الحسن

(١) الكليني / الكافي ٣٢٧/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٠ + الطوسي / الغيبة / ١٣٠.
(٢) المفيد / الإرشاد / ٣٨٠.
(٣) المصدر نفسه / ٣٨٠.

العسكري من جهة، وبيان لخصائص الإمامة المتوافرة فيه من خلال أمرين:

الأول: انتهاء سلسلة الإمامة في ترتيبها الزمني والعددي إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقد عبّر عن ذلك بـ «عرى الإمامة» وكلٌّ منهم هو العروة الوثقى التي أمرنا بالتمسك بها، لطواعية الدين ذاتياً، بعد تبين الرشد من الغي في ضوء قوله تعالى:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.(١)

وهو أمر شائع في منطوق الأحاديث النبوية الشريفة والتي نقلت بالتواتر، حتى نظمها شعراء العصور بالإشار إلى أهل بيت النبوة حتى قال الحسين بن الحجاج:

وأنتم العروة الوثقى فمن علقت

بها يداه.. فلن يخشى ولم يخفِ

وقال كاتب هذه السطور:

وأنتم العروة الوثقى.. وعندكم

علم الكتاب.. وما قد خطَّ في الزبر

الثاني: انتهاء الأحكام الشرعية الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وعلى السائل أن يسأله عنها، ويدلّ الأولياء على ذلك، فعند الإمام العسكري ما يحتاج هو إليه، وما تحتاجه الأمة جمعاء.

(١) سورة البقرة / ٢٥٦.

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وزيادة على ما تقدم نجد النص الصريح بإمامة العسكري غير قابل للتأويل في جملة من الروايات المعتبرة، فعن علي بن عمرو النوفلي، قال: كنت مع أبي الحسن العسكري عليه السلام في داره، فمرّ علينا أبو جعفر (محمد بن الإمام الهادي) فقلت له: (يعني الإمام الهادي) : هذا صاحبنا؟ قال: لا، صاحبكم الحسن.[1]

وعن أحمد بن محمد بن رجا صاحب الترك، قال: «قال أبو الحسن عليه السلام: الحسن ابني القائم من بعدي.»[2]

وفي حياة محمد بن الإمام الهادي عليه السلام يؤكد الإمام بما لا يقبل الشك أن الإمام من بعده هو الحسن العسكري عليه السلام مع التشخيص الحضوري والميداني، فعن أحمد بن عيسى العلوي، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام بـ «صريا» فسلمنا عليه[3] فإذا نحن بأبي جعفر (محمد بن الإمام الهادي) وأبي محمد (الحسن العسكري) قد دخلا، فقمنا إلى أبي جعفر لنسلم عليه، فقال أبو الحسن عليه السلام.

«ليس هذا صاحبكم، عليكم بصاحبكم»، وأشار إلى أبي محمد عليه السلام[4].

والأحاديث في هذا المضمار متوافرة العدد، جمة الإحصاء لن أراد التمحص لاستقصائها، يضاف إلى هذا كله: «أن التأريخ مجمعٌ على

(١) الكليني / الكافي ٣٢٥/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٠ + الطوسي / الغيبة / ١٢٩ + المجلسي / بحار الأنوار ٢٤٢/٥٠.

(٢) الطوسي / الغيبة / ١٣٠.

(٣) يبدو أن أحمد بن عيسى العلوي دخل على الإمام مع جماعة بدلالة النص « فإذا نحن ..الخ» وذلك بـ (صريا) ، وصريا موضع في سامراء فيه مزرعة صغيرة لآل محمد ينتجعون فيها.

(٤) الطوسي / الغيبة / ١٣٠.

عدم وجود من تصدّى لادعاء الإمامة وولاية الأمر في عصر إمامة الحسن العسكري عليه السلام غير أولئك الحكّام العباسيين، الذين وصفوا أنفسهم بأمراء المؤمنين، وأئمة المسلمين، وخلفاء رسول رب العالمين، بحكم وراثتهم لتلك المراكز والألقاب من أسلافهم الأولين، ومن دون أي ذكر أو بيان لما يؤهلهم ـ صدقاً أو كذباً ـ لهذه المراتب السامية: من شورى مدعاةـ أو انتخاب مزعوم أو توجيه نبوي صحيح أو قرينة شرعية ترجح، أو علم وورع وخلق يبعث على تخيّل الأهلية والاستحقاق.»[١]

وفي ضوء تلك النصوص وهذه الإضافة يكون ترشيح الإمام الحسن العسكري عليه السلام لمنصب الولاية الإلهية متعيناً في التكوين والتشريع قطعاً، ومحققاً ضمن شروط الأحكام السلطانية التي تُعنى بصلاحية عنصر الإمامة وتماميتها شخصاً وموقعاً.

ولا تحسبن ذلك مقتصراً على نظر الصفوة من أولياء أهل البيت بخاصة، بل هي نظرة المسلمين في عصر الإمام إليه بكونه الممثل الحقيقي للإسلام لتوافر شروطها فيه.

يقول الأستاذ باقر شريف القرشي دام علاه:

«وكان من الطبيعي تقدير الأمة بجميع طبقاتها للإمام أبي محمد عليه السلام، وتعظيمها له، فقد وقفت على هديه وصلاحه وعزوفه عن الدنيا، وإخلاصه للحق، وتفانيه في طاعة الله وعبادته، واستبان لها أنه بقية الله في أرضه، والممثل الوحيد لجده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وبالإضافة إلى ذلك فقد تبنى الإمام القضايا المصيرية للعالم الإسلامي، ونادى بحقوق المسلمين، ونعى على حكّام عصره ظلمهم للرعية، واستهانتهم بحقوقها، فلذا أجمعت الأمة على تعظيمه والولاء له،

(١) محمد حسن آل ياسين / الإمام الحسن بن علي العسكري / ٣٣.

والاعتراف بقيادته...»[1]

وهكذا تكون الإمامة في أهلها من ذوي التأهيل روحياً، والتأصيل فكرياً، والتخصيص ذاتياً، وهو ما توافر في إمامة الحسن العسكري عليه السلام.

(١) باقر شريف القرشي / حياة الإمام الحسن العسكري / ٨ـ٩.

الإمام الحسن العسكري في ظواهر ذاتية

أ. خصائص مشتركة بين الأئمة

كان الإمام الحسن العسكري مثالاً فذاً للانطباع الخلقي المتكامل وأنموذجاً عجيباً في خصائص تكوينية متأصلة، وحقيقة إنسانية جامعة لظواهر ذاتية كريمة، شأنه بذلك شأن آبائه الطاهرين.

وإني ليستوقفني كثيراً الحديث النبوي في دلالته الإيحائية فضلاً عن الدلالة التشريعية، ذلك قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له.»[1]

فالدلالة التشريعية تعني وجوب طاعتهم وفرض ولايتهم، ونجاة من اتبعهم، وضلالة من خالفهم.

والدلالة الإيحائية توحي بأنهم خلاصة البشرية في الانتقاء، والمثل الأعلى في التمحيص والاصطفاء، فالنبي لا يتحدث بملحظ عاطفي قط، ولا يحدّث من خلال مناخ أسرّي محدود، وإنما ينطلق في تقريره بوحي

(١) الميثمي / مجمع الزوائد ١٦٨/٩ + الحاكم النيسابوري / المستدرك ٤٣/٢ + الخطيب البغدادي ١٩/٢، وسواها.

من السماء ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

ونفيد من اقتران الدلالتين العلم اليقيني بأنهم اجتباء الله واختياره في إرادته التكوينية، وإذا كان الأمر كذلك وهو كذلك، أحطنا خبراً بمدى تلك الصفات الخارقة في كل إمام من الأئمة عليهم السلام، فقد التقوا بمزايا متقاربة الأبعاد، وتحصنوا بخصائص متشاكلة الانتماء، فلا فرق بين إمام وإمام في مجموعة الظواهر الذاتية، إلا أن هناك مميزات اشتهر بها كل إمام من الأئمة، فالتصقت به ذبوعاً، وعرف بها انتشاراً.

والإمام الحسن العسكري عليه السلام نبعة من تلك الشجرة الثابت أصلها في السماء، والمتشابكة الفروع في الأرض، تؤتي أكلها كل حين، وترمي بثمارها للقاطفين، وبذلك أمدت العالم أجمع بأعرق شمائل الإنسان المتحضر، ومهدت السبيل أمام الخلق الكريم.

ب. الأعداء في حضيرة الأولياء

تفجرت نفحات الكمال المطلق، وتأصلت ملامح الصفات المثلى لدى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وشكّل بذلك دائرة جديدة في العطاء، وابتكر مناخاً فريداً في التعامل جلب إليه الأعداء إلى حضيرة الأولياء، وجذب قلوب العاملين في الدولة نحوه في أمثلة عديدة تكشف عن قدرة خارقة في تطويع النفوس، وتنجلي عن إمكانات خاصة تلج إلى العقل الإنساني من أبواب منفتحة فتهبه سواء الطريق في الهدي والاستقامة، فقد حبس الإمام عند علي بن أوثامش أحد أتباع العباسيين المتشددين، وفوجئ الرجل بصلاح الإمام المتناهي، وأعجب بخلقه الفياض، وذهل بأدائه الرصين في الردّ والأخذ والحوار، فانجذب للإمام

---

(١) سورة النجم / ٣ـ٤.

بدوافع نفسية خالصة، بعيدة عن التأثر والتأثير، مذعناً للأمر الواقع المشاهد عياناً وتجربة، فتخلى عن غلظته وجفافه وجبروته، وعاد إلى رشده ووعيه الفطري، فكان لا يرفع بصره إلى الإمام تعظيماً له، وإجلالاً لقدره. ولما خرج الإمام من سجنه كان أحسن الناس بصيرة به، وأحسنهم قولاً فيه، وأكثرهم ولاءً له.[1]

وكان هدي الإمام كفيلاً بهذا الانقلاب لدى الآخرين دون ريب، فقد اعتقل عند صالح بن وصيف، فطلب إليه بنو العباس التضييق على الإمام، ولكنهم لم يجدوا لذلك تنفيذاً أو دلائل، فعاتبوه على ذلك، فقال لهم صالح:

«وما أصنع؟ قد وكلت به رجلين من أشر من قدرت عليه، وقد صارا من العبادة والصلاة والصيام على أمر عظيم. فقلت لهما: ما فيه؟ فقالا: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كلّه، لا يتكلم ولا يتشاغل، وإذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا، ويداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا!!

فلما سمعوا ذلك انصرفوا خائبين.[2]

وفي هذا الأثر دلالة على تأثير الإمام في عاملي السجن، ومعنى ذلك اختراقه للنظام العباسي من الداخل بحيث ينقلب أشراره إلى أخيار نتيجة النظر العقلي.

ووسط للإمام أنوش النصراني كاتب السلطان، الخليفة العباسي أن يركب الإمام إلى داره بمناسبة ختان ولديه قائلاً: «نحن نتبرَّك بدعاء بقايا النبوة والرسالة.» فركب الإمام متواضعاً إلى دار هذا النصراني، وهو يعرّض بالعباسيين وسواهم بقوله عليه السلام: «الحمد لله الذي جعل النصارى

(١) ظ: الكليني / الكافي ٥٠٨/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٦ + الأربلّي / كشف الغمة٢٠٢/٣.
(٢) الكليني / الكافي ٥١٣/١.

أعرف بحقنا من المسلمين»، ولما وصل الإمام الدار، خرج إبيه أنوش النصراني مكشوف الرأس، حافي القدمين، وحوله القسيسون والشمامسة والرهبان، وعلى صدره الإنجيل، فتلقى الإمام على بابه قائلاً لي:

«يا سيدنا أتوسل إليك بهذا الكتاب ـ مشيراً إلى الإنجيل ـ الذي أنت أعرف به منّا، إلاّ غفرت لي ذنبي في عناك..

وحق المسيح عيسى بن مريم وما جاء به من الإنجيل من عند الله ما سألت أمير المؤمنين مسألتك هذه إلاّ لأنّا وجدناكم في هذا الإنجيل مثل المسيح عيسى بن مريم عند الله.»[1]

إن تواضع الإمام الجمّ وحسن تأتيه للأمور هو الذي جعل من هذا النصراني وليّاً له، ومتحدثاً عما وجده في الإنجيل من منزلته.

وكان الإمام عليه السلام يتوّج هذا المسلك الدقيق بعبادته الخالصة لله ويزهده بحطام الدنيا، وله في الإنابة والأخبات أطرف اللقطات التاريخية، فحينما سجنه المعتمد العباسي عند علي بن حرين، كان يستقصي السؤال عنه، فيخبره السجّان أن الإمام: يصوم النهار ويصلي الليل.[2]

ج. العطاء الهادف

وللإمام الحسن العسكري أحاديث في العطاء الهادف والكرم الرسالي، وله في هذا الباب ذكر عجيب وطرائف تتجدد، شأنه بهذا شأن آبائه الكرام.

فقد أورد الشيخ الطوسي عن أبي الحسن الإيادي، قال: حدثني أبو

(١) المجمع العالمي لأهل البيت / الإمام الحسن بن علي علي العسكري / ٢٥ وانظر مصادره، مؤسسة التأريخ العربي / بيروت / ٢٠٤ م.
(٢) ابن طاووس مبهج الدعوات / ٢٧٥.

جعفر العمري (عثمان بن سعيد) رضي الله عنه أن أبا طاهر بن بلبل حجّ فنظر إلى علي بن جعفر الهمّاني [نسبة إلى همينيا قرية من سواد بغداد وهو ينفق النفقات العظيمة، فلما انصرف كتب بذلك إلى أبي محمد (الحسن العسكري) فوقع في رقعته: قد أمرنا له بمائة ألف دينار، ثم أمرنا له بمثلها، فأبى قبولها إبقاءً علينا، ما للناس والدخول في أمرنا فيما لم ندخلهم فيه.؟»[1]

وقد يعلل هذا النوع من العطاء الجزيل ـ ظاهراً ـ بأنه عطاء من لا يخاف الفقر، وهو كذلك، ولكنه ليس كل شيء في تخطيط الإمام العسكري الرائد، فهناك أهداف أسمى، وإرادات كبرى، تتخلل هذا النمط من الهبات الضخمة جداً آنذاك: فقد تصرف هذه الأموال في مشاريع سبق لها الأعداد سرّياً، وجه بها وكلاءه، وقد تخصص لعوائل محرومة، وقد يقوّم بها أمر الإسلام في التوعية والدعوة والإرشاد، كل هذا وارد في مسيرة الإمام العسكري القيادية، فهو أعلم بجهات الصرف السرّية والعلنية، تبعاً لما يحيط به من الظرف السياسي الذي يقتضي دقة التحرك الرسالي لدى الإمام بما يراه مواكباً لمتطلبات المرحلة، أما الحاجة الشخصية والمؤنة المحددة فلها حسابها الدقيق في ميزان السخاء العسكري العارم.

وقد انتهج أولياؤه هذا المسلك في العطاء الهادف لإنقاذ المحرومين ومواساة أتباع أهل البيت، مما شجعه الإمامعليه السلام وشكر صنيعه، ومن ذاك ما روي عن جعفر بن الشريف الجرجاني، أنه قال للإمامعليه السلام: «يا ابن رسول الله إن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني هو من شيعتك كثير المعروف إلى أوليائك، يخرج إليهم في السنة من ماله أكثر من مائة ألف درهم، وهو أحد المتقلبين في نعم الله بجرجان، فقال الإمام: شكر

(١) الطوسي / الغيبة / ١٤١ و٢٢٦.

الله لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل صنيعه إلى شيعتنا، وغفر ذنوبه، ورزقه ذكراً سوياً قائلاً بالحق...»[1]

بل كان الإمام يخوّل وكلاءه لدى قبضهم الحقوق الشرعية نيابة عنه، يخوّلهم بالصرف في مواقعه في الوجه العام والخاص رعاية للمصلحة العليا التي يفرضها الشأن الرسالي.

أما الاحتياج من قبل الفقراء والضعفاء، فقد يلمحه الإمام بمنظور غيبي بما أوتي من علم موهبي، وقد يلبي الطلبات نطق بها أصحابه أم لم ينطقوا من خلال الملحظ نفسه، فهو يعايش الناس بآلامهم، وهو على اطلاع سابق بشؤونهم الاقتصادية، وهو معنيٌّ بإنعاش البائس الفقير، وهو بصدد التوسعة على من ضيقت الدولة عليه.

وهذا ما يجرنا إلى التحدث عن هذا الموضوع بشواهد ودلائل من الواقع المعاصر للإمام، بما يتكفل به البحث الآتي.

د. الكرم النفسي بلمح غيبي:

وكان من كرم الإمام الذاتي تطلعه في الغيب بما أوتي من علم لدني، ونماذج ذلك متوافرة في حياة الإمام، نقتصر على ذكر بعضها:

١. عن محمد بن علي بن إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام؛ قال: «ضاق بنا الأمر فقال لي أبي: امضِ بنا إلى هذا الرجل - يعني أبا محمد - فإنه قد وصف عنه سماحة!! فقلت: تعرفه؟ قال: ما أعرفه، ولا رأيته قط. قال: فقصدناه، فقال لي أبي وهو في طريقه: ما أحوجنا إلى أن يأمر لنا بخمسمائة درهم، مائتا درهم للكسوة، ومائتا درهم

(١) المجلسي / بحار الأنوار ٢٦٣/٥٠ وانظر مصدره.

للدقيق، ومائة درهم للنفقة!! وقلت في نفسي: ليته أمر لي بثلاث مائة درهم، مائة أشتري بها حماراً، ومائة للنفقة، ومائة للكسوة، فأخرج إلى الجبل!! قال: فلمّا وافينا الباب وخرج إلينا غلامه، فقال: يدخل علي بن إبراهيم ومحمد ابنه!!

فلمّا دخلنا عليه وسلمنا عليه، قال لأبي: يا علي ما أخلفك عنا إلى هذا الوقت؟ فقال: يا سيدي استحييت أن ألقاك على هذا الحال.

فلمّا خرجنا من عنده، جاءنا غلامه فناول أبي صرّة، وقال: هذه خمسمائة درهم، مائتان للكسوة، ومائتان للدقيق، ومائة للنفقة. وأعطاني صرة، وقال: هذه ثلاثمائة درهم، اجعل مائة في ثمن حمار، ومائة للكسوة، ومائة للنفقة، ولا تخرج إلى الجبل، وصرْ إلى سوار.

قال: فصار إلى سوار، وتزوج امرأة منها، فدخله اليوم ألفا دينار!! ومع هذا يقول بالوقف.

قال محمد ابراهيم الكردي: فقلت ويحك أتريد أمراً أبين من هذا؟ فقال: صدقت، ولكنّا على أمرٍ قد جرينا عليه».(١)

وكان هذا كرماً محدداً بلمح غيبي لألقاء الحجة وإقامة الدليل، بما أخبر به من دخائل نفسيهما حذو القذة بالقذة.

٢. حدّث أبو هاشم الجعفري، قال:

«شكوت إلى أبي محمدعَلَيْهِالسَّلَامْ ضيق الحبس وكَلَب القيد!! فكتب إلي: أنت تصلي اليوم في منزلك!!

فأخرجت وقت الظهر فصلّيتُ في منزلي كما قال، وكنت مضيقاً، فأردت أن أطلب إليه معونة في الكتاب الذي كتبته إليه فاستحييت، فلما

---

(١) الكليني / أصول الكافي ١/٥٠٦ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٤ _ ٣٨٥.

صرت إلى منزلي وجّه إليّ بمائة دينار!! وكتب إليّ: إذا كانت لك حاجة فلا تستحي، ولا تحتشم، واطلبها تأتك على ما تحب إن شاء الله.[١]

٣. ويبدو أن إسماعيل بن محمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الله بن عباس، كان مضيّقاً عليه من قبل أسرته بني العباس أنفسهم لاعتبارات سياسية، كأن يكون على غير خطّهم في الولاء والانتماء، أو غير ذلك، فقعد للإمام الحسن العسكري عليه السلام على قارعة الطريق طالباً إليه العون والمساعدة الماليّة بما يرويه نفسه: قال: «قعدتُ لأبي محمد عليه السلام على ظهر الطريق، فلمّا مرّبي شكوت إليه الحاجة، وحلفت له أن ليس عندي درهم واحد فما فوقه، ولا غداء ولا عشاء!! فقال له الإمام: تحلف بالله كاذباً، وقد دفنت مائتي دينار؟ وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطية، أعطهِ يا غلام ما معك!! يقول: فأعطاني غلامه مائة دينار، ثم أقبل عليه السلام قائلاً: «إنك تحرم الدنانير التي دفنتها أحوج ما تكون إليها.» وصدق عليه السلام، وذلك أني أنفقت ما وصلني إليها به، واضطررت ضرورة شديدة إلى شيء أنفقه، وانغلقت عليّ أبواب الرزق، فنبشتُ الدنانير التي كنت دفنتها فلم أجدها، فإذا ابنٌ لي قد عرف موضعها فأخذها وهرب، فما قدرت منها على شيء»[٢].

وهذا السخاء الفطري من الإمام مع علمه بكذب ما ادعاه إسماعيل، وأخبره بحقيقة الأمر، وما خبّأ من المال، يعدّ دون أدنى شك من دقائق مميزات الإمام، شأنه بذلك شأن من سبقه من أئمة الهدى.

---

(١) الكليني / أصول الكافي ٥٠٨/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

(٢) الكافي / الكليني ٥٠٩/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٧ ـ ٣٨٨ + الطبرسي / إعلام الورى ١٤٠/٢ + الأربلّي / كشف الغمة ٢٠٣/٣.

٤. ومن مظاهر هذا السياق باستلهام مشاهد الغيب ما حدَّث به أبو يوسف شاعر البلاط العباسي، قال: «ولد لي غلام، وكنت مضيّقاً، فكتبتُ رقاعاً إلى جماعة أسترفدهم، فرجعت بالخيبة، قال: قلت أجيء، فأطوف حول الدار [دار الإمام الحسن العسكري] طوفةً. وصرتُ إلى الباب، فخرج أبو حمزة، ومعه صرّة سوداء فيها أربعمائة درهم، فقال: يقول لك سيدي: «انفق هذه على المولود، بارك الله لك فيه»[1].

٥. وهنالك ما هو أغرب من هذا تصوّراً، وإذا علمنا أنه صادر عن الإمام زال الاستغراب، لأنه خزانة العلم الموهبي، ومعدن الفيض اللّدني، فقد حدّث أبو القاسم (كاتب راشد) قال:

«خرج رجل من العلويين من سرمن رأى في أيام أبي محمد (يعني الإمام العسكري) إلى الجبل يطلب الفضل، فتلقاه رجل بحُلوان، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من سر من رأى.

قال: هل تعرف درب كذا في موضع كذا؟ قال: نعم.

قال: عندك أخبار من الحسن بن علي (العسكري) ؟

قال: لا.

قال: فما أقدمك الجبل؟

قال: طلب الفضل!!

قال: فلك عندي خمسون ديناراً فاقبضها، وانصرف معي إلى سر من رأى حتى توصلني الحسن بن علي!! فقال: نعم، فأعطاه خمسين

(١) الأربلّي / كشف الغمّة ٤٢٦/٢.

ديناراً، وعاد العلوي معه، فوصلا إلى سرمن رأى، فاستأذنا على أبي محمد (العسكري) فأذن لهما، وأبو محمد قاعد في صحن الدار. فلما نظر إلى الجبلي، قال له: أنت فلان بن فلان، قال: نعم، قال الإمام: أوصى إليك أبوك، وأوصى لنا بوصية فجئت تؤديها، ومعك أربعة آلاف دينار!! فقال الرجل: نعم، فدفع إليه المال.

ثم نظر (الإمام) إلى العلوي فقال: خرجت إلى الجبل تطلب الفضل، فأعطاك هذا الرجل خمسين ديناراً، فرجعتَ معه، ونحن نعطيك خمسين ديناراً، فأعطاه.»[1] وهذا الاستطراد في رصد مكنونات الأشياء لا يمكن أن يصدر إلاّ من إمام، لاشتماله على مغيبات بتفصيلات دقيقة، يلحظ بها الأخبار عن الجزئيات الكامنة وراء الحدث المادي في الإعطاء إلى الهدف الروحي في الإنباء.

وللإمام في هذا الباب من قراءة ما في النفس أحاديث كثيرة هي أساس لعمل مستقل، فقد روى كامل بن إبراهيم المدني أنه دخل على الإمام يريد أن يسأله.. قال: «فلما دخلت على سيدي أبي محمد، نظرت إلى ثياب بياض ناعمة، فقلتُ في نفسي: وليّ الله وحجّته يلبس الناعم من الثياب؟ ويأمرنا بمواساة الأخوان، وينهانا عن لبس مثله!! فقال مبتسماً: يا كامل، وحسر عن ذراعيه فإذا مسحٌ أسود خشن على جلده، فقال: هذا لله وهذا لكم..»[2]

وفي الحديث دلالات ثلاث:

الأولى: قراءة ما في نفس السائل، والإجابة عمّا أضمر من حديث نفسي لا يعرفه سواه.

---

(١) الأربلّي / كشف الغمّة ٤٢٦/٢.

(٢) المجلسي / بحار النوار ٢٥٣/٥٠ وانظر مصدره.

الثانية: أن التجمّل وإظهار نعمة الله على المرء مندوب إليه.

الثالثة: إخفاء الإمام خشونة ملبسه في ذات الله.

الإمام في الرأي الآخر

أشرقت عدة إضاءات تتلألأ في الإشارة إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام في خضم التأريخ باعتباره أحد عمالقة الفكر الإنساني رغم محاولات التضبيب على ذلك الأفق المتموج بالعزة والكرامة والعلم والحضارة المتطورة، وتمثل تلك الإضاءات الكاشفة بقايا صفحات من نور كتب لها التدوين استثناء من القاعدة الأصل، وهي الإغماض عن دلائل أهل البيت وفضائلهم، وتجاهل الحقائق الناطقة بمآثرهم!! فكم اجترح التأريخ من خطيئة في ظل المناخ الرسمي لتصوير الوقائع، وكم اقترف المؤرخون من جريمة في كتمان ذلك البرهان الإلهي.

كان ذلك بتخطيط مبرمج من قبل السلطات الظالمة التي تتابعت على الحكم، مع علمها أن لا واضع لمن رفعه الله تعالى، ولا ضياع لمن خلدته أعماله الكبرى رغم عوادي الزمن، وافتئات الضالعين بركاب السلطان، ومن هذا الخلال فُقد الكثير من المعالم التراثية التي فجّرها الإمام الحسن العسكري في ثورة علمية ومعرفية وأخلاقية، نتيجة الحقد المتأصل في أعماق الحاكمين مما طغى على المؤرخين فضرب ذلك التراث عرض الحائط، ولكن الجدار الصلب لم ينقضّ كما شاؤوا، وبقي صامداً أمام تلك الضربات، وأبى الله إلا أن يتم نوره، وأن يتفوه أعداء الإمام بفضل الإمام ومنزلته قبل أصحابه وأوليائه.

أولاً: قال أحمد بن عبيد الله بن خاقان في مجلس ولايته «وهو عامل السلطان يومئذٍ على الخراج والضياع بكورة قم، وكان من أنصب خلق الله وأشدّهم عداوة لأهل البيت.

قال: «ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، ولا سمعت به في هديه، وسكونه، وعفافه، ونبله، وكرمه، عند أهل بيته والسلطان وجميع بني هاشم، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك القوّاد والوزراء والكتّاب وعامة الناس.»[١]

قال أحمد قوله هذا في معرض مشاهدة ميدانية في محضر أبيه عبيد الله بن خاقان، وهو وزير المعتمد العباسي، وذلك حينما دخل عليه حجّابهُ، فقالوا: ابن الرضا على الباب!! فقال بصوت عالٍ: ائذنوا له... فدخل رجل أسمر أعين، حسن القامة، جميل الوجه، جبير البدن، حدث السن، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خُطى، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم، ولا بالقوّاد، ولا بأولياء العهد، فلمّا دخل عانقه، وقبّل وجهه ومنكبيه، وأخذه وأجلسه على مصلاه.. فسأل أباه عنه بعد حين، فقال عبيد الله بن خاقان:

«يا بني ذلك إمام الرافضة، ذاك ابن الرضا!! فسكت ساعة ثم قال: يا بني لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره (يعني الإمام الحسن العسكري) لفضله وعفافه، وصومه وصلاته، وصيانته وزهده، وجميع أخلاقه، ولقد كنت أسأل عنه دائماً، فكانوا يعظمونه ويذكرون له كرامات. وقال: ما رأيت أنقع ظرفاً، ولا أغضّ طرفاً، ولا أعفّ لساناً وكفاً من الحسن العسكري.»[٢]

---

(١) الكليني / الكافي ٥٠٣/١ + الصدوق / كمال الدين ٤١/١ وسواهما.
(٢) الكليني / الكافي ٥٠٣/١ + الصدوق نفسه + المفيد / الإرشاد / ٣٨٢ + ابن شهراشوب /

ثانياً: والأغرب من هذا كله ما جرى على لسان الخليفة الرسمي المعتمد العباسي من إطراء الإمام والثناء عليه، وصراحته التامة في بيان منصبه الإلهي القائم بالله وحده، والاعتراف الصارخ باجتهاد الخلافة العباسية للحطّ من منزلة الإمام، في حين كان الله تعالى يعلي من شأنه ويزيده كل يوم رفعة. فقد روى أن جعفر الكذاب، طلب من المعتمد أن ينصبه للإمامة، ويعطيه مقام أخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال له المعتمد: «اعلم أن منزلة أخيك لم تكن بنا، وإنما كانت بالله عزّ وجلّ، ونحن كنّا نجتهد في حطّ منزلته والوضع منه، وكان الله يأبى إلاّ أن يزيده كل يوم رفعة بما كان فيه من الصيانة وحسن السمت والعلم والعبادة، وإن كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم يكن عندهم بمنزلته، ولم يكن فيك ما كان في أخيك لم نغنِ عنك في ذلك شيئاً.»[1]

وفي هذا النص عدة تأكيدات لها دلالتها العقائدية جاءت على لسان المعتمد، تمثل الآتي:

١. بيان منزلة الإمام الحسن العسكري في ولايته الإلهية.

٢. التصريح بأن هذه الولاية ليست من صنع البشر بل كانت بالله تعالى.

٣. الاعتراف باجتهاد السلطة في الغضّ مَن مكانة الإمام.

٤. إخفاق السلطة في محاولتها الفاشلة.

٥. الإقرار بأن الله تعالى يزيد الإمام كل يوم رفعة.

٦. إبداء خصائص الإمام الذاتية في الصيانة وحسن السمت والعلم

المناقب + المجلسي / البحار ٣٢٥/٥٠.

(١) القطب الراوندي / الخرائج والجرائح ١٠٩/٣ + المجلسي / البحار ٥٠/٥٢.

والعبادة.

٧. الإشارة أن أولياء الإمام لا يخدعون عن الإمام لعلمهم بموقع الإمام.

٨. من كان عند الشيعة بمنزلة الإمام فلا حاجة به للسلطان.

٩. من لم يكن عند الشيعة بمنزلة الإمام، ولم يكن فيه ما في الإمام من خصائص، فلا تغني عنه السلطات في ذلك شيئاً.

ثالثاً: هنالك شهادات من قبل غير المسلمين في حق الإمام الحسن العسكري عليه السلام تبيّن لنا مدى ذيوع صدى الإمام الديني في الآفاق، وتكشف عن الإجماع الإنساني على علمه ونصحه ومعروفه، مما قد ينجم عنه الصلاح والإصلاح، ويتسبب فيه نوع من الهداية إلى سواء السبيل، أو أنه يتجلى عن أثر عميق في معارف الإنسان، ونقتصر على نموذجين في هذا الاتجاه الجديد في حياة الإمام على سبيل الأنموذج.

الأول: ويتمثل فيما أفاده طبيب البلاط العباسي المعروف «بختيشوع النصراني» من بيان معرفي في شأن الإمام حينما طلب إليه أن يتطبب على يد أحد تلامذته المتخصصين، واستجاب بختيشوع فاستدعى أحد تلامذته وانتدبه لهذه المهمة، وطلب إليه أن لا يعترض على ما يأمر الإمام قائلاً: «طلب مني ابن الرضا من يفصده فصِرْ إليه، وهو أعلم في يومنا هذا بمن تحت السماء، فاحذر أن تعترض عليه فيما يأمرك به.[1]

الثاني: إسلام دير العاقول على يدي الإمام حينما أبصر براهين الإمام وكراماته، فخلع بزة النصرانية، ولبس ثياباً بيضاء.

ولما سأله بختيشوع عما أزاله عن دينه، قال صادعاً بالحقيقة: «وجدت المسيح أو نظيره فأسلمت على يده (يعني الإمام) وقال: وهذا

(١) ظ: الكليني / الكافي ٥١٢/١.

نظيره في آياته وبراهينه، ثم انصرف نحو الإمام ولزم خدمته إلى أن مات.[1]

(١) ظ : القطب الراوندي / الخرائج والجرائح ١/٤٢٢.

الإمام في لغة التأريخ وألسنة الرواة

في صفحات التأريخ شذرات لامعة تشهد للإمام العسكري بأصالة المحتد، وعظيم المنزلة، وعلى ألسنة الرواة من المسلمين جاء ذكره عطراً موشحاً بشتى الصفات المؤهلة لمنصب الإمامة الحقة، واقتصر البحث على نماذج من هذه الشهادات الرائعة إكمالاً لمتطلبات الموضوع.

الشيخ المفيد يتحدث: والشيخ المفيد (ت٤١٣ هـ) في كتابه الجليل (الإرشاد) جزل العبارة، موجز البيان، عجيب الديباجة، فقد اختصر تأريخ الأئمة الاثني عشرعليهم السلام في كتاب تجاوز الأربعمائة صفحة بقليل، وأتى فيه باللباب النافع وجوهر القول، بعيداً عن الإسهاب المملّ أو الإيجاز المخلّ، وما أفاده جاء متسلسلاً عن شيوخه حتى عصر الغيبة الصغرى، وهو قريب العهد من ذلك، حتى يتصل ذلك بالمعصومين مباشرة، وكان في إيراده للروايات دقيق السند وبطرق متعددة، وما يفيده من قول كان نتيجة منطقية لتلك الإفاضات العلمية التي تلقاها من منابعها، وأحكم فيها القول رقيقاً مهذَّباً، وأنيقاً معتبراً وهو يتحدث عن الإمام الحسن العسكري، مستدلاً على إمامته بالقول:

«وكان الإمام بعد أبي الحسن علي بن محمدعليه السلام ابنه أبا محمد الحسن بن عليعليه السلام، لاجتماع خلال الفضل فيه، وتقدمه على أهل عصره كافةً، فيما يوجب له الإمامة، ويقتضي له الرياسة من العلم والزهد

وكمال الفضل والعصمة والشجاعة والكرم وكثرة الأعمال المقربة إلى الله جلّ اسمه، ثم لنصّ أبيه وإشارته بالخلافة إليه.»(١)

رشيد الدين السروي يستدل: واستدل رشيد الدين، أبو عبد الله محمد بن علي السروي المعروف بالإمام الحافظ ابن شهراشوب (ت ٥٨٨ هـ) على إمامة الحسن العسكري عليه السلام: «بطرق العصمة والنصوص، وبما استدل على أمير المؤمنين بعد النبي بلا فصل، وكل من قطع على ذلك قطع على أن الإمام بعد علي بن محمد، النقي الحسن العسكري، وقد صحت إمامته بطريق النصّ عن آبائه عليهم السلام من المؤالف والمخالف.

وهو الحسن الهادي بن علي المتوكل بن محد القانع بن علي الوفي بن موسى الأمين جعفر الفاضل بن محمد الشبيه بن علي ذي الثفنات بن الحسين السبط بن علي أبي تراب فتّاح الأبواب.

وقال في صنعة الإمام العسكري إنه: «مذلل الصعاب، نقي الجيب، بعيد الريب، بريء العيب، أمين على الغيب، معدن الوقار بلا شيب، خافض الطرف، واسع الكفّ كثير الحياء، كريم الوفاء، عظيم الرجاء، قليل الإفتاء، لطيف الغذاء، كثير التبسم، جميل التنعم، سريع التحكّم، أبو الخلف، المكّنى أبو محمد.»(٢)

والملاحظ في هذا النص عدة إشارات ذكيّة وسمات مميزة:

الأولى: أنه استدل على إمامة العسكري بالعصمة والنصوص، وبما استدل به على إمامة أمير المؤمنين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل، وهذا ملحظ جيد في الاستدلال على الإمامة على ثلاثة مستويات.

الثانية: أنه استعمل الألقاب الأخرى لكل إمام دون الشائع منها،

(١) المفيد / الإرشاد / ٣٧٧.

(٢) ابن شهراشوب / المناقب ٣/٥٢٣ ـ ٥٢٤.

ليضيف زخماً جديداً في تنبيه الأمة على خصائص الأئمة بما توحي هذه الألقاب من مميزات ومآثر، فلقّب العسكري بالهادي، ولقب الهادي بالمتوكل، ولقب الجواد بالقانع، ولقّب الرضا بالوفي، ولقّب الكاظم بالأمين، ولقّب الصادق بالفاضل، ولقب زين العابدين بذي الثفنات، ولقّب سيد الشهداء بالسبط. وكنّى أمير المؤمنين بأبي تراب، ولقّبه بفتّاح الأبواب. وكان رشيد الدين رشيداً موفقاً بهذا الاختيار في دلائله.

الثالثة: أن المؤلف جرى على ما جرى عليه معاصروه من توالي الأسجاع، ومقابلة الصفات، وترادف الألفاظ.

الرابعة: وصف المؤلف الإمام العسكري بأنه (قليل الإفتاء) وهو من بليغ القول إيجازاً للتعبير عن أمرين:

الأول: قصر عمر الإمام عليه السلام.

الثاني: شدّة الرقابة المفروضة عليه.

كمال الدين الشافعي يُذكّر: وذكّرنا بأبوة الإمام العسكري لصاحب الأمر، كمال الدين: محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ) فقال عن الإمام الحسن العسكري:

«فاعلم أن المنقبة العليا والمزية الكبرى التي خصه الله عزّ وجلّ بها، وقلّده فريدها، ومنحه تقليدها، وجعلها صفة دائمة لا يُبلى الدهر جديدها، ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها: أن المهدي محمداً نسله، المخلوف منه، وولده المنتسب إليه، وبضعته المنفصلة عنه.»[١]

إن هذا التذكير له أهميته الموضوعية في ترجمة الإمام العسكري، فهو الإمام الحادي عشر من المعصومين، لأن ولده المهدي هو الإمام

(١) ابن طلحة الشافعي / مطالب السؤول ١٤٨/٢.

الثاني عشر، وهذا تسلسل الأئمة، وأنه نسل الإمام المخلوق منه ردّاً على من زعم أن المهدي سيولد في مستقبل الأيام، بل هو وُلِدَ وهو وَلَد العسكري الصلبي المنتسب إليه مباشرة، والبضعة الجسدية المنفصلة عنه.

وقد عدّ الشافعي بحقٍ ذلك منقبة عليا ومزية كبرى خصّ بها الله تعالى الإمام الحسن العسكري أن جعل من يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ولده الخالص النسب، وأن تلك المنقبة وهذه المزية دائمة الأثر خالدة الذكر لبقائها مع الأجيال، لا يبلى الدهر جديدها، ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها، بتعجيل الفرج تارةً، وبانتظاره تارةً أخرى، وذلك ما قُلّدَ به الإمام الحسن العسكري تقليداً فريداً، نطلّ به على الإمام المهدي عياناً.

سبط ابن الجوزي يروي عن جدّه: أما العلامة المعروف بسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) فهو يصف الإمام الحسن العسكري بأنه كان عالماً ثقةً... روى الحديث عن أبيه عن جدّه، ومن جملة مسانيده الفريدة حديث في الخمر عزيز، ذكره جدي أبو الفرج (ابن الجوزي) في كتابه المسمى بـ: (تحريم الخمر) ونقلته من خطِّه، وسمعته يقول:

«أشهد بالله لقد سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي يقول:

أشهد بالله لقد سمعت عبد الله بن عطاء الهروي يقول:

أشهد بالله لقد سمعت عبد الرحمن بن أبي عبيد البيهقي يقول:

أشهد بالله لقد سمعت محمد بن الحسين العلوي يقول:

أشهد بالله لقد سمعت أحد بن عبد الله السبيعي يقول:

أشهد بالله لقد سمعت الحسن بن علي العسكري يقول:

أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن محمد يقول:

أشهد بالله لقد سمعت أبي محمد بن علي بن موسى الرضا يقول:

أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن موسى يقول:

أشهد بالله لقد سمعت أبي موسى يقول:

أشهد بالله لقد سمعت أبي جعفر بن محمد يقول:

أشهد بالله لقد سمعت أبي محمد بن علي يقول:

أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن الحسين يقول:

أشهد بالله لقد سمعت أبي الحسين بن علي يقول:

أشهد بالله لقد سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول:

أشهد بالله لقد سمعت محمداً رسول الله ﷺ يقول:

أشهد بالله لقد سمعت جبرئيل يقول:

أشهد بالله لقد سمعت إسرافيل يقول:

أشهد بالله على اللوح المحفوظ أنه قال:

سمعت الله يقول: شارب الخمر كعابد الوثن.»

قال سبط ابن الجوزي، ولمّا روى جدي هذا الحديث في كتاب تحريم الخمر، قال: قال أبو نعيم العضل بن دكين هذا حديث صحيح ثابت روته العترة الطيبة الطاهرة، ورواه جماعة عن رسول الله ﷺ، منهم: ابن العباس، وأبو هريرة، وأنس، وعبد الله بن أبي أوفى الأسلمي في آخرين»[1] وقد كان أبو الفرج ابن الجوزي دقيقاً في اختيار هذا الحديث وإثباته في تحريم الخمر، وكان سبطه موفقاً في إيراده تدويناً

(١) سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ٣٦٢ وما بعدها.

وسماعاً عن جده، وهو يصرح بما لا غبار عليه أن حديث الإمام الحسن العسكري حديث أبيه، وحديث أبيه حديث جده، وحديث جده ينتهي إلى الجد الأعلى أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين عليه السلام حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،وحديث رسول الله سماعٌ عن جبرئيل، وقول جبرئيل سماعٌ عن إسرافيل، وقول إسرافيل عن اللوح المحفوظ عن الله تعالى، فما أرقى هذا السند، وما أجلّ هذه الأسماء؟ وما أعظم هذا التراث المسند!!

علي بن عيسى الأربلّي يقرر: وقرر العالم المحقق علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلِّي (ت ٦٩٣ هـ) أن الإمام الحسن العسكري: «فارس العلوم الذي لا يجارى، ومبيّن غامضها فلا يجادل ولا يمارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب، مظهر الدقائق بفكره الثاقب، المطَّلع بتوفيق الله على أسرار الكائنات، المخبر بتوفيق الله على الغايبات، المحدّث في سرّه بما مضى وما هو آتٍ، والملهم في خاطره بالأمور الخفيات، الكريم الأصل والنفس والذات، صاحب الدلايل والآيات المعجزات، مالك أزمّة الكشف والنظر، مفسر الآيات وارث السادات الخيّر، ابن الأئمة أبو المنتظر، فانظر إلى الفرع والأصل، وجدّد النظر واقطع بأنهما عليهما السلام أضوأ من الشمس وأبهى من القمر، وإذا تبين زكاء الأغصان تبيّن طيب الثمر، فأخبارهم ونعوتهم عليهم السلام عيون التواريخ وعنوان السّير. شرف تتابع كابراً عن كابر، كالرمح أنبوباً على أنبوب، والله أقسم براً أن من عدّ محمداً جداً، وعلياً أباً، وفاطمة أماً، والأئمة آباءً، والمهدي ولداً، لجدير أن يطول السماء علاً وشرفاً، والأملاك سلفاً وذاتاً وخلفاً.

والذي ذكرته من صفاته دون مقداره، فكيف لي باستقصاء نعوته وأخباره، ولساني قصير، وطرف بلاغتي حسير، فلهذا يرجع عن شأو صفاته كليلاً، ويَتضاءل لعجزه وقصوره، وما كان عاجزاً ولا ضئيلاً،

وذنبه أنه وجد مكان القول ذا سعة فما كان قؤولاً، وأري سبيل الشرف واضحاً فما وجد إلى حقيقة مدحه سبيلاً، تقهقر وكان شأنه الإقدام، وأحجم مقرّاً بالقصور وما عُرف منه الإحجام، ولكن قوى الإنسان لها مقادير تنتهي إليها، وحدود تقف عندها، وغايات لا تتعداها، بوصفهم:

يفنى الـزمـانُ ولا يحيطُ بوصفهمْ

ويحيط مـا يفنى بما لا ينفد[1]

وهذا التقرير جاء منسجماً وحضارة عصر المؤلف وثقافة جيله في إحصاء المكارم واستقصاء الشمائل، والتأكيد على الفضل والعلم والحكمة، والاستطالة بالشرف والمحتد والسؤدد، مع مراعاة السجع وبراعة الاستهلال وحسن الختام، مضافاً إلى ما استوحاه من سيرة الإمام ومميزاته في الحلم والزهد واستقراء عوالم الكون، والوقوف على أسرار المغيبات مع كرم الأصل وطيب النفس وبراهين الذات، ذاكراً آباء الإمام وأجداده، مصرّحاً بولده المهدي المنتظر، واصفاً عجزه في البيان عن أداء متطلبات النعوت والأخبار، فاللسان قصير والطرف حسير.

ابن الصبّاغ المالكي يستند: واستند الشيخ العلامة علي بن محمد بن أحمد المالكي الشهير بابن الصباغ (ت ٨٥٥ هـ) على ما قرره الأربلّي في كشف الغمة، واقتطف من تقريره ما أضاء به «الفصول» ونوّر في دلائله العقول، فقال: «مناقب سيدنا أبي محمد الحسن العسكري دالة على أنه السري ابن السري، فلا يشك في إمامته أحد ولا يمتري، واعلم أنه إذا بيعث مكرمةً فسواه بائعها وهو المشتري، واحد زمانه من غير مدافع، ونسيج وحده من غير منازع، وسيد أهل عصره، وإمام أهل دهره، أقواله سديدة، وأفعاله حميدة، وإذا كانت أفاضل زمانه قصيدة، فهو بيت

(١) الأربلّي / كشف الغمة ٣/٢٣٠ ـ ٢٣١.

القصيدة، وإن انتظموا عقداً كان مكان الواسطة الفريدة.»[١]

وواضح من هذا العرض أنه اتكأ فيه على الأربلّي فيما قرره عن الإمام الحسن العسكري.

علماء أجملوا القول: وهناك جمهرة من العلماء والرواة والمؤرخين قد اختصروا البيان وأجملوا القول في الإمام الحسن العسكري، اكتفاءً منهم بعظيم مقامه، واتقاءً من سلاطين الجور، أو استطراد كما يشاء مقتضى الحال، فقد قال عنه الشيبراوي الشافعي شيخ الأزهر: «الحادي عشر من الأئمة: الحسن الخالص، ويلقب بالعسكري، ويكفيه شرفاً أن الإمام المهدي المنتظر من أولاده (لا ولد سواه) فلله درّ هذا البيت الشريف والنسب الخضم المنيف، وناهيك به من فخار، وحسبك فيه من علو مقدار..»[٢]

وقال ركن الدين الحسيني الموصلي:

«الإمام العسكري أبو محمد، مناقبه وفضائله وكراماته لا تحصى.. وإن المنقبة العليا التي خصّه الله بها وقلده بها: أن المهدي عليه السلام هو ولده..»[٣]

وقال القطب الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) :

«هو من تعظمه الخاصة والعامة... ويبجلونه ويقدرونه لفضله، وعفافه، وهديته، وصيانته، وزهده، وعبادته.. كان جليلاً نبيلاً فاضلاً كريماً، يحتمل الأثقال، لا يتضعضع للنوائب.»[٤]

(١) ابن الصباغ / الفصول المهمة / ٢٩٠ وانظر: الأربلّي / كشف الغمة ٢٣٠/٣.

(٢) الشبراوي / الإتحاف بحب الأشراف / ١٨٧.

(٣) ظ: باقر شريف القرشي / حياة الإمام الحسن العسكري / ٦٦ وانظر مصدره.

(٤) القطب الراوندي / الخرائج والجرائح ٩٠٢/٢.

وقال أبو محمد، عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) : «الشريف العسكري، أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق أحد الأئمة الإثني عشر..»[١]

وقال العباس بن نور الدين المكي:

«أبو محمد الإمام الحسن العسكري: نسبه أشهر من القمر ليلة أربعة عشر، يعرف هو وأبوه بالعسكري، وأما فضائله فلا يحصرها اللسان.[٢]

وقال النسابة ابن شدقم:

«كان الحسن العسكري: إماماً هادياً، وسيداً عالياً، ومولى زكياً.»[٣]

وقال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني:

«الحسن العسكري أحد أئمة ساداتنا آل البيت العظام، وساداتهم الكرام، رضي الله عنهم أجمعين...

وأحببنا أن نزور الحسن العسكري وخرجنا إلى زيارته، فحينما دخلنا على قبره الشريف، حصلت لي روحانية لم يحصل لي قبلها قط... وهذه كرامة له.»[٤]

وقال الأستاذ البستاني:

«الحسن الخالص بن علي الهادي.. ذكروا له كثيراً من المناقب المعروفة في أهل هذا البيت الطالبيين، وظهر عليه الفهم والحكمة منذ

---

(١) اليافعي / مرآة الجنان ١٧٢/٢.

(٢) المكي / نزهة الجليس ١٨٤/٢.

(٣) ظ : القرشي / حياة الإمام الحسن العسكري / ٦٦ وانظر مصدره.

(٤) النبهاني / جامع كرامات الأولياء ٣٨٩/١.

حداثته...»[١]

(١) البستاني / دائرة المعارف ٤٥/٧.

وللمعاصرين آراؤهم في الإمام

تعقّب جملة من أعلام المعاصرين تلك المسيرة النيرة للإمام الحسن العسكري عليه السلام، وتدارسوا بعض الصفحات القيمة في حياته القصيرة، ووقفوا عند عطائها خاشعين، واستنبطوا خلاصة مثمرة من إمدادات الإمام التراثية لها أهميتها في التقييم المستقل، صادرة عن باحثين عرفوا بالأصالة والموضوعية، فالعلاقة السيد محسن الأمين الحسيني العاملي ذهب إلى أدلة إمامته في مستويات:

النص عليه من أبيه بالإمامة بشهادة السلف من معاصري الإمام، وأنه أفضل أهل زمانه لاجتماع خلال الفضل فيه، وتقدمه على أهل عصره كافة.

ظهور المعجزات على يديه، وقيام الكرامات الدالّة عليه، وأعطى لذلك نماذج حيّة تشهد بصدق الدعوى، متحرياً في ضبطها صحة السند، وسلامة الأصل، ووثاقة الرواة، وفيه مؤشرات بارزة من العلم اللّدني عند الإمام، ولمح الغيب في إطار جديد.

تقدّم الإمام عليه السلام في شتى أنواع العلوم التي ملأت بطون الدفاتر على حد تعبيره.

الإشارة إلى لمحات من سيرته تغنى بالحلم والسماح واليسر، مؤكداً بالنصوص على أن الإمام لا يتكلم ولا يتشاغل إلا بالعلم والعبادة، ملوّحاً بشمائل كرمه وسخائه وإعالة الفقراء.[1]

وأوجز الأستاذ خير الدين الزركلي بالقول:

«الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد الهاشمي: أبو محمد الإمام الحادي عشر عند الإمامية، بويع بالإمامة بعد وفاة أبيه، وكان على سنن سلفه الصالح تقى ونسكاً وعبادة.»[2]

ويرى الأستاذ باقر شريف القرشي أن الإمام الحسن العسكري من أئمة أهل البيت الذين حملوا رسالة الإسلام، وتبنوا أهداف الدين الحنيف، ووهبوا حياتهم في سبيله، ووطنوا أنفسهم لمواجهة الكوارث وتحدي الصعاب والشدائد من أجل نشر قيمه وأهدافه... وعدّ هذا الإمام العظيم فذاً من أفذاذ العقل البشري بمواهبه وطاقاته الثقافية والعلمية.

واعتبره أحد أبطال التأريخ الشجعان لصمده أمام الأحداث بإرادة صلبة واجه بها الحكم العباسي المنحرف، ثائراً على نظمه الفاسدة، ساعياً إلى تحقيق العدل بين الناس. وهو أعلم الناس بشؤون الدين وأحكام الشريعة، وقد احتاج علماء عصره إليه، ولم يحتج أحداً منهم، فقد نهلوا من نمير علومه.

وكان أعبد الناس وأشدهم حريجة في الدين، وقد آثر طاعة الله على كل شيء، وكان أحلم الناس وأكظمهم للغيظ، وقابل الإساءة بالصفح. وأشاد بكرمه وجوده وإعانة الفقراء والمحتاجين، وقد نصب وكلاء في كثير من مناطق العالم الإسلامي وعهد إليهم بتوزيع الحقوق التي ترد

---

(١) ظ: أعيان الشيعة / ق ٣ / ج ٤ / ٢٩٢ وما بعدها.
(٢) الأعلام ٢/٢١٥.

إليه على فقراء المسلمين وضعفائهم، مما أوجب إنعاشهم وإنقاذهم من البؤس والحرمان، في حين كان يعيش عيشة الفقراء، فلم يحفل بأي شيء من متع الدنيا وملاذها... وكان من الطبيعي تقدير الأمة بجميع طبقاتها للإمام، وتعظيمها له، فقد وقفت على هديه وصلاحه وعزوفه عن الدنيا، واستبان لها أنه بقية الله في أرضه، والممثل الوحيد لجده الرسول الأعظمﷺ، فقد تبنى القضايا المصيرية للعالم الإسلامي، نادى بحقوق الإنسان، فأجمعت الأمة على الولاء له، والاعتراف بقيادته العليا لها.[١]

وفي سياق الحديث عن نشأة الإمام الحسن العسكري عرض السيد محمد كاظم القزويني رحمه الله لجزء من المثل العليا التي امتاز بها الإمام فقال: «في ذلك البيت المنزّه عن كل شائبة... نشأ ذلك المولود المطوق بهالة الشرف الرفيع، وترعرع في حجر والده الأقدس الأطهر، يشمّ نسيم الإمامة الكبرى، وتغمر قلبه أنوار الولاية العظمى، ويرتضع من صدر أم من أطهر أمهات ذلك العصر، ويتغذى بأنواع الحكمة والمعرفة. قد أكمل الله له العقل والإدراك، وأتم له العلم بجميع معنى الكلمة، إذ بلغ ذروة العظمة منذ خلقه الله، وامتاز عن أبناء زمانه بفضائله وفواضله. جعله الله امتداداً لخط الإسلام الصحيح، وانتجبه حاملاً لشريعته، واصطفاه حافظاً لدينه وكتابه، إماماً، ونوراً لبريته، وملاذاً ومناراً لعباده وبلاده.»[٢] وفي سلسلة أعلام الهداية وصف الإمام الحسن العسكري بالقول: «لقد كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام أستاذ العلماء، وقدوة العابدين، وزعيم المعارضة السياسية والعقائدية في عصره، وكان يشار إليه بالبنان، وتهفو إليه النفوس بالحب والولاء، كما كانت تهفو إلى أبيه وجدّه اللذين عرف

(١) ظ: باقر شريف القرشي / حياة الإمام الحسن العسكري / ٩-٧.
(٢) محمد كاظم القزويني / الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحد / ١٠-١١.

كل منهما بابن الرضا عليه السلام.

كل هذا رغم معاداة السلطة لأهل البيت عليهم السلام...

لقد خاض الإمام الحسن العسكري عليه السلام كآبائه الكرام ملحمة الكفاح السياسي لمواجهة الظلم والإرهاب والتلاعب بالسلطة... فحافظ على أصول الشريعة والقيم الرسالية، ومهّد بذلك خير تمهيد لعصر الغيبة الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام عن حتميته وضرورته.

وقد زخرت مدرسة أهل البيت في عصر الإمام العسكري بالدعوة إلى خط أهل البيت في عصر الإمام العسكري بالدعوة إلى خط أهل البيت، وبالعلم والدفاع عن الشريعة الإسلامية من خلال كوكبة أصحاب الإمام ورواة حديثه وطلاب مدرسته.

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام جادّاً في الدفاع عن الشريعة، ومحاربة البدع، وهداية المترددين والشاكّين وجذبهم إلى حضيرة الدين.»[١]

أمّا فقيد العلم والأدب الشيخ محمد حسن آل ياسين طاب ثراه (ت ١٤٢٧ هـ) فقد عرض ما تسالمت عليه الأقوال، وتواترت، من كفاية الإمام العسكري للإمامة، وأهليته لذلك المنصب باجتماع الصفات المجمع على وجوب إحرازها في شخص المرشح لهذا المنصب الخطير.[٢]

واعتبر أن نصّ الإمام السابق على اللاحق الذي يليه ـ كما نص الهادي على العسكري ـ في هذا المركز الشرعي البالغ الشأن، لا يعني أنه تعيين شخصي منه بإشاءته الذاتية، واختيار مدفوع إليه برغبته الفردية، على الرغم من إيماننا المطلق بنزاهة جميع أفعال الأئمة وأقوالهم

---

(١) المجمع العالمي لأهل البيت / الإمام الحسن بن علي العسكري / ١٨ـ١٩.

(٢) ظ : محمد حسن آل ياسين / الإمام الحسن بن علي العسكري /٩.

واختياراتهم من إملاءات الميل العاطفي المنعزل عن أحكام الدين، وسنن الشرع الثابتة المقرررة.[1]

وفي ضوء ما تقدم... تكون الإمامة التي آمنا بها ـ باعتبارها نيابةً عن الرسول ﷺ وولاية للأمر، وإمارة للمؤمنين ـ جزءاً لا يتجزأ من مجمل مجموع التكاليف الدينية التي أمرنا الله باتباع النبي فيها حرفياً، وقد نصّ النبي ﷺ بإجماع المسلمين أن الأئمة من قريش، وعلى أن عددهم اثنا عشر إماماً.[2]

ولما توفي الإمام الهادي آلت شؤون الإمامة بكل أثقالها ومسؤولياتها إلى الإمام العسكري وأخذت رحلة معاناته ومتاعبه تزداد شدةً وعنفاً، وتتصاعد ضغطاً وجهداً...[3] هذا مع الإجماع على أوليته وأولويته بهذا المنصب دون سواه.

(١) المرجع نفسه / ٣١ .
(٢) المرجع نفسه / ٣١ـ٣٢ .
(٣) المرجع نفسه / ٤٢ .

الفصل الثاني

ظواهر عصر الإمام العسكري

١. تداعي هيبة الحكم.

٢. حياة اللهو والعبث والاستئثار وإنكار الإمام.

٣. الاضطهاد السياسي.

٤. موجات الانحراف والأفكار الوافدة.

٥. مجابهة الإمام العسكري للتضليل العقائدي.

٦. التلاقح الفكري بين الأمم.

٧. الشبهات لدى السواد العظم.

٨. محاولة معارضة القرآن.

٩. التطرّف في النزعات الصوفية.

١٠. المغالاة في أهل البيت.

١١. ملاحقة الواقفة فكرياً.

تداعي هيبة الحكم

كان من ابرز ظواهر عصر الإمام الحسن العسكري لدى تسنمه منصب الإمامة، أن اتسعت المفارقات في أجهزة النظام العباسي، وأدت إلى تداعي هيبة الحكم بصورة لا مجال لإخفائها والتستر عليها، فقد تدنت مقدرة السلطان في القرار، وضعفت القيادة العامة للدولة، وتبددت أوصالها نتيجة تحكم الأتراك في مفاصل الحكم كافة، واستبعاد العرب إلاّ نادراً منذ عهد المعتصم العباسي حتى نهاية عصر المعتمد الذي اغتال الإمام عليه السلام.

لم يكن القرار طيلة هذه الفترة مركزياً، بل كان متعدد الصدور من جهات مختلفة تمثل إداراتٍ متضاربة، وكانت سيطرة الأتراك متطاولة على قيادة الجيش، ومرافق الدولة، وبيوت الأموال، وشؤون الأمة فكان نصب الولاة، وتعيين القضاة وعزل الأمراء، وترجيح الوزراء من أبرز ظواهر العجز الإداري لسلاطين بني العباس الذين انهمكوا في الملذّات والملاهي، وتوسعوا في بناء القصور والمنتجعات، وتفننوا في توفير مسارح اللهو العارم، وانشغلوا بالنساء والجواري والقيان والغلمان عن إدارة الدولة، وهذا يعني أنهم ألقوا الحبل على الغارب، وتفرغوا لشهواتهم الذاتية، فاستغل الأتراك هذا الانهماك، وتسارعوا إلى تسلم زمام المبادرة في توجيه الحكم أنى شاؤوا، وطال هذا الإجراء المركز

الرئيسي في الدولة وهو الخليفة، فخلعوا من شاؤوا من الخلفاء، وأقروا من أرادوا منهم، حتى إذا أدرك العباسيون فداحة الأمر، وأحسوا بتفاقم الخطر استعانوا بالمغاربة والفراغنة، واستعاضوا عن العرب والفرس بالمرتزقة من القوّاد والجنود، فكان ذلك مما أوقع النظام العباسي في ورطة إدارية كبرى، وصراع مرير على السلطة، حتى طمع فيها كل قاصر ونؤومة، وقد نجم عن ذلك إعلان العصيان المسلح من قبل طائفة من الولاة والعمّال في القصبات نتج عنه قيام دويلات متناثرة هنا وهناك، وأعلنت استقلالها في أجزاء من الدولة الإسلامية في شرق البلاد وغربها.

لقد ساعد هذا المناخ الملتهب على قيام حركات التمرد الانفصالية عن كيان البلاط العباسي وخلفاء بني العباس، وأدّى إلى تكاثف مظاهر الاستنكار من قبل شرائح الشعب المسلم، بل أسفر عن حمل السلاح وشهره في وجه الحاكمين، فالخوارج في حركات قتالية متتابعة، وصاحب الزنج في سيطرة مريعة على البصرة والبطائح والأهواز، والدماء والحرائق والنهب والإغارات في سباق مستمر من عام ٢٥٥ هـ حتى نهاية عام ٢٧٠ هـ، ومعنى هذا أن الاضطراب شمل خمسة عشر عاماً من الزمان، لا أمان فيها ولا استقرار، يضاف إلى ذلك مظاهر الانشطار المذهبي والانقسام الطائفي بين أبناء الدين الواحد، مما أدّى إلى تفكك المسلمين وانقسامهم إلى كتل وأحزاب وأقليات، وكلٌّ يعلن احتجاجه تارةً، ويطالب بحقوقه تارةً أخرى، أو يقوم بحركة دموية أو إبادة جماعية، وما أكثر ذلك، فعاد الناس في خبط ومفارقات أطلّت بهم على عالم كئيب من المتاهة التي لا أول لها ولا آخر.

وهذا لا يعني أن العباسيين كانوا يلتزمون مذهباً دينياً لغاية دينية أو بدافع إيماني، بل يتابعون الفرق المنظمة لغايات سياسية معينة، أبرزها طمس ما لأهل البيت من معالم، وتشريد كلّ من يمتّ إليهم بسبب أو

نسب، وملاحقة أولياء آل محمد تحت كل حجر ومدر، فنشأت في ظلال هذا الظلم المقيت تنظيمات أقضّتْ مضاجع قادة الحكم، بعضها علنية وأخرى سريّة، وكلها تزعزع النظام وتربك مسيرة الطواغيت في الانفراد بالسلطة قهراً، وتتخبط تخبط عشواء في إدارة دفّة الحكم مما أدى إلى تعدد الجبهات في استصدار القرار، وكانت تلك القرارات متضاربة في إصداراتها، فللبلاط رأي، وللأتراك آراء، وللمغاربة آراء أخرى، وهذا مما ساعد على إسقاط هيبة الحكم، وأسهم في تعقيد الإجراءات التي لا همّ لها إلاّ الاضطهاد والعنت السياسي والجور المنظّم تجاه العدو الأول لأنظمة الجبابرة، وهم مشخّصون لديهم، إنهم أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم المقربون.

لقد عانى الأئمة الطاهرون كثيراً من الحيف والحصار والرقابة وظلمات السجون، والنظام العباسي يتحمّل مسؤولية ذلك الاعتساف بكل صوره ومخلفاته، فقد ساند القوى الداخلية والعناصر الأجنبية متضافرةً لإعلان الحرب ضد مبادئ أهل البيت بأشخاصهم وأتباعهم وجاهر بعدائهم، فجرى ما جرى للإمام الجواد عليه السلام حتى استشهد سميماً في ريعان الشباب، كما اهتضم وقتل الإمام علي الهادي عليه السلام غيلةً، وألقى النظام أخيراً بثقله في اختلاق المبررات لإثارتها شعواء مخزية ضد الإمام الحسن العسكري لأنه والد المنقذ المنتظر، وذلك ما أدّى إلى تصاعد النضال المسلح لجملة من الثوار الطالبيين الذين دعوا صراحة إلى الرضا من آل محمد، ومعنى هذا أن القائم بشؤون الدولة فعلاً ليس رضا لآل محمد، وهذا ما يفرق منه النظام لأنه قام على ذلك الشعار في بداية الدعوة العباسية، وحاول التغطية المعمّاة باستمراريته لإغراء السذج والبسطاء بصحة الدعوة وهي كاذبة لا أساس لها من الصحة قديماً وحديثاً.

وكان لسياسة العزل والنصب والاستبدال أثرها الفاعل في إنهاء هيبة الحكم العباسي، فالخليفة أداة مصغّرة بيد القوى الإجرائية من الأتراك والموالي والرقيق وسواهم من الخدم والحشم من ذوي النفوذ، هذا فضلاً عن قادة الجند وأمراء الجيش ورعيل الكتاب والوزراء.

لقد صوّر الشاعر العباسي الخليفة العباسي المستعين، ولا أمر بيده بين وزير متنفذ، وقائد متسلط، فقال:

خليفةٌ في قفصٍ
بين «وصيف» و«بغا»
يقولُ ما قالا له
كما تقول الببغا[1]

ومن المشين حقاً على الحكم أن يعبر المعتمد العباسي عن تدني سلطته وتلاشي هيبته، وتداعي صلاحيته فيقول:

أليس من العجائبِ أن مثلي
يرى ما قلَّ مُمتعاً عليهِ
وتؤخذُ باسمِهِ الدنيا جميعاً
وما منْ ذاك من شيءٍ في يديهِ[2]

لقد عاصر الإمام الحسن العسكري سنتين من خلافة المعتز في حياة أبيه الإمام الهادي، وأواخر خلافته في حقبة إمامته، وفي كلا الأمرين فقد رافق عهد المعتزّ بمضاعفاته كافةً، ولا نريد هنا أن نسلط الضوء على معاناة الإمام منه، ولا تصوير طغيانه المنقطع ـ النظير فذلك ما سيأتي بموقعه من هذا الكتاب بإذن الله تعالى ـ بقدر ما نريد أن نقول إن

(١) المسعودي / مروج الذهب ٦١/٤.
(٢) الشابشتي / الديارات /١٠١.

هذه الكبرياء وذلك الطغيان إنما كان منصبّاً على أهل البيت وأوليائهم، لأن جميع المتنفذين متَّحدون على جربهم، وفيما عدا ذلك فالمعتز وغير المعتز من بني العباس إنما هم دمية بيد الأتراك لا حول لهم ولا طول، وكل منهم سليب الإرادة ضعيف السلطة إلاّ في عداء الأئمة الطاهرين.

ومن طريف ما يذكر لدى استخلاف المعتز من قبل الأتراك ما أورده ابن الطقطقى، قال:

«لما جلس المعتز على سرير الخلافة، فقد حضر خواصه وأحضروا المنجمين، وقالوا لهم: انظروا كم يعيش؟ وكم يبقى في الخلافة؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء، فقال: أنا أَعْرَفُ من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته!!

فقالوا: فكم تقول إنه يعيش؟ وكم يملك؟

قال: مهما أراد الأتراك!!

فلم يبق أحدٌ إلاّ ضحك.»[1]

وهذا القول يكشف لنا مدى تسلط الأتراك حتى عاد الخليفة ـ وهم نصبوه ـ يفرق منهم ويخشاهم، لأنه أسيرٌ بين أيديهم، ولهم الاستقلال بالحكم.

«كان المعتز يخاف الأتراك ويخشى بأسهم، ولا يأمن جانبهم، وكان بغا الصغير ـ وهو أشدّ هؤلاء خطراً ـ أحد قواد الجيش الذي أسهم في قتل المعتز مع جماعة الأتراك، بعد أن أشهدوا عليه بأنه قد خلع نفسه.»[2] وبويع المهتدي العباسي، وهو محمد بن الواثق بن المعتصم بعد قتل المعتز «وماقبل ببيعته، حتى جيء بالمعتز واعترف أمامه أنه: عاجزٌ عن

(١) ابن الطقطقى / الفخري في الآداب السلطانية /٢٢١.

(٢) .المجمع العالمي لأهل البيت / الإمام الحسن بن علي العسكري /١٠٧.

الخلافة، ومدّ يده فبايع المهتدي، فارتفع حينئذٍ إلى صدر المجلس، وتم استخلافه.»[١] وتصنَّع المهدي بإظهار الزهد تضليلاً، وأظهر العداء المغلّف لقادة الأتراك وخشي منهم، فمقتل المتوكل أمامه، ومصرع المعتزّ بين يديه، فأمر بقتل موسى بن بغا الذي استولى على الأمر، وكان من أمراء الأتراك وقادة الجيش المبرزين!!

وتوقف القائد التركي «بكيال» عن قتل موسى بن بغا، وكان قد أمر بذلك، وعرف الهدف المبيت وراء ذلك في إلغاء دور الأتراك، وقال: «لستُ أفرح بهذا، وإنما هذا يعمل علينا كلنا.»!!

فأجمع الأتراك على قتل المهتدي، وحصل بينه وبين أنصاره قتالٌ مستطيرٌ حتى قُتلَ في يوم واحد أربعة آلاف من الأتراك وسواهم، ثم هُزِمَ جيش المهتدي المؤلف من المغاربة والفراعنة والأشروسنية، وأمسك على المهتدي، فعصر على خصيتيه حتى مات عام ٢٥٦ هـ.[٢] حتى إذا تسلم المعتمد بن المتوكل الحكم طيلة ثلاثة وعشرين عاماً (٢٥٦هـ ـ ٢٧٩ هـ) تدهورت هيبة الحكم، فقد انهمك في اللهو، وذاب في اللّذات، واشتغل عن الرعية بالموبقات.

واستولى الأتراك على كل شيء، فلم يكن رأيٌّ معهم، وكان أمامهم ضعيفاً مستضعفاً، حتى سئم المسلمون سيطرة المعتمد وأولياء أمره من الأتراك، وبدأت الثورات تتوالى، والكفاح المسلّح يتصاعد، وفي طليعة ذلك: ثورة الزنج في البصرة، وثورة علي بن زيد في الكوفة، وقد استمرت هذه الانتفاضات طيلة عصر الإمام العسكري وما بعده، حتى تلاشت هيبة الحكم، فيما بين سلطة الأتراك ولهيب الثائرين.

---

(١) السيوطي / تأريخ الخلفاء /٤٢٢.

(٢) ـ٣ المصدر نفسه / ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

حياة اللهو والعبث والاستئثار وإنكار الإمام

كان خلفاء بني العباس في بداية العصر العباسي الثاني معتقدين كأسلافهم أن لا نصيب لهم في الولاية الإلهية، ولا حق لهم في الإمامة الشرعية، فقد تناهت إليهم الأخبار الصحيحة بأن الأئمة من قريش، وأنهم إثنا عشر إماماً، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم محمد المهدي المنتظر، وليس للطلقاء نصيب من ذلك ولا لأولادهم، وأن الخلافة لا تحل لا للطلقاء ولا لأولادهم، والعباس أسر ببدر وأطلق.[١]

وكان بنو العباس كلّما قرب الزمن من عصر الإمام المنتظر (ع) ازداد قلقهم وكثر بطشهم، فعلى يديه يتم جلاء الظالمين من الحكم، وكان هذا الهاجس يثير الرعب والفزع في نفوس العباسيين، فيقابلونه بالشدة حيناً، وبالتعويض عن الفزع بالشهوات المحرمة، وقد اهتبلوا الفرصة بالإغراق بالعبث والفجور، والإسراف في اللهو والمجون، بما ذاع أمره وانتشر في الآفاق، حتى عاد عصرهم مضرب المثل في توفير أصناف اللذائذ الدنيوية، لاسيما لدى إمامة الحسن العسكري، فهو أبو الإمام المهدي مباشرة، ولم يبقَ إلا القليل عن إعلان إمامته، وقد جهلوا

(١) ظ : ابن سعد / الطبقات الكبرى ٣٤٢/٣ + ابن الأثير / أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣٨٧/٤ + ابن عساكر / تأريخ دمشق ١٤٥/٥٩ + السيوطي / تأريخ الخلفاء / ١١٣.

أن إمامته شيء، وأن قيامه بالسيف شيء آخر، فالأول إرادة تكوينية من الأساس، والثاني إرادة تشريعية غير محددة بوقت تنفيذاً لواجب الجهاد المقدس وإقامة دولة الحق بإشاعة الله تعالى وبأمره لدى استكمال متطلباته، ومع غياب هذا الفهم عند العباسيين، فقد أباحوا لأنفسهم كلّ الملذات المتاحة، وحشدوا قصورهم بآلاف الجواري والمغنيات «اللائي كن يحيين ليالي اللهو للخلفاء وغيرهم، وقد ارتفعت أسعارهن بشكل ملفتٍ للنظر.»[١]

وكانت الهبات لهذه الجواري لا تعدّ عدّاً، فقد تجاوزت حدّة المعتاد إلى التبذير، إذ وهب المتوكل لجاريته (فضل) مبلغ خمسين ألف درهم لإنشادها شعراً في مديحه.[٢] وكانت مملكة العباسيين في شهواتهم حكراً على هذه الجواري والمغنيات فضلاً عن موائد الخمور والقمار.

أورد الأستاذ القرشي صورة قرية الفضة، إذ صنع فيها كل شيء من الفضة في جميع ما تشتمل عليه القرى من بقر وغنم وجمال وجواميس، وما ينبت فيها من أغصان وأعناب وأشجار ومساحات أخرى، وقد وهبتها أم المقتدر لجاريتها المفضلة (نظم) لتسلمها إلى عشيقها أبي القاسم بن يحيى بمناسبة ختان ولده، وفيها ما لا رأت عين ولا سمعت أذن.[٣]

وقد سبق لنا في بحوث سابقة إيراد إسراف بني العباس في بناء القصور التي كلفت الدولة المليارات من الدنانير ذهباً، بما في ذلك ما اشتملت عليه من العاج والأبنوس الذين رصعت فيهما التماثيل إضافة إلى الذهب والفضة واللآلئ والجواهر والأعلاف.

---

(١) حسن ابراهيم حسن / تأريخ الإسلام السياسي ٤٣٥/٣.

(٢) ظ: ابن الساعي / نساء الخلفاء / ٨٦.

(٣) ظ: باقر شريف القرشي / حياة الإمام الحسن العسكري / ١٨٦ ـ ١٨٨.

وسيّدات البلاط العباسي كن يصبحن ويمسين بأبراد الديباج والحرير والإستبرق والمطرزات والوشي الثمين، مضافاً إلى التأنق في الأطعمة والأشربة والفواكه والمكسرات وأصناف الحلوى، فضلاً عن الإغراق في شرب الخمر، والاستعلاء بمظاهر الترف المفرط، والنعيم المسرف، وقد امتدّ هذا العبث من نساء الخلفاء إلى نساء الوزراء والولاة والكتاب وحتى القضاة.

وهناك إشارات في التأريخ وصل قسم منها، واختفى القسم الأكبر، فهي تعرض لمسيرة الخلفاء من بني العباس، والتي ينبغي أن لا تمسّ بسوءٍ في نظر المؤرخين الرسميين، وأتباع البلاط الدنيوي من وعاظ السلاطين وفقهاء الدولة.

ذكر التأريخ أن المعتزّ أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب، فقلّده الناس في التحلّي بالذهب.[١]

وقد تناسى الخليفة العباسي أن زينة الرجال الأدب، وزينة النساء الذهب.

وأما المعتمد، فقد شغف بالطرب ومعاقرة الخمرة ومجالس اللهو، وشغل بذلك عن الرعية وشؤونها، فكرهه الناس.[٢]

وقد استأثر بنو العباس بالطيبات من الأثاث والرؤى والمقتنيات، فسكنوا القصور الفارهة التي تضم الأعاجيب من الآثار والمشاهد والصور والرموز والتماثيل، كَبِرَكِ السباع، ومظاهر الاستقبال، وصالات الحريم، وإسالة المياه، وتنظيم الري للحدائق والبساتين داخل تلك القصور

---

(١) الطبري ٣٨٩/٩ + المسعودي / مروج الذهب ١٠٦/٤.

(٢) ظ: الطبري / تأريخ الأمم والملوك ٤٧٤/٩ + المسعودي / مروج الذهب ٣٨/٤ + ابن الطقطقى / الفخري ٢٢٠.

والمقاصير وخارجها، مما لم يخطر ببال، ذلك لهم ولنسائهم والجواري والغلمان والمغنيات وأتباع السلطان.

ولقد عانى ابن شاكر الكتبي كثيراً في التعبير عن مجامع قصر المتوكل الذي يسمونه بمحيي السنة، ووصف «المرج» بما لم يسبق إليه تاريخياً بما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فقال: «وقد بنى المتوكل قصره بالمرج، فجعل حيطانه من داخل القصر وخارجه ملبسة بالفسيفساء والرخام الملوّن، المذهّب، وجعل فيه صوراً عظاماً من الذهب، وجعل فيه شجرة عظيمة من الذهب عليها صورة كل طائر وهو يصوّت، مكللة بالجواهر... وجعل له سريراً من ذهب، يحمله صورة إنسان، وصورة أسد، وصورة ثور، وصورة نسر، وكلّ ذلك مرصّع بالجواهر، وقد شبّه سريره بكرسي سليمان بن داوود، وقد بلغت نفقاته على البناء والذهب والفضة: ألف ألف وسبعمائة دينار، وقد أمر أن لا يدخل القصر أحدٌ إلاّ وهو في ثياب من الديباج والوشي.

وقد أحضر أصحاب الملاهي والمعازف والمطبّلات، فلما جلس في هذه الجنّة، قال له الفتح بن خاقان: أرجو يا أمير المؤمنين أن يشكر الله لك بناء هذا القصر، فيوجب لك به الجنة!!

قال: وكيف؟ قال: لأنك شوقت الناس بهذا القصر إلى الجنة، فيدعوهم ذلك إلى الأعمال الصالحة التي يرجون بها دخول الجنة!! فسرّ المتوكل بذلك.»[1]

وانظر إلى هذا التزلف المخجل، وتزيين هذا الإسراف الهائل من قبل الفتح بن خاقان، فهو يرجو أن يشكره الله ـ وتعالى عن ذلك ـ على

(١) ظ : باقر شريف القرشي / حياة الإمام الحسن العسكري /١٩٢ عن عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٧٠/٦ مخطوطة مصورة في مكتبة الإمام أمير المؤمنين في النجف الأشرف.

إنشاء هذا القصر بما فيه من البدع والأباطيل ومصنفات الذهب والفضة والتماثيل والأعلاق الثمينة، لأنه ـ فيما يزعم ـ يذكّر الناس بالجنة التي وعد المتقون، فيعملون لها عملها، وكان الأجدر به أن ينصحه وينهاه عن تبذير أموال المسلمين الذي يورده النار قطعاً، لأنه لم يكن عن رأيهم، فكم من دمعة يتيم قد سالت وهي تترصد الرغيف من الجوع، وكم من أرملة انحدرت في متاهات الرذيلة طمعاً في القرص، وكم من مسكين حرم حتى من لقمة العيش الكفاف، والمتسلطون على بيت المال يتفننون ببناء هذه الصروح بهذه الصفات المذهلة!!

إن الاستئثار بأموال الفقراء واليتامى والمساكين وأبناء السبيل، جريمة كبرى شدّد الإسلام على اقترافها، فذلك عملٌ شائنٌ مجحف بحقوق الرعية؛ وإن الاستئثار بأموال الدولة من الخراج والفيء وبيت المال، خيانة لله ولرسوله في موارد حدّد الإسلام صرفها في موقعها؛ أما عند العباسيين ومن قبلهم الأمويين، فقد كان ذلك مسرحاً للنهب والجشع الذي لا مزيد عليهما، فقد استصفوا الذهب الأحمر والمجوهرات النفيسة لأنفسهم ونسائهم وولاتهم ووعاظ السلاطين وشعراء البلاط العباسي، وليس ذلك سراً أذعناه بل هو ممارسات سارت بها الركبان وحكتها شهرة واستفاضة، حتى عاد الملك في ضوء الواقع يمثل عصابات مدرّبة من اللصوص وذوي السوابق السيئة وهم يغيرون على ما خوّلهم الله به من مالٍ يصرف حيث وضعه الله تعالى، إلا أن الأيدي الأثيمة امتدت إلى هذا المال الحرام فاستأثر به جلاوزة السلطان، وعاد غنيمة باردة للجواري والقيان والمغنيات وحريم البلاط العباسي.

لقد وجد عند «قبيحة» جارية المتوكل وزوجته وأم ولده المعتز: مليون وثمانمائة ألف دينار ذهبي.(١)

---

(١) ظ: التنوخي / نشوار المحاضرة ٢٩٣/١.

وكانت أم المقتدر العباسي ذات أموال سائرة تمثل السحت الحرام والثراء الفاحش والغنى غير المشروع، حتى قال ابن الجوزي: «كانت لها أموال عظيمة تفوق حدّ الإحصاء، وكان يرفع لها من ضياعها في كل عام ألف ألف دينار.»[1]

ويبدو تأريخياً أن صالحاً ابن وصيف عامل العباسيين وأحد القوّاد الكبار قد تتبع «قبيحة» أم المعتز بعد قتله، فظفر بها واستولى على أموالها، فكانت تلك الأموال في جزء منها: خمسمائة ألف دينار وظفروا لها بخزائن تحت الأرض فيها أموال طائلة، ووجدوا لها تحت الأرض داراً فيها ألف ألف دينار من الذهب وثلاثمائة ألف دينار أخرى، ووجدوا في سفط قَدْرَ مكوكٍ «زمرداً» لم يرَ الناس مثله، وفي سفط آخر مكوكاً من اللؤلؤ الكبار، وفي سفط مقدار «كليجة» من الياقوت الأحمر الذي لا يوجد مثله، وحمل كل ذلك إلى صالح بن وصيف فسبّها، وقال: عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار، وعندها هذه الأموال.

وغادرت «قبيحة» سامراء وبغداد إلى مكة، فسُمعت وهي تدعو بصوتٍ عالٍ على صالح بن وصيف قائلة: اللهم خذْ صالحاً كما هتك ستري، وقتل ولدي، وشتَّت شملي، وأخذ مالي، وغربني، وركب الفاحشة مني.»[2]

هذا نموذج من نماذج الاستئثار بالمال، ونموذج آخر فيما أغدق فيه ملوك بني العباس على الشعراء المتسكعين على أبوابهم من الأعطيات الضخمة والهبات الجزيلة، فقد أمر المتوكل لأبي الشبل البرجمي بثلاثين ألف درهم لإنشاده ثلاثين بيتاً في مدحه.[3]

---

(١) ابن الجوزي / المنتظم ٢٥٣/٦.

(٢) ظ : ابن الأثير / الكامل في التأريخ ٣٤٤/٥ .

(٣) ظ : الأصبهاني / الأغاني ١٩٣/١٤.

وأنشد الصولي أبياتاً لدى عقد المتوكل البيعة لأبنائه المنتصر والمعتز والمؤيد، فأمر له بمائة ألف درهم، وأمر له ولاة عهده بمثلها.[1]

وكان المتوكل نفسه قد أمر له بخمسين ألف درهم لأبيات أنشدها فيه، وأوعز إلى وزيره أن يوليه عملاً جليلاً ينتفع به.[2]

وأغدق المتوكل على مروان بن أبي الجنوب الأموال الطائلة لمدحه له، فوهب له مرةً خمسين ألف درهم، وأمر له مرة أخرى بمائة وعشرين ألف درهم، وخمسين ثوباً، وبغلة، وفرس وحمار... وأعطاه ثالثة: مائة ألف دينار من ورق وذهب.[3]

بينما حُرم أولياء أهل البيت وسائر المسلمين المستقلين من العطاء، وما أوجب لهم الشرع الشريف من الحقوق، وحتى الشعراء ممن لم يسر بركاب بني العباس كانوا على شفا جرف هارٍ من الحرمان.

وهكذا حُرم الشعب المسلم مما فرضه الله تعالى، وعوضه العباسيون عن ذلك بالفقر والمرض والإدقاع والبؤس الشنيع.[4]

أضف إلى هذا كله ذلك الحرمان المستطير الذي مني به أبناء الأمة الإسلامية في القصبات والأقاليم وعند الثغور، فهم يدفعون ضريبة الخراج تارةً، وضريبة الدم في البعوث والحروب الطائشة تارة أخرى، ولا نصيب لهم من هذا الثراء الفاحش الذي استأثر به العباسيون في مسالك اللهو والعبث الصارخ.

---

(١) الأصبهاني / الأغاني ١٩٣/١٤.

(٢) ظ: باقر شريف القرشي / حياة الإمام الحسن العسكري / ١٩٠ ـ ١٩١.

(٣) ظ: باقر شريف القرشي / حياة الإمام الحسن العسكري / ١٩٠ ـ ١٩١.

(٤) ظ: تفصيلات ذلك في كل من: البيهقي / المحاسن والمساوئ / ٢٧٧ و٥٨٥ + ابن عبد ربه / العقد الفريد ٢١٦/٦ + الطبقات لابن المعتز / ٣٧٧ + أبو حيان التوحيدي / الإمتاع والمؤانسة ٣٤/٣ + الدميري / حياة الحيوان ٦٤/٥. وسواها.

الاضطهاد السياسي

ومني المسلمون في ظل الحكم العباسي بموجات منظّمة من الاضطهاد السياسي المتصاعد، فالدم الحرام يسفك في الشهر الحرام، والاعتقال العشوائي يشمل الشباب والشيوخ والنساء والتعذيب بقطع الأطرف وخلع الأعضاء وسمل العيون شائع في ظلمات السجون، ومصادرة الأموال والأراضي والدور والممتلكات من العقوبات الاعتيادية دون الرجوع إلى نظام تشريعي يحدد مدى العقوبة أو سببها أو دواعيها، فهي كيفية الإرادة تبعية الهوى، وعملية التنفيذ تجري على أيدي العتاة من الجلاوزة، والغلاظ من الأتراك، وإحصاء الأنفاس وتعقّب التحركات، وكمّ الأفواه وخنق الأصوات من الإجراءات اليومية التي لا مناص عنها، وبث العيوان والأرصاد وتضخيم عملية التجسس السرّي مما تفاقم أمره، والتقت به حلقتا البطان.

هذه المفردات في تفصيلاتها الضخمة الرهيبة كان لها ردّة فعل سلبية أثرت على حياة المسلمين بشتى المؤثرات النفسية والعقلية والاجتماعية، فالخوف والهلع يصطحبان الناس ليل نهار، والأشدّاء الجفاة من جلاوزة النظام في عمل دائم يُعنى بكبت المشاعر ومصادرة النكير.

ولقد كانت حصة أولياء أهل البيت هي الكبرى من هذا القاموس

الحاشد بأنواع الإفرازات الهائلة التي تطوّح بالأمة وشرائح الشعب بمختلف أطيافه، فضلاً عن الضرائب وفرض الجبايات واستلال المال من حلّه ومشتبهه.

وكما أدى ذلك كله سلبياً إلى فقدان الثقة بالنفس، وفقدان الأمل بالخلاص، فقد أدّى إلى الغليان في ساحة النضال الدموي، وقيام الانتفاضات الشعبية، وتجدد الحروب الأهلية، ففي كل إقليم زعيم ثائر، وبكل قصبة فئة تتحرك، وذلك ردّ فعل لما اجترح من كرامة الناس، وصودر من حريات الآخرين، وكان نتيجة ذلك التمزق الداخلي في صفوف الأمة، ولفظ آخر الأنفاس على مذبح الإرهاب الدموي.

وهناك ملحظ ضرب بناقوس الخطر في حضيرة الإسلام، وهو استبداد النظام في استخدام الرقيق والعبيد، وجلب ذلك زرافاتٍ ووحداناً من شمالي إفريقيا ومجاهل السودان وصعيد مصر، حتى أصبحوا قوة ضاربة في المجتمع المسلم، فقد كان للزنوج دورهم المأساوي في تأجيج الفتن الكبرى وإشعال فتيل المنازعات العرقية، بعد أن اضطُهدوا كثيراً، وأُقحموا في متاهات العمل الحقير، حتى لقد سئم أغلبهم الحياة، مما أدى إلى قيام ثورة زنجية مسلحة تسليحاً ضخماً شملت البصرة وضواحيها عام ٢٥٥ هـ في معارك ضارية استمرت خمسة عشر عاماً، ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الشعب المسلم في العراق، واستُبيحت الدماء على حساب الأمن العام، وانتهكت الأعراض والمخدرات والنساء، وانتشر الفساد والنهب والإغارة، وارتفعت الأسعار، واختفت المواد الغذائية، وجرى ما جرى خلال ذلك من الجور والظلم والاعتساف، فالشباب في طوابير التجنيد الإجباري، والشعب في دور التسلح العسكري، والقوّاد يدفعون بالآلاف إلى محرقة الحرب،

ولا أقوات متوافرة، ولا إمدادات غذائية منظّمة، ولا عناية بالجرحى أو معوقي الحرب، ولا مجال حتى لمواراة الجثث العظيمة عن السابلة وأعين الناس.

وكانت الظروف صعبة المراس تجاه الإمام الحسن العسكري، وهم مسالمون يحاولون دفع الضيم عنهم بالتي هي أحسن، وبأقصر الطرق دون الدخول بمجابهة للدولة.

روى عمر بن أبي مسلم، قال: قدم علينا بسرّ من رأى رجل من أهل مصر يقال له: سيف بن الليث، يتظلم إلى المهتدي في ضيعة له قد غصبها إياه: شفيع الخادم وأخرجه منها، فأشرنا عليه أن يكتب إلى أبي محمدعليه السلام (يعني الحسن العسكري) يسأله تسهيل أمرها، فكتب إليه أبو محمدعليه السلام: «لا بأس عليك، ضيعتك تردّ عليك، فلا تتقدم إلى السلطان، والق الوكيل الذي في يده الضيعة، وخوّفه بالسلطان الأعظم: الله رب العالمين.» فلقيه، فقال له الوكيل الذي بيده الضيعة: قد كُتب إلي عند خروجك من مصر أن أطلبك وأردّ الضيعة عليك، فردّها بحكم القاضي ابن أبي الشوارب وشهادة الشهود، ولم يحتج إلى أن يتقدم إلى المهتدي.»[1]

وهذا لا يعني الانتصاف له بقدر ما يعني من تمكن الإمام الحسن العسكري التدخل في شأنه وقضاء حاجته بصورة من الصور.

وكان انتهاك المهتدي للإمامية امتداداً لأفاعيل المتوكل والمعتز من ذي قبل، فلم يكن عن كلالة بل كان متسلسلاً في الدور الإجرامي الذي استهدف به أئمة أهل البيت مباشرة، زيادة على ما هدد به أشياعهم

(١) الكليني / الكافي ٥١١/١.

وأتباعهم وهو القائل ـ يريد أهل البيت عليهم السلام ـ «واللهِ لأخليَّنهم عن جديد الأرض.»

فقد روى أحمد بن محمد، قال:

كتبت إلى أبي محمد عليه السلام ـ حين أخذ المهتدي بقتل الموالي ـ يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنك، فقد بلغني أنه يتهددك ويقول: «والله لأخلينّهم (لأجلينهم) عن جديد الأرض» فوقَّع أبو محمد عليه السلام بخطِّه:

«ذاك أقصر لعمره، وعُدَّ من يومك هذا خمسة أيام، ويقتل في اليوم السادس بعد هوانٍ واستخفاف يمرّ به.»

فكان كما قال عليه السلام[1]

وهكذا تجري المقادير في إرهاب الأئمة وأوليائهم، والحكم سادر في غيّه وغطرسته، قائم على التصفية الجسدية والتهديد والوعيد.

وكان نصيب العلويين هو الأوفى في الاضطهاد السياسي، فقد أبعدوا عن المناصب والولايات والقضاء والوظائف الإدارية صغيرها وكبيرها، وحرموا من العطاء المخصص لعامة الناس، وازداد النظام استفزازاً وجار قصداً، فقد منع المتوكل على سبيل المثال: البر بالعلويين، والإحسان إليهم، والإشفاق عليهم، والصلة لهم قلةً وكثرةً، وكان لا يبلغه أن أحداً برّ بهم إلاّ أنهكه عقوبةً وأثقله غرماً.[2]

وهناك الأدهى والأمرّ، فقد شمل العسف نساء العلويين، وأُنْزِلَ بهن البؤس الفادح، حتى إن القميص الواحد يكون بين جماعة العلويات،

---

(١) ظ: الكليني / الكافي ٥١٠/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٨ + الطبرسي / إعلام الورى ١٤٤/٢ + الأربلّي / كشف الغمة ٢١٠/٣.

(٢) ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبيين / ٥٩٧.

تصلي به واحدة بعد واحدة، وكن يرقعنه، ويجلسنَ على مغازلهن حواسر عاريات.[1]

وكان الأسلوب المتبع في حدِّ نشاط أصحاب الإمام هو ذات الأسلوب المتعارف في كل الأزمنة: السجون والقتل الجماعي.

---

(١) ظ: المصدر نفسه / ٥٩٩.

موجات الانحراف والأفكار الوافدة

حينما يتأزم الوضع السياسي، وتتدهور الحياة الاقتصادية، ويضرى المرض والجوع والاضطراب، يكون المناخ العام مهيَّأً لاستقبال موجات الانحراف والسلوك المشين مما يتنافى مع العقيدة الإسلامية، ويتقاطع مع الفكر الديني البنّاء، حينذاك تكثر الدعوات الضالة من هنا وهناك، وتتجمع الفرق المنحرفة بين حينٍ وآخر.

هذا التأرجح الإنساني يكشف عن التناقض الاجتماعي في النظر وسبل التفكير، وينبئ عن الابتعاد اللامسؤول عن حضيرة الإيمان، ويومئ إلى الاقتراب من الفوضى العقائدية في اتجاه سلبي معاكس، ينذر بتحوّل خطير في المبادئ.

وكان للحياة العقلية التي رافقت مدارس علم الكلام، وواكبت انتشار الفلسفة الإغريقية أثر فاعل في هذه الإرهاصات.

وكان للضغط السياسي في إفرازاته المتراكمة ما يغذّي الفكر المنحرف، ويشجّع العناصر الخارجة عن الإطار الطبيعي الفطري، فإذا أضفت لهذا دور السلطة الحاكمة في تعميق الاتجاهات الضالة، رأيت الحقيقة واضحة المعالم في إفادة السلطان من الصراع الدائر بين الفئات المتعددة لأغراض الاستئثار بالحكم، فهو يشغل الأمة بانقسامها على نفسها إلى جبهات وأحزاب وفِرَق فيبقى صراعها داخلياً فيما بينها، ويظل

الحكم في منأى عن الخروج عليه أو التطويح به أو الاقتصاص منه، وهنا يتم للحاكمين تفتيت القوى المفكّرة في الأمّة، وإشعال الفتنة بين شرائحها، وهم قابعون على مؤامراتهم داخل إبراج عاجيّة من الجبروت والاستعلاء والشموخ الكاذب، وتظل المعارضة الفاعلة متطاحنة فيما بينها، في حين يجب عليها الانقضاض على الحكم والقضاء على طغيانه، بينما تنجلي الجولة عن سلامة الحاكمين من الأخذ والردّ والمجابهة.

هذه المخلفّات الشاذة، والتمزّق الداخلي في المجتمع، يضاف إليه التطرف في التفكير ونزعات حبّ الظهور وأنانية الذات هي التي أحدثت تفكك عرى وحدة الأمة، وأوجدت الفرقة المستمرة التي يعاني منها العالم الاسلامي حتى اليوم.

وكان لتحرك في فصائل الزندقة في الميدان الاجتماعي، وتوافد المذاهب المستوردة من وراء حدود الدولة الإسلامية بعدٌ منظورٌ بالفعل في مضاعفة الآثار السلبية في الآراء والبدع والأهواء المستحدثة.

ويبدو تأريخياً أن موجات التضليل قد اتخذت شتى الأساليب والطرق لبثّ سمومها في جسم الأمة، وقد نجحت في أبعاد كثيرة من مخططها الرهيب، بيد أن هذا التيّار ما ترك على اندفاعه ليطغى فلا يبقي ولا يذر، إذ شمر الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن ساعديه لدرء الخطر الوافد ومجابهة الانحراف المنظّم، فهيّأ الأذهان عملياً لرفض كل محاولات التخريب الفكري، وحذر أولياءه من الانخراط في مسالك الضالين التي تدأب على تفريق وحدة الصف، وتوهين ثوابتها التي لا تتحول، والحفاظ على روح الدين الإسلامي، ومواجهة النزعات الغريبة عن أصل التشريع، وهذا ما يدعونا إلى إفراد الموضوع بمبحث خاص يُعنى بمجابهة الإمام لحركات الانحراف الفكري والتضليل العقائدي.

مجابهة الإمام العسكري للتضليل العقائدي

ليس من السهل الإحاطة بالجهود المضنية التي بذلها الإمام الحسن العسكري للحيلولة دون الوقوع في متاهات الضلال الواسعة التي غزت العالم الإسلامي في عصره القصير، فذلك موضوع مترامي الأطراف، غطّى التأريخ الرسمي على غالبيته، وليس البحث مخصصاً لذلك في حدود هذا الكتاب، إلاّ أنه بإمكان الباحث تسليط الضوء على أبرز مداخل الانحراف العقائدي، والوقوف على ترصُّد الإمام الحسن العسكري لذلك، من خلال الإشارة بإيجاز مكثّف إلى أبرز الظواهر التي استطاع الإمام التعامل معها بجديّة وحرارة موضوعية:

أ. التلاقح الفكري بين الأمم: كان نتيجة التلاقح الثقافي بين المسلمين وبقية الأمم أن علقت بعض الأوشاب في الذهنية السطحية لدى بعض المسلمين، متأثرة بالمجوسية حيناً والزرادشتية حيناً آخر، فنتج عن ذلك ميلاد فرقة سميت «الثنوية» وهي التي تحاول أن تثبت ـ في زعمها ـ مع القديم قديماً غيره، ومع الإله تعالى آلهة تقابله، وهذا هو الإشراك بعينه الذي لا يُغتفر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾(١)

اعتدت هذه الفرقة مبدأ قائماً بين ألهين: إله النور وإله الظلمة، فإله

(١) سورة النساء /٤٨ و١١٦.

النور بزعمهم يمثل مبدأ الخير، وإله الظلمة يمثل مبدأ الشر، وهذا من بقايا المجوسية وعبدة النيران في معتقدات فاسدة، وربما اقتنع فريق من الناس بذلك، وربما انجذب عُنقٌ منهم بهذا البريق الكاذب، لاسيما وإن دعاته بدؤوا بالانتشار بين صفوف المسلمين، يستهدفونه تضليل العقول.

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام بثباته المتّزن وحسن تأتيه للأمور جاداً في تفنيد ذلك بشدةٍ متناهية، فهو يحذر مواليه وسواد الناس من الانخراط في سلك هذه العمايات الجديدة، فما بعد الهوى إلاّ الضلال، وما بعد التوحيد إلاّ الشرك.

روى الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ) قائلاً:

أخبرني محمد بن الربيع المشائي الشيباني، قال: ناظرت رجلاً من الثنويه بالأهواز، ثم قدمت (سر من رأى) وقد علق بقلبي شيء مما قاله، فإني لجالسٌ على باب أحمد بن الحصيب إذ أقبل أبو محمد عليه السلام (يعني الحسن العسكري) من دار العامّة يوم المركب، فنظر إليّ وأشار بسبابته: أحدٌ، أحدٌ، فردٌ. فسقطتُ مغشياً عليّ.[1]

ب. الشبهات لدى السواد الأعظم: وقحط الناس في سامراء قحطاً شديداً أيام الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فخرج الناس للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يمطروا.. وخرج في اليوم الرابع الجاثليق مع النصارى فسقوا!! وخرج المسلمون في اليوم الخامس فلم يمطروا!! فشلّت الناس في دينهم!! وبدأت الفتنة تدبّ، فأخرج الخليفة العباسي الإمام الحسن العسكري من السجن، وقال: أدركْ دين جدك يا أبا محمد!!

فلمّا خرجت النصارى ورفع الراهب يده إلى السماء، قال الإمام

(١) الكليني / الكافي ٥١١/١ + ابن شهراشوب / المناقب ٥٣٠/٣.

لبعض غلمانه: خذ من يده اليمنى ما فيها!! فلما أخذه كان عظماً به سواد، ثم قال للراهب: استسقِ الآن، فاستسقى فلم يمطروا وصحت السماء، وسئل الإمام عن العظم فقال: لعلّه أخذه من قبر نبيّ، ولا يكشف عظم نبيٍّ إلاّ مطرت السماء.[1]

كان لهذا الموقف أثره في اقتلاع الشبهات لدى ضعفاء المسلمين وسواد الناس، وكان للحادثة أولاً أثرها السلبي في نفوس القوم، فاستنجد السلطان بالإمام عليه السلام، لعلمه أن لا أحد يدفع هذه المشكلات الآنية إلاّ من جرّد من نفسه قيادياً متفرغاً للدفاع عن الإسلام، وقد كان ذلك هو الإمام بإرادة تكوينية.

ج. محاولة معارضة القرآن: كان يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف عصره في بغداد، وأشيع عنه أنه آخذٌ في تأليف ما يناقض فيه القرآن أو يعارضه، وكان منشغلاً في ذلك بقصد إذاعته، وقد تفرغ لهذه المهمة تفرغاً تاماً، وكان على الإمام أن يدافع عن القرآن، وأن يتصدى لهذه المحاولة الخطيرة التي تستهدف كتاب الله الأكبر، وهو دستور السماء في الأرض، ومصدر التشريع الإسلامي الأول، ودخل أحد تلامذة يعقوب بن إسحاق الكندي على الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقال له الإمام:

«أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟

فقال التلميذ: نحن تلامذته، فكيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟ فقال الإمام الحسن العسكري: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم؛ فقال الإمام عليه السلام: فصرْ إليه، وتلطف في مؤانسته ومعونته

(١) ظ: ابن شهراشوب / المناقب ٣/٥٢٦.

على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل:

قد حضرتني مسألة أسألك عنها!! فإنه يستدعي ذلك منك، فقلْ له:

إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلمّ منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟

فإنه سيقول لك: إنه من الجائز، لأنه رجلٌ يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك، فقل له: فما يدريك لعله أراد غير الذي ذهبت أنتَ إليه، فيكون واضعاً لغير معانيه؟

ثم إن الرجل صار إلى الكندي... وألقى عليه المسألة.

فقال الكندي: أعدْ عليَّ، ففكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغاً في النظر.

فقال الكندي: أقسمتُ عليك إلاّ أخبرني من أين لك؟

فقال تلميذه: إنه شيء عرض بقلبي وأوردته عليك.

فقال كلا، ما مثلك من اهتدى لهذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرّفني من أين لك هذا؟

فقال: أمرني به أبو محمد العسكري عليه السلام.

فقال: الآن جئت به، ما كان ليخرج مثل هذا إلاّ من ذلك البيت.

ثم دعا بالنار، وأحرق ما كان ألّفه.

وكان ما وصل إلى الكندي من الإمام العسكري، قد ألزمه به الحجة، فانصاع إليها معرضاً عما فكّر فيه وعمله.

د. التطرّف في النزعات الصوفية: وحينما تصطدم حياة الناس في صراع من التفاوت الطبقي يمثل في قسميه الثراء الفاحش والفقر

المدقع كنموذجين متقابلين، يبدأ التيار المعاكس في التطرف بالاندفاع في نزعات يُدّعى أنها تبرمج حركات الزهد والتقشف في قِبال اللهو والسرف والمجون، وتتخذ من الاعراض عن الدنيا بين صفوف الأولياء والأصحاب والمريدين، وهم ينتحلون ـ رياءً ـ صفات الورع شعاراً زائفاً، ويتجلببون الصفاء الروحي بُرداً مستعاراً، ويتلقون الناس بوجوه ضاحكة أحياناً، وقلوب مظلمة، وقد يبدو اصطناع الوقار والتقطيب والتمتمة وعدم الإفصاح، ظواهر لذلك الزيف والتضليل في تمثيل لا صلة له بالإسلام.

الأغرب من هذا ادّعاؤهم المعرفة حيناً والتصوف حيناً آخر، وليسوا هناك، والأهم من هذا كله أن ينخدع بهم الناس، ويلتفَّ حولهم وبهم السواد الأعظم. وقد تصدّى الإمام الحسن العسكري لمثل هذا التحرك البائس، وحذّر منه أولياءه وأتباعه والمسلمين بعامة، ففي حديث طريف متميِّز للإمام الحسن العسكري عليه السلام مع أبي هاشم رضوان الله عليه، قال الإمام:

يا أبا هاشم! سيأتي زمانٌ على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة، وقلوبهم مظلمة منكدرة، السُّنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سُّنة، المؤمن بينهم محقّر، والفاسق بينهم موقّر، أمراؤهم جاهلون جائرون وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء، وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء؛ كلُّ جاهل عندهم خبير، وكل محيل عندهم فقير، لا يتميزون بين المخلص والمرتاب، ولا يعرفون الضأن من الذئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف؛ وأيم الله إنهم من أهل العدول والتحرّف، يبالغون في حبّ مخالفينا، ويُضلّون شيعنا وموالينا، فإن نالوا منصباً لم يشبعوا من

الرثاء، وإن خُذلوا عبدوا الله على الرياء، ألا إنهم قطّاع طريق المؤمنين، والدعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وإيمانه.

ثم قال: يا أبا هاشم، هذا ما حدّثني به أبي عن آبائه عن جعفر بن محمدعَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو من أسرارنا فاكتمه إلاّ عن أهله.»[١]

٥. المغالاة في أهل البيت: وطالما شاهد المسلمون كرامات الأئمة المعصومين تترى، وإفاضاتهم بلمح الغيب تتوالى، فينشأ سحاب كثيف يغطي الرؤية الحقيقية لدى فريق من الناس، فيقولون بالتفويض تارةً، وبالغلو تارةً أخرى، مما ينافي أدنى مبادئ أهل البيتعَلَيْهِمُ السَّلَامُ جملةً وتفصيلاً فما كان من الإمام العسكريعَلَيْهِ السَّلَامُ إلاّ أن يدرأ هذا الاعتقاد الهدّام، ويحمل على هذه الدعوات الضالّة. ففي المناقب عن إدريس بن زياد والكفرتوثائي، قال: كنتُ أقول فيهم قولاً عظيماً، فخرجت إلى العسكر للقاء أبي محمدعَلَيْهِ السَّلَامُ، فقدمت وعليَّ أثر السفر ووعثاؤه، فألقيت نفسي على دكّان حمام، فذهب بي النوم، فما انتبهت إلاّ بمقرعة أبي محمدعَلَيْهِ السَّلَامُ قد قرعني بها حتى استيقظت فعرفته، فقمت قائماً أقبّل قدميه وفخذه، وهو راكب، والغلمان من حوله، فكان أول ما تلقّاني به أن قال: يا إدريس: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٢]

فقلت: حسبي يا مولاي، وإنما جئت أسألك عن هذا، قال: فتركني

(١) المركز العالمي لأهل البيت / الإمام الحسن العسكري / ١٤٤ وانظر مصادره.

(٢) سورة الأنبياء / ٢٦_٢٧.

ومضى.»[١]

وكان المفوِّضة جماعة من الغلاة، قد بالغوا في الاعتقاد بالأئمة إلى حدّ التفريط بمبادئ أهل البيت الأساسية، ولجّوا بالافتراض اللامعقول: أن الله تعالى حينما خلق محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فوّض إليه شأن الدنيا، فهو الخلاّق لما فيها، ومن ثم فوّض ذلك إلى الإمام علي والأئمة من بعده.[٢]

إلاّ أن الإمام الحسن العسكري رفض ذلك رفضاً قاطعاً، وشجبه شجباً صارخاً على لسان ولده المهدي المنتظر وبإقرار منه، فقد وجه قوم من المفوِّضة كامل بن إبراهيم المدني إلى الإمام الحسن العسكري، قال كامل: قلتُ في نفسي أسأله: لا يدخل الجنة إلاّ من عرف معرفتي؟

وكنت جلستُ إلى باب عليه سترٌ مرخيٌّ، فجاءت الريح فكشفت طرفه، فإذا أنا بفتى كأنه قمر، من أبناء أربع سنين أو مثلها (يعني الإمام محمد المهدي عجل الله فرجه الشريف) فقال لي: يا كامل بن إبراهيم، فاقشعررتُ من ذلك وألهمت أن قلت: لبيك يا سيدي.

فقال: جئتَ إلى وليّ الله وحجته وبابه تسأله:

«هل يدخل الجنّة إلاّ من عرف معرفتك، وقال بمقالتك؟»

قلتُ: إي والله.

قال: إذن والله يقلّ داخلها!! والله إنه ليدخلها قوم يقال لهم: الحقيّة!!

قلتُ ومن هم؟

قال: قومٌ من حبهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام، يحلفون بحقّه، ولا يدرون ما حقّه وفضله!!

(١) ابن شهراشوب / المناقب ٥٢٩/٣.

(٢) ظ: معجم الفرق الإسلامية / ٢٣٥.

ثم سكت صلوات الله عليه عنّي ساعة.

ثم قال: وجئت تسأله عن مقالة المفوّضة؟ كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله، فإذا شاء شئنا، والله يقول: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ....﴾[١] ثم رجع الستر إلى حالته فلم أستطع كشفه.

فنظر إليّ أبو محمدعَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا كامل ما جلوسك وقد أنبأك بحاجتك الحجة من بعدي، فقمت وخرجت، ولم أعاينه بعد ذلك.»[٢]

و. ملاحقة الواقفة فكرياً: والواقفة فرقة وقفت على إمامة الإمام موسى بن جعفرعَلَيْهِ السَّلَامُ، وجحدت من بعده من الأئمة الاثني عشر، نتيجة حب المال والركون إلى الدنيا، وخيانة الأمانة التي استودعوا إياها، وكنتُ قد بحثتُ وهذا الموضوع مفصلاً في أسبابه ودواعيه وإفرازاته في عمل مستقل.[٣]

فقد انحرف عن الخط العام لأهل البيت لفيف مارق من أصحاب الإمام الكاظمعَلَيْهِ السَّلَامُ، وأبرزهم: زياد بن مروان القندي الأنباري، وعلي بن أبي حمزة البطائني وعثمان بن عيسى، ووقفوا عنده لأسباب مادية محضة، وذلك أن زياد بن مروان القندي كانت عنده سبعون ألف دينار تعود إلى الإمام موسى بن جعفرعَلَيْهِ السَّلَامُ، فأظهر هو وصاحباه القول بالوقف، طمعاً بالمال الذي كان عندهم.[٤]

وقد وقف الأئمةعَلَيْهِمُ السَّلَامُ موقفاً حازماً من الواقفة ابتداءً من الإمام علي بن موسى الرضاعَلَيْهِ السَّلَامُ حتى الإمام الحسن العسكريعَلَيْهِ السَّلَامُ الذي شدد

(١) سورة الإنسان / ٣٠.

(٢) الطوسي / الغيبة / ٢٤٧ + المجلسي / البحار ٣٣٦/٢٥.

(٣) ظ: المؤلف / الإمام عليٌّ الرضا / قيادة الأمة وولاية العهد /٩٦ ـ ١٠٦.

(٤) ظ: الكشي / الرجال ٤٦٧ + المجلسي / البحار ٢٥١/٤٨.

النكير عليهم، وتبرأ منهم، وفند رأيهم، وحذَّر أولياءه حتى من عيادة مرضاهم، والصلاة على أمواتهم، وحضور جنائزهم، والترحّم عليهم، حتى اشتهروا بين الأصحاب بـ «الكلاب الممطورة» فعن إبراهيم بن عقبة، قال: كتبت إلى العسكري عليه السلام: جعلت فداك، قد عرفت هؤلاء الممطورة، فأقنت عليهم في صلواتي؟

قال: نعم، اقنتْ عليهم في صلواتك.»[1]

وقد سأل الإمامَ العسكريَّ أحد أصحابه عمن وقف على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام (وكان عمّه قد توفي) قائلاً: أتولاهم أم أبترأ منهم؟

فكتب الإمام العسكري عليه السلام: «لا تترحم على عمّك، لا رحم الله عمّك، وتبرأ منه، أنا إلى الله منهم بريء فلا تتولاهم، ولا تعد مرضاهم، ولا تشهد جنائزهم، ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً. سواءٌ من جحد إماماً من الله، أو زاد إماماً ليست إمامته من الله، أو جحد، أو قال: ثالث ثلاثة.

إن جاحد أمر آخرنا جاحدٌ أمرَ أوّلنا، والزايد فينا كالناقص الجاحد أمرنا.»[2]

وفي هذا النص عدة دلائل، فقد أعلم الإمام السائل أن عمّه منهم، وأمره بالبراءة منه، وأمر السائل أن يبرأ من الواقفة ولا يتولاهم، ودعا الإمام ـ بعامةٍ ـ إلى مقاطعتهم مقاطعة تامة في شتى الوجوه، لأن ما أقدموا عليه تحريف لمبدأ أهل البيت.

(١) الكشي / الرجال ٤٦٠.
(٢) القطب الراوندي / الخرائج والجرائح ٤٥٢/١ + الأربلّي / كشف الغمة ٣١٩/٣.



الفصل الثالث

الإمام العسكريّ ومملوك البلاط العباسي

١. الإمام والخطّ العباسي العام

٢. الإمام في ولاية المعتزّ العباسي

٣. الإمام في أيام المهتدي العباسي

٤. الإمام في عهد المعتمد العباسي

٥. الإمام يواصل مسيرته القيادية



الإمام والخطّ العباسي العام

لم يكن درب الإمام الحسن العسكري عليه السلام معبّداً بالورود، ولم تكن حياته آمنةً مستقرةً وهو يلحظ الخطّ العباسي العام في محاربته وملاحقة من يمت إليه بصلة أو أواصر قريبةً أو بعيدة، فقد واكب مسيرة والده الإمام علي الهادي في سامراء أكثر من عقدين من الزمن، ورافقه فيها محتجزاً حيناً ومراقباً حيناً آخر، تحيط به عصابة مدرّبة من الحرس والأمن الداخلي، تتبع خطواته وتحصي عليه أنفاسه، ومع هذا وذاك فقد لمس تأثير أبيه الفاعل في مراكز القوى، وأدرك مدى تغلغله في قواعد الجماهير، وشاهد بين هذين شعبية تلقائية في صفوف الأمة، لم يفرضها حرس ولا حماية، وإنما انطلقت من الأعماق تشق طريقها لأبيه في الحب والولاء من جهة، وتصطفّ في مجاميعها معلنةً الإكبار والإجلال من جهة أخرى.

وتأمل الفتى في هذه الظواهر المدهشة، فرأى من أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام صلابةً في المبدأ لا تلين، وثباتاً على العقيدة لا يتزعزع، واستمرارية منظَّمة في تجاهل إرادة البلاط العباسي، فما احتُمل ظله الشريف، ولا أطيق وجوده المتنامي في الذكر والشهرة وبعد الصيت في الآفاق، فاغتيل مستشهداً بالسم على يد المعتزّ العباسي بما أتينا عليه

سابقاً في عمل مستقل[1]

وكان استشهاد الإمام علي الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ عام مائتين وأربعة وخمسين من الهجرة، وكان عمر ولده الإمام الحسن العسكري آنذاك اثنين وعشرين سنة، وتقلد الإمام منصب أبيه في الولاية الشرعية المطلقة التي نصت عليها آداب الأحكام السلطانية، وما اشترطه الإمامية في الإمام من الوصية والنص وتكامل الشخصية في الخصائص والسمات المميزة له عن بقية أبناء الأمة.

وتلقّى بنو العباس هذا النبأ بالامتعاض والقلق، وأصابهم بالدوار المفزع، فالحسن العسكري ـ كما هو معروف لديهم ـ والد الإمام محمد المهدي الحجة المنتظر عجّل الله فرجه، وذلك ما يقضّ مضاجعهم ويثير هواجسهم الآنية والمستقبلية.

ومهما يكن من أمر فقد احتلّ الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ منزلة أبيه عند أوليائه، فهي تسير برأيه وحده في عهده، وتعتقد إمامته الشرعية، سواء أكان في الحكم أم كان خارج الحكم، فهو صاحب المنصب القيادي الروحي وإن عُزل عن المنصب الظاهري في إدارة الدولة، وأُبعدَ فعلياً عن ممارسة صلاحياته السياسية والتشريعية في الحكم.

واستنفر بنو العباس قواهم الأمنية والعسكرية في مراقبة الإمام الجديد ومضايقته، وحشدوا إمكانات تقييده وحجزه في شتى الوسائل، واستنجدوا بفقهاء البلاط العباسي لمعارضته، وهددوه بالسجن تارةً، وزجوا به فيه تارةً أخرى، وتتبعوا أصحابه وأولياءه والقائلين بإمامته كلاً بحسبه، والإمام ليس بمنأى عن توجه السلطة السلبي تجاهه، ولا ببعيد

(١) المؤلف / الإمام علي الهادي / النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي / الفصل السابع.

عن طبيعة إجراءاتها الصارمة ضده، فكان يقظاً وحذراً يزن الأمور بميزان العقل والحكمة والتروي، فما دعا إلى نفسه سياسياً، ولا عرف عنه إرادة الحكم أو الخلافة أولا أعطى السلطان فرصة للادعاء عليه في هذا الملحظ الخطر، بل اتخذ الجانب الإنساني مسلكاً وسطاً يبتعد به عن حبائل السياسة وتبعات الدولة فهو أرفع من ذلك تفكيراً، وأدقّ في هذا الشأن تقديراً، إذ لم يحن وقته، ولم تتكامل وسائله وأسبابه ودواعيه، والإمام حينما ينطلق في أمر فذلك هو تكليفه الشرعي، وحينما يتوقف عن منهج فذلك هو واجبه العيني، لهذا وسواه رأينا الإمام الحسن العسكري عليه السلام يزيل الشبهات عن طريقه، وينقي الظرف السياسي بإدراك عجيب.

وقد صاحب هذا الاتجاه منه حسن التأني في الأمور، وصحة التقدير في التدبير، ونَهَجَ منهج أبيه الإمام علي الهادي في رعاية مصالح العباد، وتطوير حياة المحرومين، وإغاثة الفقراء وذوي الحاجة، والعناية ـ قدر المستطاع ـ ببيان الأحكام الفرعية، والترويج لشريعة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، باعتباره منبع الفتيا، ومنار العلم الإلهي، دون إثارة حساسية السلطان.

ومع ما كان يتمتع به الإمام العسكري عليه السلام من المرونة الاجتماعية في الأداء، ومن الهدوء والوقار والسمت الروحي، فقد كانت حياته في سامراء كئيبة غائمة الأفق، كابد فيها أصناف القسر والإكراه، وعانى فيها مظاهر الاضطهاد والإرهاب، فمن رقابة محكمة إلى سجن، ومن سجن رهيب إلى احتراس، ومن احتراس أمني إلى استفزاز، ومن استفزاز هزيل إلى اعتقال، ومن اعتقال عشوائي إلى اغتيال، حتى ذهب شهيد عظمته وضحية اعتداده بالوعي الاسلامي.

ولم يكن الكيد للإمام مقتصراً على العباسيين وحدهم، بل شاركهم

فيه أعداء الخط العلوي ممن ناصب أهل البيت العداء، وأعلن لأوليائهم الحرب والإبادة، فاصطف هؤلاء من نواصب وخوارج وأتراك إلى جنب بني العباس رفضاً لمشروع أئمة أهل البيت في إعلاء كلمة الله في الأرض.

وقد استغل العباسيون عداء هؤلاء لأئمة أهل البيت وانحرافهم عن خطهم الرسالي فاحتضنوهم كسواهم من الانتهازيين، وأشركوهم في الحكم ومفاصل الدولة، فكانوا وباءً جديداً على الأمة، استلبوا حقها واستأثروا بكل شيء في الدولة دون شرائح المجتمع الإسلامي الأخرى.

لقد حقق هذا المنحى الخطر أهدافه في الانحراف عن منهج أهل البيت الحضاري، ومثّل بذلك الابتعاد عن حضيرة الإسلام، وطرح الحياة العقلية المتألقة في الفكر الإمامي، والاصطدام بالهوى والآراء المبتدعة، والتمسك بتلك الوسائل الواهية اللامسؤولة، إزاء عزل الأمة عن قيادة أئمة أهل البيت ومرجعيتهم الرشيدة.

وهكذا نجد حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام محاطة بعوامل شتى أهمها: مواجهة مبدأ أهل البيت من داخل المجتمع الإسلامي بخلق شخصيات وفقهاء ومذاهب وواجهات بديلة لإقصاء الأمة عن الفكر الإسلامي المتحفز الذي يتجسد عطاؤه الثَرُّ في مواهب الأئمة المعصومين.

ومن ثم نشاهد الحرب النفسية والفعلية على قدم وساق في استهداف الإمام عليه السلام، فالرصد يلاحقه حتى على قارعة الطريق، والجواسيس تتعقبه في كل منعطف، والإجراءات اللاإنسانية تتابعه ليل نهار.

وكان مما يذكي جمرة الاتجاه المعادي للإمام عليه السلام: حملة الوشايات المتملقة للسلطة الغاشمة المتهرِّئة، ومضاعفات التضليل والكذب والافتراء التي تصوّر الإمام عاملاً من أجل الاستيلاء على الحكم، وأن المال يجتمع لديه لهذه الغاية مما لا أساس له من الموضوعية على

الإطلاق.

على أن الدافع الأساس لتلك المضاعفات السياسية والمضايقات الأمنية: هو الأمر الواقع الذي عليه الإمامُ من المكانة الكبرى في النفوس، وكونه الممثل الشرعي للولاية الإلهية، واعتباره امتداداً طبيعياً لأبيه الإمام علي الهادي عليه السلام في المبدأ والعلم والشجاعة والإباء، ومع هذا الواقع فليس إلى اختراقه من سبيل.

ومن جهة مصيرية أخرى بالنسبة للتفكير العباسي أن المدّة الزمنية بدأت تقترب من ولادة الإمام محمد المهدي الذي سيطوّح بعروش الظالمين، فها هي الإمامة الإلهية لأبيه اليوم، وقريباً ما تكون لولده المنتظر.

وفي ظلال ما تقدم عرضه يبدو أن هناك عدة ظواهر متداخلة ومتلابسة رافقت مسيرة الإمام الحسن العسكري، وهي بمجموعها تشكّل تسويغاً مبرّراً لخلفاء بني العباس بتشديد القبضة على الإمام، وهي كاشفة في الوقت نفسه عن فلسفة الإمام في المعارضة إيجابيةً كانت أم سلبية أم بينَ بين، وهي أيضاً تحدد رؤية المجتمع للإمام بأنه الأجدر بالخلافة لا هؤلاء الأدعياء.

ومن هنا يتجلى للبحث مدى محنة الإمام وهو يتولى شؤون الإمامة الشرعية، وتبدو لنا صعوبة أداء رسالته التي نهض بها في حرّية أو استقرار، ذلك ما اضطر معه الإمام بتجربته القيادية المتأصلة إلى سياسة التحرك الوسيط بين السلب والإيجاب بحسب ما تمثله المرحلة من نشاط، وما يمليه الظرف المعاصر في طبيعة الموقف، وهو ما يفسر للمؤرخ الموضوعي الاتجاهات المرنة الحيوية التي قابل بها الإمام مواطن العسر والحرج.

الإمام في ولاية المعتزّ العباسي

تولى المعتز العباسي مركز السلطة عام ٢٥٢ هـ حتى ٢٥٥ هـ، وتسلّم الإمام الحسن العسكريعَلَيْهِ السَّلَامُ منصبه في الولاية العامة والمعتز في دست الخلافة كما يقولون: وكان المعتزّ وهو ابن المتوكل غليظاً جافياً متغطرساً، ورث حقده لأهل البيت من أبيه لا عن كلالة، فما إن آلت السلطة الزمنية إليه حتى ضيّق على العلويين الخناق، وهو يعلم جيداً أن الإمام العسكري هو زعيم العلويين في عصره، فجابه الإمام بشتى الإجراءات الحاقدة، ورأى في الإمام الخطر المحدق بمركز الخلافة العباسية، ولمس من خلال عيونه مدى تأثير الإمام في الوسط الشعبي، وأدرك اتساع قاعدة نفوذه القيادي لدى أصحابه وتلامذته وأوليائه، ولحظ عن كثب انتشار وكلائه في بقاع الأرض.

ويبدو من متابعة بعض الأقوال أن المعتز ساءه أن يشاهد الإمام العسكري في رحاب سامراء، فأمر بسجنه في بغداد عند وفاة أبيه الإمام الهادي مباشرةً.

يقول المستشرق الأستاذ دونالدسن:

«بعد وفاة الإمام علي النقي أمر الخليفة أحد حراسه الأتراك بحمل الحسن العسكري إلى بغداد، فأودع السجن»[1]

(١) دونالدسن / عقيدة الشيعة ٢٢٧.

وأيد هذا الرأي الأستاذ أحمد عبد الباقي بقوله عن الإمام:

«عندما توفي أبوه سجن الإمام الحسن في بغداد، إلا أنه ما لبث أن أطلق من السجن، وسمح له بالعودة إلى سامراء.»[١]

ويبدو أن المعتزّ العباسي كان مصمماً على قتل الإمام العسكري وبالسرعة الفائقة، ودون النظر في عاقبة الأمر، وهو المستفاد تأريخياً، فقد قال محمد بن بلبل:

«تقدم المعتز إلى سعيد الحاجب: أن أخرج أبا محمد إلى الكوفة، ثم اضرب عنقه في الطريق.»[٢]

ويؤيد هذا التوجه من المعتز بما روي عن سعد بن عبد الله بسنده، بشيء من التفصيل والنتيجة، قال: «أخبرني أبو الهيثم بن سبابة أنه كتب إليه (يعني الإمام العسكري) لما أمر المعتز بدفعه إلى سعيد الحاجب عن مضيّه إلى الكوفة، وأن يُحدِث فيه ما يحدث به الناس بقصر ابن هبيرة: «جعلني الله فداك، بلغنا خبرٌ قد أقلقنا وأبلغ منّا» فكتب إليه الإمام عليه السلام:

«بعد ثالث يأتيكم الفرج، فخلع المعتز اليوم الثالث»[٣]

ويبدو للبحث استمرارية المعتزّ بأذى الإمام والاعتداء عليه، مما حدا بالإمام أن يعرضه على الله تعالى داعياً بالانتقام منه، فقد روى السفير الرابع محمد بن علي السمري، قال: «دخلت على أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله، وبين يديه رقعة أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، فيها:

«إني نازلت الله في هذا الطاغي - يعني الزبيري، (وهو لقب المعتز،

(١) أحمد عبد الباقي / سامراء ٥٤٦/١.
(٢) الأربلّي / كشف الغمة ٢٠٦/٣.
(٣) الطوسي / الغيبة/٣٤ + القطب الراوندي ٤٥١/١.

أو أن اسمه الزبير) وهو آخذه بعد ثلاث، فلما كان اليوم الثالث فعل به ما فعل.»[1]

ويبدو أن استبداد المعتز في اضطهاد الإمامعليه السلام، قد بلغ الذروة في الأذى والترصد وأقلق شيعته الإمام، فعمل الإمام على تطمينهم وتهدئة خواطرهم، بل وبشرهم بانقضاء أيامه وانتهاء حكمه، فكتب إلى أبي القاسم إسحاق بن جعفر، قبل قتل المعتزّ بنحو عشرين يوماً:

«إلزم بيتك حتى يحدث الحادث»!!

فلمّا قُتل بريحة ـ أحد قوّاد الأتراك المقربين لدى الحكم ـ كتب للإمام: قد حدث الحادث، فما تأمرني؟

فكتب إليه: ليس هذا الحادث. الحادث الآخر، فكان من المعتزّ ما كان[2]

وقد تبين للبحث أن المعتزّ قد أوعز عدة مرات أن يسجن الإمام الحسن العسكريعليه السلام، ولكن القدر غالبة في القضاء على الإمام، وانطوت صفحة ولايته السوداء، وتصرمت أيامه غير مأسوف عليها، وكانت نهايته مفجّعة بالنسبة لأهله ونسائه عام ٢٥٥ هـ.

وقد عرضنا لأجزاء مهمة لممارسته المتعنتة مع الإمام الهادي، وملاحقته لشيعة الإمام في كتابنا السابق: «الإمام علي الهادي / النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي»

ومن أراد التفصيلات فسيجدها هناك.

---

(١) الأربلّي / كشف الغمة ٢١٣/٣.

(٢) الكليني / الكافي ٥٠٦/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٤.

الإمام في أيام المهتدي العباسي

وبويع للمهتدي العباسي عام ٢٥٥ هـ، وهو محمد بن الواثق بن المعتصم بن هارون الرشيد.

وكان من عجيب أمره أنه لم يجد نفسه أهلاً للخلافة، وهو كذلك، حتى جيء بالمعتزّ واعترف أمام الشهود أنه عاجز عن الخلافة، فبايع المهتدي، فارتفع حينئذٍ إلى صدر المجلس، وبويع بالخلافة المدعاة...[1]

وكان المهتدي قد لحظ ما آلت إليه مسرحية الخلافة العباسية من التدهور والانحطاط وما انتهى إليه الخلفاء السابقون له من الانقباض والحصار والاغتيال، وأدرك نظرة المسلمين العامة للحكم بأنه حياة لهوٍ وعبث وفسق وفجور، وأن الحاكمين باسم الإسلام كَذَبَة ودجّالون قد خرجوا على تعاليم الدين الحنيف، وأنهم قد عُرفوا بالترف والمجون، واستهتروا بمعاقرة الخمرة، وجدّوا في إحياء مجالس الطرب والغناء، وسمحوا باختلاط النساء والرجال في حفلات ساهرة، فأراد بحركة مضادّة زائفة وإظهار الزهد والورع رياءً، ومحاولة التشبّه بعمر بن عبد العزيز فأخفق في ذلك إخفاقاً مزدوجاً في السيرة واقتراف الحوبة الكبير، ولو كان صادقاً وجاداً في ذلك لكفّ عن المظالم، وأحسن لأبناء عمومته من العلويين، والذي بدا منه عكس ذلك تماماً، فما عدل مع الناس، ولا

(١) ظ: السيوطي / تأريخ الخلفاء / ٤٢٢.

وصل الرحم، ولا أقلع عن المآثم، فقد أسرف في القتل والانتقام، وبالغ في تهجير أتباع أهل البيت، وأمعن في تشريدهم عن ديارهم لسببٍ وآخر.

وقد سأله هاشم بن القاسم عما هو عليه من المظهر التقشفي، وبما هو غائرفيه من الترف والنعمة وهما متناقضان، فأجابه «إن الأمر كما وصفت، ولكنّي فكرتُ في أنه كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز ـ وكان من التقلل والتقشف ما بلغك ـ فغرت على بني هاشم، فأخذت نفسي بما رأيت.»[١]

ولو كان صادقاً لاستنّ بسنن أمير المؤمنين وسيد الأوصياء الإمام علي عليه السلام، ففيه يضرب المثل بالزهد والتقوى والعزوف عن أمر الدنيا بما أجمع عليه أهل القبلة، ولاقتدى بزين العابدين الإمام علي بن الحسين بن أمير المؤمنين عليهما السلام، في ورعه وتقشفه وعبادته وإنابته لله تعالى، ولامتثل خطى إمام عصره وحجة زمنه الإمام الحسن العسكري الذي اتخذ الزهد شعاراً والمعروف دثاراً، والإحسان إلى الناس سبيلاً.

إنه الدجل السياسي الذي لا يخفى على ذي عقل. وثمت تهافت واضح المعالم يتقاطع مع ما يحاول إظهاره المهتدي من الزهد المزعوم، ذلك هو اندفاعه في اجتراح الكبائر، وارتكاب المآثم، وإراقة الدماء، والقضاء على المعارضة، وأخذ الجار بذنب الجار، والمحسن بجرم المسيء.

وضرب الأولياء والاعداء بمنظور واحد من التصفية والقضاء المبرم. فقد أوقد حرباً بين مناصريه وأمراء الجند ذهب ضحيتها آلاف من الأتراك في يوم واحد.[٢]

---

(١) السيوطي / تأريخ الخلفاء ٤٢٢.

(٢) ظ : المصدر نفسه / ٤٢٤.

وقمع انتفاضة أهل حمص على النظام العباسي وولاته قمعاً رهيباً، وكانت بقيادة ابن عكّار على واليه محمد بن إسرائيل، بما تحدث عنه التأريخ بمئات القتلى والجرحى والمعوّقين، يضاف إلى ذلك إشعال الفتنة في الحرب الدائرة بين عيسى بن شيخ الربعي وأما جور التركي عامل دمشق، وما نجم عن ذلك من سفك دماء الأبرياء من الشيوخ والشباب والنساء[1]

ولقد كابد الإمام الحسن العسكري وأولياؤه من ظلم المهتدي وجوره ما سارت به الركبان، وقاسى العلويون وأتباع الإمام منه صنوفاً من الاضطهاد نفياً وتغريباً، ومصادرة أملاك وديار وبساتين، واحتجاز أموال الضعفاء والمتمولين على حدّ سواء في أمثال كثيرة.[2]

وبالنسبة للإمام الحسن العسكري عليه السلام فقد تمادى المهتدي بأذاه والإساءة إليه، وسجنه عدة مرات على قصر مدته في الحكم، فقد اعتقله عند أوتامش التركي، وكان شديد العداء لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، غليظاً على آل أبي طالب.. فلما رأى هدي الإمام العسكري وعبادته «أصبح أحسن الناس بصيرة، وأحسنهم قولاً.»[3]

واعتقل الإمام مرة أخرى، وأمر بالتصنيف عليه في معتقله، وكان المتولي لسجنه صالح بن وصيف، واجتمع لديه العباسيون، فقالوا له: ضيّق عليه ولا توسع!! فقال صالح:

«ما أصنع به، قد وكلتُ به رجلين، شر من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم.»

---

(١) ظ: اليعقوبي / التأريخ ٢/٥٠٥ ـ ٥٠٦.

(٢) ظ: الكليني / الكافي ١/٥١٠ ـ ٥١١ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٥ + الطبرسي / إعلام الورى ٢/١٤٤ ـ ١٤٥ + الأربلّي / كشف الغمة / ٣/٢٠٤ ـ ٢٠٨.

(٣) الكافي / ٥٠٨ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٨ + الأربلي / كشف الغمة / ٣/ ٢١٢.

ثم أمر بإحضار الموكلين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ وهو يعني بذلك الحسن العسكري عليه السلام، فقالا له: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلم، ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا.

فلما سمع العباسيون ذلك انصرفوا خائبين.(١)

وإضافة على السجن بتكراره، تشير بعض الروايات أن المهتدي كان مصمماً على قتل الإمام العسكري، بما رواه المسعودي: «إن المهتدي كان قد صح عزمه على قتل أبي محمد عليه السلام، مشغلةً الله بنفسه حتى قتل ومضى.»(٢)

ويبدو أن قرار المهتدي بقتل الإمام كان عند آخر سجنٍ سجنَ فيه الإمام بعهده، وهذا ما يؤكده أبو هاشم الجعفري من إخبار الإمام عليه السلام أن الله قد

بتر عمره، قال الجعفري: «كنت محبوساً مع الحسن العسكري في حبس المهتدي بن الواثق، فقال لي (يعني الإمام العسكري) : «في هذه الليلة يبتر الله عمره (مشيراً للمهتدي) فلما أصبحنا شغب الأتراك، وقُتل المهتدي، وولي المعتمد مكانه».(٣)

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾(٤) صدق الله العلي العظيم

---

(١) ظ : الكليني / أصول الكافي ٥١٢/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٧ + الأربلّي / كشف الغمة ٢٠٨/٣.

(٢) المسعودي / إثبات الوصية / ٢١٣.

(٣) ظ : ابن شهراشوب / المناقب ٥١٠/٣.

(٤) سورة آل عمران / ١٤٠.

الإمام في عهد المعتمد العباسي

وتسلم المعتمد بن المتوكل العباسي الحكم بعد المهتدي وذلك عام ٢٥٦ هـ، وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام في عهد إمامته الشرعية قد عاصر المعتمد حوالي خمس سنين حتى استشهاده على يديه اغتيالاً بالسم عام ٢٦٠ هـ كما سترى ذلك فيما بعد.

وكان المعتمد في حد ذاته مستهتراً بالقيم والمثل، منهمكاً في اللهو واللذات، واشتغل عن الرعية بذلك فكرهه الناس؟.[1]

وألقى المعتمد الحبل على الغارب، وترك الأمر للأتراك يدبّرون أمر الدولة، وقد امتدّت حقبة خلافته الاسمية ثلاثة وعشرين عاماً (٢٥٦ - ٢٧٩هـ) وهي تقارب ربع قرن من الزمان، وكان بإمكانه إحكام أمره، وقيادة الدولة والسيطرة على الموقف في مختلف مدارات السلطان، ولكنه كان مشغولاً بلهوه ومجونه وإسرافه على نفسه في الشهوات الآثمة والعبث غير المشروع، واستغل ذلك الأتراك استغلالاً فاحشاً فطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد.

وكان المناخ السياسي في عصره ملتهباً بالأحداث الجسيمة، لا يكاد يستقر له وضع ولا يهدأ فيه اضطراب، فمضافاً إلى قيادة الأتراك السلطوية، وغطرستهم الفجّة في معالجة الأمور، كانت المطاردة

(١) ظ: السيوطي / تأريخ الخلفاء / ٤٢٥.

للمعارضة تشمل عدة أقاليم من البلاد الإسلامية، وكانت الحركات الدموية تندلع شرارتها بين الحين والآخر، فما تخمد ثورة بوابل من الدماء الغزيرة حتى تنطلق ثورة أخرى شاهرة السلاح بوجه النظام، معلنةً المبادئ والخطط في برامجها المستقبلية، وهي تكيل المواعيد بالإصلاح والصلاح تارةً، وبالبيعة إلى الرضا من آل محمد، لاسيما في انتفاضات الشيعة الداعية إلى آل محمد شعاراً، والعاملة لنفسها واقعاً، وكان أهمها ثورتان دمويتان:

١. ثورة علي بن زيد العلوي في الكوفة عام ٢٥٦ هـ وكانت من الاندفاع والقوة أن سيطرت على الكوفة وأطرافها، واستولى قائدها علي بن زيد على الحكم فيها، وأزال عنها والي الخلافة، واتخذها عاصمة له، وأصدر منها الأوامر، ونظّم شؤون الثورة.

ولم تقف السلطة من هذه الحركة الدامية موقف المتفرج، بل سيرت إليها الشاه بن مكيال في جيش جرار من قبل المعتمد العباسي، وجرت بينهما معركة طاحنة انهزم فيها ابن مكيال ونجا بنفسه، وقد قتل أغلب عسكره.

وأغاظت هذه النتيجة دار الخلافة، فعبأ المعتمد جيشاً للكوفة بقيادة كيجور التركي، ولم يبدأ بقتال، وإنما أرسل إلى علي بن زيد يدعوه إلى الطاعة، وبذل له الأمان بذلك، فتشدد علي بن زيد في مطالبه وشروطه فلم يجبه كيجور إلى ذلك، فخرج علي بن زيد من الكوفة بقواته وجيشه وعسكر في القادسية، وتبعه كيجور بجيوشه فواقعه، وكانت معركة فاصلة، انهزم فيها علي بن زيد وقتل رعيلٌ كبير من أصحابه.[1]

وكانت حصيلة هذه الحركة في سيطرتها وإخمادها إضافة رعيل من

(١) ظ: ابن الأثير / الكامل في التأريخ ٤/٤٤٧.

القتلى إلى رعيل مثله، وجمهرة من الأرامل واليتامى إلى جمهرة أخرى، ولم يحصل المتقاتلان على شيء سوى المآسي لأسر المفجوعين بالأبناء والآباء والأزواج، وتثبيت قواعد الحكم المهزوز، وإحكام قبضته حتى حين.

٢. ثورة الحسن بن زيد العلوي في جرجان، فقد ثار بها هادراً منتقماً، واستولى على جرجان، وقتل كثيراً من عساكر السلطان، وغنم ما عندهم من المال والمواشي والممتلكات.(١)

وإذا أشرنا إلى جزء من حركات العلويين، فإننا نشير أن الأمر في التحرك الثوري لم يكن مقتصراً عليهم وحدهم، بل شاركهم في ذلك فئات أخرى نشير إلى بعضها على وجه العموم فقد نجم قرن آخر في القرن الإفريقي يقوده إبراهيم بن محمد المعروف بأبي الصوفي، ظهر بصعيد مصر، وسيطر على مدينة (آشنا) ودارت بينه وبين الجيش المصري بقيادة ابن طولون معارك دامية، أبان فيها المقاتلون شجاعة واستبسالاً، وكانت النتيجة أن قتل جمهور كبير من قوات ابن الصوفي وانهزم بنفسه، ولكنه لم يخلد إلى الهدوء فقام بحركة مسلحة دامية أخرى عام ٢٥٩ هـ وقتل فيها من جيشه من قتل، وأسر من أسر، وانهزم من انهزم، وكان ابن الصوفي مع المنهزمين، بيد أنه ألقي القبض عليه، وأرسل مخفوراً إلى ابن طولون في مصر.(٢)

ولم تهدأ حركات العنف المسلّح، بل أخذت بالانتقال من بلد إلى بلد، فقد خرج بالجزيرة مساور الخارجي، وطوف بن زهير وهو خارجي أيضاً، وقاتلهم الحسن بن أيوب العدوي، واستطاع أن يهزمهم، وقبض

(١) ظ: ابن الأثير الكامل في التاريخ ٤/ ٤٣٩.
(٢) ظ: المصدر نفسه ٤٣٢/٤ ـ ٤٣٣.

على مساور الخارجي، فقطع رأسه وأنفذه إلى سامراء.(١)

ولم تكن هذه الانتفاضات الفردية والجماعية لتنفجر عنوةً دون تسويغ، وإنما انطلقت باعتبارها ردّة فعل طبيعية، نتيجة سياسة الجور والعسف من الولاة، والابتعاد عن الإسلام من قبل الخلفاء والوزراء والكتاب، فما إن تسكن ثائرة إلاّ شبّت أخرى.

وينبغي القول إن أهم الثورات شمولاً، وأعظمها تأثيراً، وأفجعها وقائع ومشاهد وضحايا وخسائر، هي «ثورة الزنج» في البصرة التي استمرت زهاء خمسة عشر عاماً، وقد هزت العرش العباسي هزاً عنيفاً، وكادت أن تطوّح به، وقد حملت في أحداثها أوزاراً كبرى، وذهب ضحيتها مئات الألوف من الجند العباسي، والزنوج، وبقية أبناء الشعب المغلوب على أمره.(٢)

ولم تكن هذه الثورة لتحدث اعتباطاً، فقد كانت لها أسبابها ودواعيها وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية الموضوعية، فقد دأب النظام العباسي في فترات عديدة على استيراد العاملين في المهن المتواضعة، فجلبوا مئات الآلاف من الزنوج والزنجيات للعمل في الأرض والزراعة والموانئ والخدمات العامة، وحراسة الدور، والأشغال الشاقة.

فانتشر الزنج في العراق انتشاراً مريعاً، وتكاثروا فيه بشكل يدعو إلى القلق من خلال تصرفاتهم؛ وكان شعورهم بالحرمان والتذييل، وكونهم خدماً مستأجرين بل عبيداً مملوكين، وأنهم في الغالب يعاملون معاملة الحيوانات... أدّى كل ذلك إلى شعورهم بالمذلّة والاضطهاد العرقي، فاتحد جمعهم بقيادة صاحب الزنج: علي بن محمد الذي

---

(١) ظ : ابن الأثي / الكامل في التأريخ ٤/٤٣٩.

(٢) ظ : تفصيلات ذلك عند الطبري / التأريخ / أحداث السنوات ٢٥٥ ـ ٢٧٠.

ادّعى أنه من ذرية أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، إلاّ أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام كذّب هذا الادّعاء المفترى، وكذّب هذه القالة، فعن محمد بن صالح الخثعمي، قال: كتبت إلى أبي محمد ـ الحسن العسكري ـ أسأله... وكنت أريد أن أسأله عن صاحب الزنج الذي خرج بالبصرة، فوقّع عليه السلام: «صاحب الزنج ليس منّا أهل البيت.»[1]

ولسنا... نريد أن نؤرخ لهذه الثورة، فلسنا بصدد ذلك وقد كتب عنها الشيء الكثير، إلاّ أننا نريد التأكيد بأنها كلّفت الأمة عشرات الآلاف من القتلى، ومثلهم من الأرامل واليتامى، إذ اندلع لهيب الثورة من البصرة، وامتد إلى عبادان فالأهواز والقصبات المتاخمة لها، وقد استمر فيها القتال الدامي والحريق الهائل طيلة أربعة عشر عاماً، فكم من جند للدولة قد انهزم، وكم من كتيبة للزنج قد أبيدت، وكم من حرمة للمسلمين قد هتكت، وكم من منازل ودور ومزارع وبساتين ورساتيق قد دمرت وأحرقت، وكم من العوائل الشريفة قد هجّرت عن ديارها وأبعدت عن مساكنها، حتى عادت البصرة الفيحاء وما حولها جحيماً لا يطاق، وأصبحت الحياة فيها متعسرةً متعثرة، والأمان مفقوداً، والاستقرار لا ذكر له.

ولك أن تتأمل فيما اقترفه الطرفان جند السلطان وفصائل الزنج من القتل الذريع العشوائي، وما ترتب على هذا القتل من سيل الدماء الجاري، وإزهاق الأرواح بالجملة دون حساب وإحصاء دقيق، وما رافق ذلك كله من نهب الممتلكات وسلب الأموال، وتخريب السكك والطرق والعمارة، وما تمخّض عنه هذا البلاء العظيم من إلغاء الدور الحضاري والعلمي والاقتصادي للبصرة، وما آلت إليه الحياة الاجتماعية من التدهور في كل شيء، وكان الناس من خلال ذلك بين باكٍ على دينه

(١) الأربلّي / كشف الغمة ٢١٨/٣.

وباكٍ على دنياه، ولم تتمكن الدولة بكل أجهزتها العسكرية والسياسية والقمعية من السيطرة على الموقف والقضاء على رؤوس الثائرين إلاّ بعد تصفية بيت مال المسلمين بما فيه، وتحويله إلى السلاح ومرتبات القوّاد والجند، وإزجاء التضحيات الكبرى في النفوس التي سيقت إلى محرقة البصرة، وإهدار طاقات جمة في البعوث وحشد القوات المقاتلة واستبدال القادة، كان ذلك بعد خسائر فادحة لا تعدّ ولا تحصى طيلة هذه السنين العجاف.(١)

بمثل هذه الأحداث المروّعة الصارخة كانت حياة سيدنا ومولانا الإمام الحسن العسكري تصبح وتمسي ومع كون المعتمد العباسي عارفاً بمكانة الإمام عليه السلام، وعالماً بموقعه القيادي من الرسالة الإسلامية، فقد عرضه للتصفية الجسديّة بأبشع صورها، وذلك برميه للسباع الضواري لافتراسه، ولكنه لم يفلح في ذلك، وقيل إنه اعتذر عنه لكرامة ظهرت للإمام، فقد سلّم المعتمد الإمام العسكري إلى يحيى بن قتيبة، فكان يضيّق على الإمام كثيراً، فحذرته زوجته من ذلك لمعرفتها الحقيقة بمنزلة الإمام ومكانه من رسول الله، وأنذرته بأن لا يمس الإمام بسوء قائلة له:«اتقِ الله فإني أخاف عليك منه...»

فلم يعبأ بكلامها، ورمى بالإمام إلى السباع، ظناً منه بأنها سوف تفترسه بلحظات، وتركه للسباع وخرج، وأتى إليه بعد ثلاثة أيام مع الأستاذ (الموكّل بترويض السباع) فوجد الإمام الحسن العسكري يصلي، والأسود حوله، فدخل الأستاذ الغيل، فمزقته الأسود وأكلته...

وانصرف يحيى بن قتيبة إلى المعتمد وأخبره بذلك، فدخل المعتمد على الإمام وتضرع إليه طالباً العفو والدعاء بإطالة عمره.(٢).

---

(١) ظ: تفصيل ما جرى في ثورة الزنج لدى ابن الأثير / الكامل ٤/٤٣٠ ـ ٤٤٥.

(٢) ظ: ابن شهراشوب / المناقب ٣/٥٣٠.

ولم يكن المعتمد ليتعظ بهذه الكرامة الكبرى للإمام، بل لجَّ في عتوّه وطغيانه، وأودع الإمام سجونه الرهيبة عدة مرّات وكرّات في نوب متقطعة، يمكن الإشارة إلى بعضها بما ذكرته مصادر ترجمة الإمام.

سجن المعتمد الإمام العسكري عام ٢٥٨هـ مع عدة من الطالبين.(١) وتصرح بعض الروايات أن المعتمد سجن الإمام في دار نحرير، وكان نحرير يضيق على الإمام ويؤذيه.(٢)

وروى جملة من المؤرخين: أن الإمام العسكري حبس في إحدى المرات في الحبس الذي كان في قصر الجوسق.(٣)

وروى المسعودي: أن المعتمد العباسي حبس الإمام مرةً عند علي بن جرين، وحبس أخاه جعفراً معه، وكان المعتمد يسأل علياً عن أخبار الإمام في كل وقت، فيخبره أنه يصوم النهار ويصلي الليل. فسأله يوماً من الأيام عن خبره فأخبره بمثل ذلك، فقال له: امضِ الساعة إليه واقرأه مني السلام، وقل له: انصرف إلى منزلك مصاحباً.

قال علي بن جرين، فجئتُ إلى باب السجن... فوجدت الإمام جالساً؛ فأديت إليه الرسالة وركب.. فوقف؛ فقلت له: فما وقوفك يا سيدي؟ فقال لي: حتى يخرج جعفر. فقلت: إنما أمرت بإطلاقك دونه. فقال ترجع إليه فتقول له: خرجنا من دار واحدة جميعاً، فإذا رجعتُ وليس هو معي كان في ذلك ما لا خفاء به عليك، فمضى وعاد، فقال له: يقول لك: قد أطلقت جعفراً لك.(٤)

(١) ظ: الطبرسي / إعلام الورى ١٤٠/٢ + المجلسي / البحار ٣١١/٥٠.

(٢) ظ: الأربلّي / كشف الغمة ٢١٣/٣.

(٣) ظ: الكليني / الكافي ٥١٢/١ + المفيد / الإرشاد ٣٨٨/ الطبرسي / إعلام الورى ١٤١/٢ + ابن الصباغ / الفصول المهمة /٢٦٨.

(٤) المسعودي / إثبات الوصية / ٢١٣ ـ ٢١٤.

وهذه الحادثة تمثل نبل الإمام وأصالته، وهو غير راضٍ عن سلوك أخيه، ولكنه لم يشأ أن يطلق ويتركه سجيناً لما في ذلك من الحرج.

هذا، وقد ذهب الأستاذ الدكتور دونالدسن إلى أن أكثر ما أصاب الإمام الحسن العسكري من الابتلاء والأذى في السجن كان على زمن المعتمد، وذلك قوله:

«إن أكثر ما أصابه (يعني الإمام العسكري) من الأذى في السجن كان على زمن الخليفة المعتمد الذي تولّى الخلافة بعد المهتدي.»[1]

وما اكتفى المعتمد بهذا كله حتى أقدم على اغتيال الإمام كما سترى.

(١) دونالدسن / عقيدة الشيعة / ٢٢٧.

الإمام يواصل مسيرته القيادية

وواصل الإمام الحسن العسكري عليه السلام مسيرته القيادية في حقبة إمامته، رغم هذا العناء في المتابعة والسجون والمعتقلات، فما خبا نجمه، ولا امّحى ذكره، وبقي رمزاً شاخصاً للنضال الديني، يلتفّ حوله فقهاء عصره، ويسير بين يديه ركب العلماء وحملة القرآن، وقد انتشر وكلاؤه في الأقاليم يبلغون الرسالة بإخلاص، وحدب تلامذته على نشر الوعي بصدق وأمانة، والإمام يشق طريقه في ظل مفارقات عجيبة تفرضها الأحكام اللاإنسانية للنظام العباسي، وقد ملئت ظلماً ورعباً واستفزازاً، والإمام جادّ في أداء رسالته الإلهية رغم ما سخّره الحاكمون من واقع جدلي في التنظير والمحاورات لإلهاء الناس عن واقعهم المعاصر، وإشغالهم بمعاناة آنية في هدف سياسي مزدوج يعنى بمجابهة الإمام بالمنظرين الرسميين من جهة، ويسعى إلى إذابة المجتمع الإسلامي من جهة أخرى.

وقد نجح العباسيون بحدود في اختلاق الصراعات الداخلية، التي أغرقت الأمة في خضمّ الانحلال العام في الرأي والشخصية والمصير الإنساني، وبدأت المواجهة غير المعلنة بين الإمام وبين السلطة وأتباعها، فالإمام في طليعة القيادة المؤمنة، والحكومة في ذروة الابتزاز السلطوي، يشاركها في هذا التجمع المضادّ أعداد أهل البيت من النواصب والخوارج

والانتهازيين، وكلهم أصحاب أطاريح ملفّقة من رطانات مذهبية تغلب عليها روح التعصب الأعمى في العرض والطرح والأسلوب مما يتقاطع جوهرياً مع أطروحة أهل البيت في الهدي والصلاح، وهذان خطّان مفترقان.

ليس بإمكان البحث ـ وقد صودرت الحقائق ـ رصد الموجات المتلاحقة التي طوقت الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهو في قمة ثباته الرسالي ومحوره القيادي العريض، فقد حشد بنو العباس والشرائح الحاقدة كل الإمكانات المعوّقة لمسيرة الإمام، فهو في رقابة لا مثيل لها، والتعامل مع شيعته وأوليائه في ظل الأنقسامات السياسية في أشد اللحظات حراجة، حتى اضطر الإمام إلى الاحتجاب عن أوليائه ضنّاً بهم عن الملاحقة الأمنية، وفضلّ الالتقاء غير المباشر معهم على الالتقاء المباشر، وهذا ما يستدعي التخطيط لتهيئة الوكلاء والمساعدين والأمناء على التبليغ، وهي مهمة شاقة ومعقّدة تدعو إلى الأناة والتروي وصحة الاختيار، فإذا أضفنا إلى هذا أن الإمام قد فرض عليه التواجد في البلاط العباسي كل اثنين وخميس من كل أسبوع كما يروي ذلك الباحثون.[1] علمنا ما يحتاج وضع الإمام من سياسة مدروسة تتبع، ومنهجية احترازية تستجد، وقابلية في الحذر والحيطة في مواجهة المفاجآت، ويبدو للبحث أن هذه المواصفات كانت متوافرة في شخصية الإمام، فقد استطاع أن يخترق هذا الجدار السميك من الأمن المكثّف، وأن يكسب إلى جنبه بعض أعوان النظام كما تقدم، وأن يطوع بعض رجالات البلاط العباسي رغم انحرافهم عنه، فيشهدون بعلو مقامه، ورفيع منزلته، وسمو هديه، ونبل خلقه، وعفاف ذاته، وكرم نفسه، بما لا يستطيعون أن يعبّروا به عن سلطان عصرهم، كما حصل هذا المعنى لأحمد بن

(١) ظ : ابن شهراشوب / المناقب ٥٣٣/٣ + المجلسي / بحار الأنوار ٢٥١/٥٠ .

عبيد الله بن خاقان.[١]

وقد وُصِف حضور الناس يوم ركوبه إلى دار الخلافة بأن الشارع كان يغصّ بالدواب والبغال والحمير وضجة الناس من الزحام لرؤية الإمام والتبركِ بنور طلعته، بحيث لا يكون لأحد موضع للمشي، ولا يستطيع أحد أن يدخل معهم، فإذا جاء الإمام هدأت الأصوات، وسكنت الضجّة، ومهدت له الطريق حين الدخول والخروج.[٢]

فإذا دخل الإمام البلاط، عمّ الجو من نفح إمامته وطيب حديثه ما يمتلك به قلوب السامعين، ويدعو إلى دهشتهم وهدوئهم، والإنصات إلى كلامه وإفاضاته.

وفي أمثال هذه الحالة كان الإمام حريصاً على أوليائه من الضيم والعسف، ولا يريد لهم الاندماج بالحالة، ولا الانكباب عليه، ولا القرب منه، لشدة الرصد.

فقد روي عن علي بن جعفر القول: «اجتمعنا بالعسكر، وترصدنا لأبي محمد عليه السلام يوم ركوبه، فخرج توقيعه:

«ألا لا يسلّمن عليَّ أحد، ولا يشير إليّ بيده، ولا يومئ، فإنكم لا تأمنون على أنفسكم.»[٣]

وهذا نوع من الاحتراس الهادف لئلا يصاب أتباعه بأذى ومتابعة قد تصل بهم إلى حدّ القتل والإبادة، والقضية مصيرية بالنسبة للنظام إمّا الوجود وإما العدم.

ولمّا كان توجه الإمام إلى دار العامة مفروضاً عليه رسمياً، وأولياؤه

(١) ظ: الكليني / الكافي ٥٠٣/١.
(٢) ظ: الطوسي / الغيبة / ١٣٩.
(٣) المجلسي / بحار الأنوار / ٢٦٩/٥٠ وانظر مصدره.

يدركون ذلك جيداً ويتألمون له، فقد يبلغ بهم الحماس أحياناً إلى محاولة الجهر بين الجماهير بموقع الإمام من الولاية الإلهية، ولكن الإمام لا يبيح لهم ذلك.

حدّث محمد بن عبد العزيز البلخي، قال:

«أصبحت يوماً فجلست في شارع الغنم، فإذا بأبي محمد عليه السلام قد أقبل من منزله يريد دار العامّة، فقلت في نفسي: ترى إن صبحت أيها الناس هذا حجة لله عليكم فاعرفوه، يقتلونني؟ فلما دنا مني أومأ بإصبعه السبابة على فيه أنْ اسكت!! ورأيته تلك الليلة يقول:

إنمّا هو الكتمان أو القتل، فاتَّقِ الله على نفسك»[1]

وكان الإصرار السياسي على تعقّب الإمام منظَّماً في أبعاد متكاتفة جمة، كما رأيت الحال في أنباء سجونه واعتقالاته، وفي إحاطته بشبكة مدرّبة من قوى الأمن الداخلي، وانتشار العيون والجواسيس من حوله، شأنه بذلك شأن آبائه المعصومين في تطويق نشاطهم، وتعقّب حركاتهم، ومتابعة أوليائهم.. إلاّ أنها فيما يبدو للبحث كانت الأشد على العسكري وقعاً، والأكثر استفزازاً، لما أبانه هو نفسه عليه السلام فيما ينسب إليه من القول: «قد وضع بنو أمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلتين: إحداهما: أنهم كانوا يعلمون: ليس لهم في الخلافة حقّ، فيخافون من ادّعائنا إياها وتستقر في مركزها. ثانيهما: أنهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على أن زوال ملك الجبابرة الظَلَمَة على يد القائم منّا، وكانوا لا يشكّون أنهم من الجبابرة والظلمة، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى منع تولّد القائم عليه السلام أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم، إلاّ أن يتم نوره ولو كره

(١) الأربلّي / كشف الغمة ٣/٣٠٢ + المجلسي / البحار ٥٠/٢٩٠.

المشركون.»[(١)]

وهنا نصل إلى العلّة الكبرى في هذا التتبع الحثيث للإمامعليه السلام باعتباره والد الحجة المنتظر، ولذا كانت المحاولات تتكرر في الضغط على الإمام عسى أن يصلوا إلى معلومة تكشف عن الإمام المهديعليه السلام، بيد أن الإمام العسكري صلوات الله عليه كان من اليقظة والأئتمان على الموضوع الأصل بموقع خطير، بحيث لم تستطع السلطة الوقوف على شيء من الأمر أو التوصّل إليه أو معرفة من هو الحجة وأين؟

وقد سلك الإمام العسكريعليه السلام سبل التغطية الإعلامية الناجحة، واتخذ سياسة الابتعاد الظاهري عن أوليائه، وعكف على نشر وكلائه للتبليغ عنه، مما خفف زحمة التوافد على الإمام، وبما أُشعِر به أولياؤه من ضرورة تجنب لقاء الإمام مباشرة والتعامل مع وكلائه، لإيهام السلطة بأنه لا أتباع له إلاّ القليل، وأنه احتجب عن هؤلاء أيضاً وذلك بوحي بأن لا نشاط له مع فصائل الأمة وأطياف الشعب إلاّ بحدود صغيرة.

وهذا ما يفسّر لنا أصالة العمل السري الذي التجأ إليه الإمامعليه السلام، لئلا يتعرف رجال البلاط على حقيقة ما يدور في ذهن الإمام من مشروع قيادي اتخذ له أساليب جديدة وطرقاً منظّمة في الإيصال والدعوة والتبليغ لا تجلب شكاً، ولا تثير تساؤلاً، ولا تستوجب تهمة.

ومن ذلك ما استقر عليه الإمام من العمل المحاط بكثير من الكتمان والحذر بإصدار أوامره في إخفاء تحركه الرسالي ضمن الوثائق والكتب والمراسلات.

روى أبو هاشم الجعفري عن داود بن الأسود، قال «دعاني سيدي أبو محمد، فدفع لي خشبة، كأنها رجل باب مدوّرة طويلة ملء الكف،

(١) لطف الله الصافي / منتخب الأثر / ٣٥٩.

فقال عليه السلام:

«صرْ بهذه الخشبة إلى العمري» فمضيت إلى بعض الطريق فعرض لي سقّاء معه بغل، فزاحمني البغل على الطريق... فضربت البغل، فانشقت ـ الخشبة ـ فنظرت إلى كسرها، فإذا فيها كتب، فبادرت سريعاً، فرددت الخشبة إلى كمّي، فجعل السقّاء يناديني ويشتمني، ويشتم صاحبي، فلما دنوت من الدار راجعاً، استقبلني عيسى الخادم عند الباب الثاني، فقال: يقول لك مولاي:

«لم ضربت البغل وكسرت رجل الباب؟ «ودخل على الإمام وقال: يا سيدي لم أعلم ما في رجل الباب، فقال عليه السلام: «ولم احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منه؟ إياك أن تعود إلى مثلها، وإذا سمعت لنا شأناً فامضِ إلى سبيلك التي أُمرتَ بها، وإياك أن تجاوب من يشتمنا، أو تعرّفه من أنت، فإننا في بلد سوء، ومصر سوء، وامضِ في طريقك، فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينا فاعلم ذلك.»[١]

وهذا نوع جديد في أداة التبليغ يقضي بالتعتيم على المُرسل والرسول والمرسَل إليه.

وكان تحصين الإمام الأمني لأوليائه يقتضي الإسرار حيناً والإعلان حيناً آخر، فقد اعتقل وجماعته في غياهب السجون، فقد رأى الإمام عليه السلام في السجن الحسن بن محمد العقيقي، ومحمد بن إبراهيم العمري، فقال الإمام:

«لولا أن فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرّج عنكم وأومى إلى الجمحي أن يخرج فخرج ـ فقال أبو محمد: هذا الرجل ليس منكم فاحذروه!! وإن في ثيابه قصة قد كتبها إلى السلطان يخبره بما تقولون،

(١) ابن شهراشوب / المناقب ٣/٥٢٨ ـ ٥٢٩.

فقام بعضهم ففتش ثيابه فوجدوا القصة يذكرهم فيها بكل عظيمة.»[١]

وهذا الاحتضان الأمثل من الإمام عليه السلام لأوليائه المقربين، وممن عانوا آلام السجون ومرارة المعتقلات، هو التدبير المنطقي لإنقاذهم من الإشكاليات الأمنية في المستقبل، وهو الوسيلة التنظيمية الناجحة لضمان استمرار العلاقة الرسالية بين الإمام وأتباعه بعيداً عن كيد السلطة.

وبمثل هذا الظرف العصيب كانت مواصلة الإمام عليه السلام لمسيرته القيادية مما يقتضي منه الحكمة في التعامل مع الأحداث والإدارة لشؤون الإمامة العامة بالتأكيد على نظام الوكلاء الذي أصّله أبوه الإمام علي الهادي عليه السلام، وتدريب شيعته أهل البيت على الالتزام بمعطياته الجديدة في الحفاظ على وجودهم الغالي عليه، وفي كيفية إيصال الحق الشرعي إلى مستحقيه عن طريق الوكلاء، وفي تسلّم فتاوى الإمام ورسائله وكتبه بشكل سرّي منظم وتعميم ذلك على الثقات من أولياء الأئمة عليهم السلام للعمل بها.

إن ظاهرة الاحتجاب الجزئي للإمام عن الأتباع والموالين كان تخطيطاً مصيباً لتخفيف حدة الرقابة عن أولياء الإمام، نظراً لعدم اختلافهم في التردد عليه.

وفي قبال هذا الاحتجاب كان التجاوب مع المناسبات العامة التي يؤم بها أتباعه سامراء، أو تقصدها الوفود ـ باعتبارها عاصمة الدولة ـ لأغراض تجارية وسياسية واجتماعية، مما يمهّد للالتقاء بجملة من الثقات والأعيان لطرح أمهات القضايا بين يدي الإمام، والحصول على الرأي في كيفية التصرف والعمل والأداء، وفي مثل هذا المناخ يتوقع غياب السلطة لانشغال فصائلها بالحفاظ على الأمن العام لدى ازدحام

(١) ابن شهراشوب / المناقب ٥٣٦/٣.

سامراء بالوافدين.

إن هذه الخطوات السرّية وشبه السريّة تهدف إلى تدريب شيعة الإمام وأوليائه على النظام والانضباط التام في عصرين متقابلين: عصر الحضور بين يدي الإمام ما سنحت الفرصة إلى ذلك، وعصر الغيبة والاعتماد على الوكلاء والنواب إن عزّ التشرف بحضرة الإمام.

هذا العمل في دقته المتناهية يعدّه البحث في غاية الأهمية، لأنه الطريق السليم للتمهيد لإمامة صاحب العصر عجل الله فرجه، باعتباره القائم بالأمر الذي يملؤها قسطاً وعدلاً، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وهو السبيل للبشارة المتوقعة بحتمية ولادته، وغيبته، وظهوره، مما مهّد له من عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى عصر أبيه الإمام الحسن العسكري الذي نهد بالتمهيد له في خطوط استراتيجية، ستقف على إبرازها في الفصل القادم.

الفصل الرابع

الإمام العسكري يمهد لولده الإمام المنتظر

١. طبيعة التمهيد التدريجي للإمام المنتظر.

٢. التخطيط الاستراتيجي لإعلان ميلاد الإمام المهدي.

٣. نيابة الوكلاء عن الإمام.

٤. تأصيل مرجعية الفقهاء.

٥. فلسفة انتظار الفرج.



طبيعة التمهيد التدريجي للإمام المنتظر

كان العمل السرّي المنظم الأداة الوحيدة الأكثر نجاحاً في عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام للتمهيد لولده المهدي المنتظر أرواحنا فداه، وكان الإمام العسكري معنياً بهذا الأمر عناية معمّقة تتلاءم مع طبيعة الظرف السياسي الطارئ الذي اكتنف كيان الدولة العباسية وهي تتلقى أنباء قرب ولادة الإمام المهدي، وأنه الإمام الثاني عشر الذي سيطوح بالكيانات الطاغوتية في العالم، والنظام العباسي في طليعتها كما يقدرون، وكان هذا الإرهاص حرياً بإثارة قلق السلطة واستبداد المخاوف لدى قادتها، مما جعلها تتأهب تماماً لاستقبال هذا الحدث لوئده في مهده، وتضع قواها الفاعلة في أقصى درجات الاستنفار لمواجهة الخطر القادم.

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يقابل مهمته الرسالية وجهاً لوجه في خضمّ تلاحق الأحداث وتسارعها بإشاعة هذا النبأ، ولقد أبدى الإمام جدارة فائقة بالتمهيد المسؤول عن سلامة ولده، بما يحقق الحفاظ عليه في ظرف عصيب غلبت عليه الفوضى في قرارات السلطة، وفرضت في حالة الطوارئ القصوى وهي تتتبع هذا الحدث الجديد المقدّر له الإجهاز عليها بالكامل، وهي تحاول الانقضاض عليه بسرعة خارقة، وترصد علامات ولادته المتقاربة، وتلحظ ما عليه الإمام العسكري من أحوال

شخصية.

وكان الإمام علي الهادي عليه السلام لم يعلن عن زواج رسمي للإمام العسكري، وإنما تم اقترانه بسريّة تامة من إحدى السراري الروميات، وهي السيدة «نرجس» في أغلب الروايات، وبدراية قِلّةٍ من الثقات، وبعلم عدد محدود من نساء البيت الطاهر، وحملت السيدة «نرجس» بولدها الوحيد الإمام محمد المهدي عليه السلام، ولم يفصح عن هذا الحمل على الإطلاق حتى الولادة، وكانت ولادته في مناخ عائلي غلب عليه عنصر الكتمان، فلم يلفت ذلك أحد المعنيين والحاكمين المتربصين بالوليد الجديد، ومن ثم بدأ الإعلان التدريجي عن مولده الشريف من قبل أبيه بخاصة للثقات والخلّص من الأولياء.

بهذا الشكل الباهر كان ميلاد صاحب الأمر، وجاء تصديقاً لما ورد فيه من أخبار متواترة قبل ولادته بقرنين من الزمان، الأمر الذي اطّلع عليه بنو أمية وبنو العباس عن طرقهم المتواترة وأيقنوا به فعلاً، إذ تناقل المسلمون تلك المرويات طبقة عن طبقة حتى عرف بها الخاص والعام، والنصوص على ذلك كثيرة جداً إذ بلغت آلاف الروايات، كما جاء ذلك أخيراً في: «المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه»

من تأليف سماحة الأخ العلامة المحقق الشيخ علي الكوراني العاملي عامله الله بلطفه في أحدث طبعة له جاءت بـ (١١٣٦) صفحة.

وقد اشتهرت أغلب هذه الأحاديث شهرة مستفيضة في عهد الصادقين: الإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق عليهما السلام.

وهنا نجد دورة الإمام الحسن العسكري جديراً بالأهمية في سبيل التمهيد لولده من جهات خطيرة متعددة.

لقد نهد الإمام العسكري عليه السلام بهذا الثقل العظيم، وأدّى ما عليه

تجاهه بصلابة وإعداد، فهو يعلن في الوقت المناسب عن ميلاد الإمام المنتظر، وهو يعمّق مفهوم الغيبة الصغرى والكبرى، وهو يدرّب أولياءه والأمة على أخذ التعليمات عن الإمام بصورة غير مباشرة، وهو يمرّنها على فلسفة انتظار الفرج، وهو يحذّرها من الانخداع بالانتفاضات المرتجلة، وهو يؤهلها لاستقبال الظهور المرتقب، وهو يعدّها إعداداً رسالياً لليوم الموعود.

إنها مفردات ضخمة الأداء، تفرّغ الإمام الحسن العسكري عليه السلام لخوض غمارها بعزم وتضحية، منطلقاً بتخطيط جديد، وأسلوب جديد، وعرض جديد، حيث حقق أهدافاً مستقبلية كبرى رغم قصر مدة إمامته التي لم تتجاوز السنوات الست.

إن مهمة إعداد الأمة لهذه المرحلة يتطلب كثيراً من الجهود الإضافية، فحينما يكون الإمام بين ظهراني شيعته فإنهم يستمعون إليه، ويأخذون منه وجاهياً، ويرتبطون بشخصيته مباشرة دون حجاب، وبهذا يكون الالتقاء الفكري متوافراً في حالة حضور الإمام بتوافر وجوده الشريف، أمّا في حالة غيابه، فتحتاج المسيرة في ضوء آرائه جهداً استثنائياً طارئاً يذلل من وقع غيابه على النفوس، وذلك بممارسة جديدة تستدعي بيان الأسباب والدواعي لفلسفة الغيبة.

هذا الحدث المرتقب يعني التمسك باللمح الغيبي والإيمان بعائديته على أولياء الإمام بتلقي المعلومات الضرورية في شؤون الدنيا والدين بالوساطة بين الإمام وبينهم عن طريق ثقاته ووكلائه، والثبات على المبدأ الأصل في حالة الغيبة كما هو عليه في حالة الحضور، وما يؤسس على هذا المبدأ من الصبر والاندماج في الواقع الجديد، وما يترتب على ذلك من انتظار الفرج من جهة ومن العمل على تهيئة المناخ المناسب مستقبلاً للظهور المرتقب.. وما يصاحب ذلك من هزّات وإفرازات لا يتجاوزها إلاّ

من محض الإيمان وامتحن فيه قلبه.

حدث الحسن بن محمد بن صالح البزاز قائلاً

سمعت الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول:

«إن ابني هو القائم من بعدي، وهو الذي يجري فيه سنن الأنبياء بالتعمير والغيبة حتى تقسو القلوب لطول الأمد، فلا يثبت على القول به إلاّ من كتب الله عزّ وجلّ في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه.»[(١)]

ومؤدّى هذه الرواية مضافاً إلى النص بأن المهدي المنتظر هو القائم: أن هذا القائم تجري به من سنن الأنبياء العمر المديد والغيبة الحتمية، وأن الثابت على القول به من محض الإيمان محضاً.

لهذا وسواه كان توقُّع الاختلاف بعد الإمام العسكري في هذه الظاهرة بجميع عوالمها وأبعادها الآنية والمستقبلية.

وقد نبّه الإمام العسكري عليه السلام إلى هذه الحقيقة مبكراً، فقد حدّث موسى بن جعفر بن وهب البغدادي، قال:

سمعت أبا محمد الحسن عليه السلام يقول:

«كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني، أما إن المقرّ بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع أنبياء رسول الله ورسله، ثم أنكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمنكر لرسول الله كمن أنكر جميع الأنبياء، لأن طاعة آخرنا كطاعة أوّلنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا، أما إن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلاّ من عصمه الله عزّ وجلّ.»[(٢)]

وهذا التشديد في النكير على جحد إمامة صاحب الأمر له دلالته في

---

(١) الصدوق / كمال الدين ٢/٥٢٤.

(٢) الصدوق / كمال الدين ٢/٤٠٩.

أصل التشريع تكويناً، فالمقرّ بالأئمة والمنكر له، كالمقرّ بنبوة الأنبياء والمنكر لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وبناءً على قاعدة اللطف، وقبح العقاب بلا بيان، فإن من الثابت في دستور أهل البيت، وعليه أغلب المسلمين: أن الأرض لا تخلو من حجة على خلقه، وعلى ذلك الخبر الآتي:

حدّث أبو علي بن همّام قائلاً: سمعت محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه [النائب الثاني لصاحب الأمر] يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد بن الحسن بن علي عليه السلام، وأنا عنده: عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام:

«إن الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه إلى يوم القيامة، وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية!!

فقال عليه السلام: «إن هذا حقٌّ كما إن النهار حق.» فقيل له: يا ابن رسول الله فمن الحجة بعدك؟ فقال: «ابني محمد هو الإمام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقّاتون، ثم يخرج، فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة.»[1]

إن هذه الإفاضة من الإمام تؤكد على ضرورة الاعتقاد بالغيبة. وتنكر على من أنكر إمامة الحجة المنتظر، وتدعو إلى انتظار الفرج باللازم.

---

(١) المصدر نفسه ٢/٤٠٩.

التخطيط الاستراتيجي لإعلان ميلاد الإمام المنتظر

أشرنا إلى كيفية التكلم على ولادة الإمام المهدي عجّل الله فرجه، حذر السلطة، وكيف أحيط حتى حمله بالسريّة التامة، ولم تتعرف حتى عمة الإمام على الحمل، وبقي ذلك مصوناً حتى الولادة.

وكان لا بد للإمام أن يعلن نبأ الولادة السعيدة لجملة من أوليائه والثقات من أصحابه، ليحيط هؤلاء خبراً بهذا الحدث العظيم من خلال موقعه في الولاية الإلهية، وكان لا بد من استراتيجية دقيقة في الإعلان عن هذا الأمر الخطير.

ويظهر من الأحاديث الشريفة للإمام العسكري بالذات أنه قد بشر والدته ـ بادئ ذي بدء ـ بحملها هذا.

روى الشيخ الصدوق عن الكليني أن الإمام قال لزوجته: «ستحملين ذكراً، واسمه محمد، وهو القائم من بعدي.»[١]

وما بعد هذا التصريح من تصريح، فقد أنبأ الإمام بالآتي:

أولاً: بأن الحمل سيكون ذكراً.

ثانياً: إن اسم المولود محمد.

(١) الصدوق / كمال الدين ٢/٤٠٨.

ثالثاً: إن هذا الوليد سيكون هو القائم بالأمر بعد أبيه العسكري.

وهذه بشارة خاصة على مستوى العائلة.

وبدأ الإمام مبشراً، أولياءه بولده قبل الميلاد، فقد سأله عيسى بن صبيح فيما إذا كان له ولد؟ فأجابه الإمام قائلاً:

«إي والله سيكون لي ولدٌ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فأما الآن فلا.»[1]

وهذا إنباء قاطع مقترن بالقسم من قبل الإمام قبل الولادة بميلاد الإمام مستقبلاً. وقد يخبر الإمام بولادته باللازم كما في الرواية: أن جماعة من شيعة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وقد فدوا عليه بسامراء، فعرّفهم بوكيله عثمان بن سعيد، وأعلمهم أنه وكيله وأن ابنه محمداً وكيل ابنه المهدي، قائلاً: «اشهدوا عليّ أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم.»[2]

وهذا نوع من الإخبار الغيبي الحتمي الواقع.

وقد يفيض الإمام العسكري بالحديث عن ولده بعدة علائم وخصائص ومميزات للدلالة على ميلاده مستقبلاً، مع التأكيد أنه الحجة، وأن اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن كنيته كنية رسول الله، وأنه خاتم الحجج والخلفاء، وأنه من ابنة قيصر، وأنه سيولد، وأنه سيغيث، وهذه تفصيلات دقيقة نابعة من بعد استراتيجي اتخذه الإمام للإعلان الفعلي عن ميلاد ولده الإمام المنتظر.

عن الفضل بن شاذان أن محمد بن عبد الجبار سأل الإمام الحسن العسكري عن الإمام والحجة من بعده، فأجابه بالقول: «إن الإمام وحجة الله من بعدي ابني، سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنيّه، الذي هو خاتم حجج

(١) القطب الراوندي / الخرائج والجرائح ١/٤٧٨.

(٢) الطوسي / الغيبة ٢١٥.

الله وآخر خلفائه.»

فسأله ممن هو؟ فقال الإمام:

«من ابنة قيصر ملك الروم، إلا أنه سيولد ويغيب عن الناس غيبة طويلة ثم يظهر.»[١]

وبعد هذا التمهيد نشاهد إرهاصات الولادة بالإخبار عنها أولاً، وبتحققها ثانياً، وبالإشهاد عليها ثالثاً، وبكتابة الإمام العسكري لثقافته في الموضوع، ومعرفتهم بذلك.

فالسيدة «حكيمة» بنت الإمام الجوادعليه السلام، وأخت الإمام علي الهاديعليه السلام، وعمه الإمام الحسن العسكري كان لها أن تبركت بتولي أمر «نرجس» أم الإمام المهدي عجل الله فرجه بولادته وساعة الولادة.[٢]

وأعلنت نفسها: مشاهدة الإمام المنتظر بعد ميلاده المبارك.[٣]

وأشار أبوه الإمام العسكري بأن السيد حكيمة نفسها قد غسلته[٤]

وقد ساعدها على ذلك بعض النسوة المقربات من بيت الإمامعليه السلام، مثل جارية أبي علي الخيزراني التي أهداها إلى الإمام الحسن العسكري، كذلك مارية ونسيم من خدم الإمام[٥] وكان الإمام يخبر بهذا النبأ بتحفظ بحسب ما تقتضيه المناسبة وطبيعة الكتمان. فتارةً يصرح وأخرى يلمح.

وقد أمر الإمام العسكري بعض وكلائه الأثبات بأن يعقّوا عن المولود المبارك، وإطعام أخوانه من لحم العقائق تلك، بل وكتب بالتشخيص

(١) الحر العاملي / إثبات الهداة ٥٦٩/٣.

(٢) ظ : الصدوق / كمال الدين ٤٢٤/٢.

(٣) ظ : الكليني / الكافي ٣٣٠/١.

(٤) ظ : الصدوق / كمال الدين ٤٣٤/٢.

(٥) ظ : المصدر نفسه ٤٣٠/٢ ـ ٤٣١.

إلى بعضهم.

«عقّ هذين الكبشين عن مولاك، وكلْ هنّأك الله، وأطعم إخوانك.»(١)

وخرج من الإمام العسكري توقيع رفيع جاء فيه: «زعموا أنهم يريدون قتلي ليقطعوا هذا النسل، وقد كذّب الله عَزَّوَجَلَّ قولهم، والحمد لله.»(٢)

وحينما قتل المعتز العباسي، قال الإمام في توقيع له:

«هذا جزاء من اجترأ على الله في أوليائه، يزعم أنه يقتلني وليس لي عقب!! فكيف رأى قدرة الله فيه.»(٣)

وورد منه عَلَيْهِ السَّلَامُ كتاب بالتصريح إلى أحمد بن إسحاق.

«ولد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً، وعن جميع الناس مكتوماً، فإنّا لم نظهر عليه إلاّ الأقرب لقرابته، والولي لولايته.»(٤)

وعن احمد بن إسحاق نفسه قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي العسكري يقول: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي، أشبه برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خلقاً وخُلُقاً، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته، ثم يظهره الله فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً.»(٥)

وفي سنة ٢٥٧ هـ خرج عيسى بن مهدي الجوهري مع جماعة إلى سامراء بعد زيارتهم للحسين والشهداء في كربلاء، والكاظم والجواد في بغداد، وقد بشروا بميلاد الإمام المنتظر عجل الله فرجه، فدخلوا على

(١) المسعودي / إثبات الوصية / ٢٢١.
(٢) ظ: الصدوق / كمال الدين ٢/ ٤٠٧.
(٣) الكليني / الكافي ١/ ٣٢٩.
(٤) الصدوق / كمال الدين ٢/ ٤٣٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٤١٨.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام للتهنئة، وأجهروا بالبكاء بين يديه قبل التهنئة، وهم نيف وسبعون رجلاً من أهل السواد. وكان بكاؤهم من شدة الفرح بميلاد الخلف الصالح، فقال الإمام:

«إن البكاء من السرور من نعم الله مثل الشكر لها...»

وأراد عيسى بن مهدي الجوهري أن يتكلم فبدره الإمام قائلاً:

«فيكم من أضمر مسألتي عن ولدي المهدي (ع) وأين هو؟

وقد استودعته الله كما استودعت أم موسى، موسى عليه السلام...

فقالت طائفة: أي والله يا سيدنا لقد كانت هذه المسألة في أنفسنا.[١]

وحينما بدأ الحديث هامساً حول ولادة الإمام المهدي في أفق المجتمع المحدود لأولياء الإمام، قام الإمام بعرضه أحياناً على ثقات أصحابه، والإشهاد عليه، والنصّ على إمامته من بعده، والتأكيد على انتظار فرجه، والبشارة فيه أنه الذي يملأ الدنيا عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وبدأ هذا المنهج يغمر ساحة الأولياء والخلص من أتباعه، فعن عمرو الأهوازي أن الإمام العسكري قد أراه ابنه، وقال «هذا صاحبكم من بعدي.»[٢]

وهذا الإطلاع على الإمام المهدي بدأ بواحد هنا، ولكنه تدرّج وتطوّر إلى وصوله لمجاميع من أصحابه شيئاً فشيئاً، حتى اطمأنت العصابة إلى رؤية الإمام ووجوده دون ريب.

فعن أبي غانم الخادم أنه؛ ولد لأبي محمد عليه السلام ولدٌ فسماه محمداً،

---

(١) الحر العاملي / إثبات الهداة ٣/٥٧٢.

(٢) الكليني / الكافي ١/٣٢٨.

فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: «هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً، ملأها قسطاً وعدلاً.»[١]

ويتوالى هذا الإخبار، وتتكرر رؤية الحجة المنتظر، حتى يبلغ عدداً جديراً بالشياع بين عمدة القوم فعن معاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح، ومحمد بن عثمان العمري، قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ونحن في منزله، وكنا أربعين رجلاً، فسئل عن الحجة من بعده! فخرج عليهم غلامٌ أشبه الناس، به، فقال: «هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا.»

قالوا: فخرجنا من عنده، فما مضت إلاّ أيام قلائل حتى مضى أبو محمد عليه السلام[٢]

وقد عمد الإمام الحسن العسكري تثبيتاً منه لمبدأ الإمامة إلى خطوة إيجابية هادفة، وذلك أنه سمح لولده بالإجابة عن أسئلة مواليه بحضور أبيه، وكان ذلك في عدة حوادث، وفي مرّات متفاوتة زمنياً.فقد حدّث أحمد بن إسحق حين سأل عن علامة يطمئن إليها قلبه حول إمامة المهدي عليه السلام، وذلك حين أراه الإمام إياه، وقد كان غلاماً كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين... وأن الغلام نطق بلسان عربي فصيح، فقال:

«أنا بقيّة الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين

---

(١) الصدوق / كمال الدين ٤٣١/٢.

(٢) الصدوق / إكمال الدين ٤٣٥/٢.

يا أحمد بن إسحاق.»[١]

وهذه المجابهة من الحجة المنتظر وعمره ثلاث سنين، كان لها الوقع المؤثر في الاطمئنان النفسي، فلا يطلب أثراً بعد عين، وهكذا كان.

وحصل هذا الملحظ بصورة أشمل مع سعد بن عبد الله الأشعري القمي حينما ألقيت إليه مسائل صعبة، فالتحق بأحمد بن إسحاق لعرضها على الإمام العسكري، ودخلا عليه وولده المهدي بين يديه، فأمره أبوه بإخبار أحمد عن هدايا شيعته التي جاء بها، ثم أخبر سعد بن عبد الله بما جاء به من المسائل التي أشكلت عليه، فأجابه عنها.[٢]

(١) المصدر نفسه ٢/٣٨٤.

(٢) المصدر نفسه ٢/٤٥٤.

نيابة الوكلاء عن الإمام

كان الإمام علي الهادي عليه السلام قد طوّر نظام الوكلاء في عصره تطويراً مبرمجاً اعتاد معه أولياء أهل البيت عليهم السلام التعامل مع وكلاء الإمام نيابةً عنه كما أوضحنا هذا في عمل مستقل.(١)

وفي ضوء هذا النظام المتطور كان الوكلاء رضوان الله عليهم يلبّون احتياجات أتباع الإمام، ويحملون إليهم رسائلهم، ويسألون الإمام بدلهم، وبذلك أخذت التجربة الغيبية بالتفاعل مع أولياء أهل البيت تعويضاً عن التجربة الحضورية.

وكان الأداء غير المباشر ينوب عن الأداء المباشر في شتى شؤون الإمامية، وكان الالتقاء الفعلي بالإمام، والارتباط الحاضر به يضفي هيبة وقدسية بين صفوف أتباعه، ويزيد في التفاعل في عملية الأخذ والتلقي عندهم دون حواجز ووسائط، ولكن الدربة على عوالم الغيبة تحتاج إلى عمل مكثّف وشعور معمّق عند الاستجابة لها، كما تتطلب الصبر على المتابعة الواعية التي قد تشق على جملة من الأولياء لأنهم ليسوا سواسية في التفكير والقابلية، ولا بد للإيمان أن يكون متفاوتاً فيما بينهم شدة وضعفاً.

إلاّ أن الجهود الجبّارة التي قام بها الإمام علي الهادي عليه السلام، قد

(١) ظ: المؤلف / الإمام علي الهادي / النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي.

أثمرت تذليل الصعاب في عهد ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقد استقبل أتباع مدرسة أهل البيت نظام الوكلاء متناوباً منذ عهد الصادقين حتى عهد العسكريين، حتى بدا مقبولاً مع شدة الأمر وصعوبة المبدأ، إلا أن الطبقة المختارة قد تلقته بالتسليم والمباركة والامتثال؛ فهم الصفوة، وكان على هذه الصفوة استقبال تعليمات الإمام ونشرها بين صفوف الأمة على الوجه الأكمل، وكان عدد وكلاء الإمامين العسكريين في تصاعد مستمر بحيث شمل المساحة الإسلامية التي تدين بالولاء لأهل البيت عليهم السلام في شرق الدولة وغربها، وكانت الأوامر من قِبل الإمام الحسن العسكري صريحة بضرورة الارتباط المبدئي بهؤلاء الوكلاء.

وكانت طبيعة الاندماج بهذا التنظيم الجديد تقتضي وجود طبقتين من الوكلاء وهما:

الطبقة العلنية المعروفة لدى عموم الشيعة مع التكتم عليهم، والطبقة السريّة المجهولة لدى الكثيرين، باستثناء أماثل الشيعة، ومع هذا قام كل بتأدية واجباته متكاملة، وشكّلوا بذلك بؤرة الإشعاع الفكري والروحي لتوجيهات الإمام سواء أكان طليقاً أم سجيناً أم محتجباً.

وعلى الرغم من التشديد في اختيار الوكلاء، فقد خان الأمانة جملة من الوكلاء يعدّون بأصابع اليد، وذلك لأسباب ماديّة أو اجتماعية أو انحراف عقائدي عن خط أهل البيت، وقد تبرأ منهم الإمامان العسكريان على حدّ سواء، وآذنوا أولياءهم بتلك البراءة تصريحاً بأسمائهم، وتجريحاً بهم، وإنذاراً بالابتعاد عنهم، مما يعني أن هذا الجهاز الضخم يخضع في تشكيلاته إلى رقابة الإمام مباشرة، وكانت تلك البراءة من هذا الصنف تتبعها اللعنة من الإمام، ويتلوها الإعلان عن إلغاء وكالة كل منهم، والتحذير من نزغاتهم.

أما حديث الإمام العسكري عليه السلام عن أساطين هؤلاء الوكلاء، فكان مطمئناً لقلوب أوليائه، ومعبراً عن ثقته بوكلائه، ومعززاً لمواقفهم عملياً، فقد حدّث محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان، أنهما دخلا على الإمام العسكري في سامراء وبين يديه جملة من أوليائه وشيعته، إذ دخل بدر الخادم، وقال للإمام: يا مولاي بالباب قومٌ شعثٌ، فقال الإمام: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن.. ثم قال لبدر: فامضِ فأتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا إلاّ يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد عليه السلام:

«اِمضِ يا عثمان، فإنك الوكيل والثقة والمأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء اليمنيين ما حملوه من المال... حتى قالا: ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك، وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى.»

قال: «نعم واشهدوا عليّ أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم.»[1]

ويلحظ أن الإمام عليه السلام ما اكتفى بالإنباء عن وكالة عثمان بن سعيد له، وأنه الثقة المأمون، حتى مهّد لولده الإمام المهدي بالإخبار أن عثمان هذا وكيل له وأن ولده محمداً وكيل المهدي، وهكذا كان عثمان بن سعيد الوكيل الأول للإمام المهدي عجّل الله فرجه، ثم كان ولده محمد بن سعيد وكيله الثاني.

وبدأ نظام الوكلاء في عصر الإمام العسكري عليه السلام يشق طريقه بمباركة الإمام وبتخطيطه لعوالمه المترامية في الإفتاء وإدارة الأموال، وتنفيذ المشاريع، ورعاية القاصرين، وإغاثة الملهوفين، وما يترتب على

---

(١) الطوسي / الغيبة / ٢١٥.

حمل ذلك من خطوات إجرائية تهيئ أسبابه، وتبعث فيه روح النشاط والحيوية.

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يثرى هذا النظام ويدعم تلك النيابة بثلاثة مؤشرات:

الأول: تأكيد الثقة الغالية المطلقة من قبله بصفوة هؤلاء الوكلاء الأمناء والإعلاء من شأنهم باعتبارهم البديل المشروع لنيابة الإمام، والإلفات إلى مساس الحاجة إلى علمهم وإفاضاتهم كلّما اشتدت الأزمات السياسية، وكلما اقترب موعد الظهور المبارك، وكلما اقترب أجل الغيبة، لهذا أوحى الإمام لأتباعه أن نيابة هؤلاء عنه ضرورة شرعية تتطلبها المرحلة الانتقالية من الحضور إلى الغيبة، ومن اللقاء المباشر بالإمام إلى اللقاء غير المباشر عن طريق هذه العصبة.

الثاني: التوجيه العام لأولياء الإمام بالأخذ عن هؤلاء الوكلاء معالم دينهم، وشؤون شريعتهم، والاتصال بهم لقبض حقوقهم، والطلب إليهم عند احتياجهم، ، والعمل معهم يداً بيد لإنعاش الطبقات المحرومة، وتهيئة سبل العيش الكريم للفقراء والمضطهدين، لتكون الحالة الجديدة في إطارها هذا تعويضاً نسبياً عن لقاء الإمام في شؤونهم، حتى تمّ لدى عموم الشيعة الاعتياد على هذه الظاهرة، وقبول ما تقرره، وقد أعطت ثمارها الغراء في تجربة دقيقة، فقد خففت عن متابعة الإمام جزئياً، وقد مهّدت لصاحب الأمر كليّاً، وقد صانت الأولياء من الملاحقة المستمرة، وقد أدت الأمانة في مسؤوليتها بيسر وسماح قدر المستطاع.

الثالث: حسن التأني من قبل الإمام مع هؤلاء النوّاب في تطوير شؤونهم الإدارية التي تناسب هذا المنصب المهم، فالإمام لا ينفك من التبليغ الاستمراري لوكلائه كتابةً ومشافهةً، ولا يفتأ من تحصينهم

العلمي أداء ورسالة، وذلك من خلال التوقيعات الشريفة أو المراسلات الأمينة بخطّه مباشرة.

كانت هذه المؤشرات أبرز العوامل في تركيز نظام النيابة عن الإمام.

وكانت وظيفة الإمام في نصب الوكلاء عنه تستدعي إشعار أوليائه بهذا النصب والتوكيل، ووصف الوكيل في دينه وتوثيقه، وبيان واجباته ومستحقاته، والأمر بتنفيذ أوامره وعدم خذلانه، والدعاء للأولياء في خلال ذلك.

فقد وكّل الإمام إبراهيم بن عبدة في بعض النواحي، فاختار علماً من أعلامها، ووجه إليه بالرسالة الآتية:

«وبعد، فقد بعثت إليكم إبراهيم بن عبدة، ليدفع (أهل) النواحي، وأهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم إليه، وجعلته ثقتي وأميني عند موالي هناك، فليتقوا الله، وليراقبوا، وليؤدوا الحقوق، وليس لهم عذر في ترك ذلك، ولا تأخيره، ولا أشقاهم الله بعصيان أوليائه، ورحمهم الله وإياك معهم برحمتي لهم، إن الله واسع كريم.»[١]

ويبدو أن الإمام عليه السلام قد زوّد إبراهيم بن عبده بوكالة خطيّة، ثم أنبأهم بصحة ذلك الكتاب، فكتب لهم: «وكتابي الذي ورد على إبراهيم بن عبده بتوكيلي إياه بقبض حقوقي من موالينا هناك، نعم هو كتابي بخطي إليه، أقمته لهم ببلدهم حقاً غير باطل، فليتقوا الله حقّ تقاته، وليخرجوا من حقوقي، وليدفعوها إليه، فقد جوّزت له ما يعمل به فيها وفقه الله، ومن عليه بالسلامة من التقصير.»[٢]

وهذا نموذج فيه شيء من التفصيل عن كيفية نيابة الوكلاء عن الإمام،

---

(١) الكشي / الرجال / ٥٨٠.

(٢) المصدر نفسه / ٥٨٠ + الخوئي / معجم رجال الحديث ٢٣٢/١٠.

وذلك في نقطتين:

الأولى: إشعار من يبعث إليهم بالوكيل.

الثانية: تزكية الوكيل وتوثيقه من قِبل الإمام.

وفي ضوء ما تقدم فإن البحث يعتبر نظام الوكلاء من أرقى ما توصل إليه الفكر الإمامي في الدعوة والتبليغ، ويرى فيه البديل الأمين عن حضور الإمام في الواجهة الأمامية، لأنه الوسيط الموثوق به بين الإمام وأوليائه، والقائم على مشاريع الإمام في قبض المال وتوزيعه في مظان استحقاقه ومشروعيته طبق الموازين، وهو سبيل الإجابة عن الاستفتاءات في شؤون الأحكام، وهو نوع من التناوب على القيام بالمسؤولية الشرعية بما يخفف ـ ولو جزئياً ـ من أعباء الإمام الفادحة، وفيه ضمان للسلامة من الهزّات الأمنية والاحتقان السياسي، والابتعاد عن الأضواء التي تثير حساسية السلطان.

ومن هنا كان هذا التخطيط الأمثل هو الأصل في قيام مرجعية فقهاء أهل البيت فيما بعد، إذ اعتاد أولياء الأئمة على تلقي أحكامهم عن طريق نيابة الوكلاء، وقد قام على أساسه نظام آخر يمتد مع أهل البيت في الارتباط بأوليائهم حتى الظهور وقيام الدولة العالمية للإسلام على يدي الإمام المنتظر عجّل الله فرجه، ذلك النظام العريق هو نظام «المرجعية الدينية» المنطلق من التوقيع الرفيع لصاحب الأمر: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم.»[١]

وعلى هذا يتضح أن تخطيط الإمام الحسن العسكري عليه السلام في هذا

---

(١) الكليني / الكافي ٣/٥٥.

المنظور الجديد يشكل نقطة التحوّل من عصر الحضور الميداني للإمام إلى عصر الغيبة بإقامة الوكلاء نيابةً عن الإمام، وذلك ما يضمن استمرارية التبليغ المتكامل بمبادئ أهل البيت في مراحل لاحقة عبر القرون القادمة بانضمام «مرجعية الفقهاء» لذلك باعتبارها بديلة عن نيابة الوكلاء بانتهاء أمدها الزمني.

إنها تجربة فريدة حضارية كتب لها النجاح الباهر في الأداء الرسالي الهادف، وقد كان بطلها الإمام العسكري من خلال وكلائه، وأبرزهم على سبيل النموذج:

١. عثمان بن سعيد العمري السمّان (الزيّات)، وهو وكيله، ووكيل صاحب الأمر، وأول النوّاب الأربعة.

٢. محمد بن عثمان بن سعيد العمري، وهو وكيله ووكيل ولده الإمام المهدي عجّل الله فرجه، وثاني النوّاب الأربعة.

٣. إبراهيم بن عبده النيسابوري، وكيله في نيسابور، وهو من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام.

٤. أيّوب بن نوح بن دراج، كان وكيلاً له ولأبيه الإمام علي الهادي من ذي قبل.

٥. أحمد بن إسحق القمي الأشعري، وكيله في قم المشرّفة.

٦. أحمد بن إسحق الرازي.

٧. جعفر بن سهيل الصيقل.

٨. علي بن جعفر الهمّاني، كان وكيلاً له ولأبيه الإمام علي الهادي عليه السلام

من ذي قبل.

٩. القاسم بن العلاء الهمداني، وهو وكيله، ووكيل صاحب الأمر فيما بعد.

١٠. محمد بن أحمد بن جعفر (الجعفري) القمّي العطّار.

تأصيل مرجعية الفقهاء

مُني التشريع الإسلامي بنكسة كبرى ارتفعت إلى مستوى الكوارث الإنسانية، ذلك حينما أقصي أهل البيت عليهم السلام عن قيادة الأمة، وأقصي معهم فقههم في التشريع، واستُعيضَ عن ذلك بمرجعية الصحابة وفقاهة التابعين، وهذا يعني إبعاد أئمة أهل البيت ابتداءً من أمير المؤمنين وحتى الحجة المنتظر عن مضمارهم في نشر حضارة الإسلام، ودورهم في الإفتاء بفروع الحلال والحرام وإعلاء كلمة الله في الأرض. وهذا ما حدث فعلاً.

وقد خُطر على الفقهاء تداول آراء الأئمة صراحةً، وربما كان رأي أهل البيت ـ أحياناً ـ يمزج بغيره لئلا يعرف مصدره، وربما كنّي به عن أعلامهم كأمير المؤمنين: بأبي زينب أو الشيخ، وعن بقية الأئمة بقال الرجل، أو قال العالم.. وهكذا.

ولعل من أطرف ما مرّ بأبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ) أنه سئل عن مسألة فقهية.. قال: فاسترجعت في نفسي لأني أقول فيها برأي علي بن أبي طالب، وأدين الله به، فما أصنع؟

ثم عزمت أن أصدقه (أي السائل) وأفتيه بالدين الذي أدين الله به... فأفتاه، ومضى يقول:

إن بني أمية كانوا لا يفتون بقول علي عليه السلام ولا يأخذون به، وكان

عليّ لا يذكر باسمه بين الفقهاء، والعلامة بين المشايخ أن يقولوا: قال الشيخ.[(١)]

وهكذا الحال زمن العباسيين، وكان ذلك اتجاهاً سياسياً يراد في محاولة لإخماد اللهب المتوهج من عطاء أهل البيت الفكري. وكان البديل زعامات مرجعية لا نصيب لأغلبها من ورع، ولا إثارة من علم، ولا سابقة في إيمان.

وكان نتيجة هذا الخلط العجيب أن استطال فريق من المستشرقين على التراث الإسلامي يصفونه بالعي والعجز حيناً، ويتهمونه بالتخّلف عن ركب الحضارة حيناً آخر، ضالعين في هذه الدعوى عن وعي ولا وعي، وكأنهم في منأى عن معرفة ما خطط أدعياء السياسة المنحرفة من مخططات رهيبة لمناهضة الإسلام، ولم يشاؤوا أن يقرّوا بذلك مع عرفانهم به، ولكنهم اتجهوا نحو الإسلام يصمونه بتصرفات الملوك والسلاطين.

إن مما ينوء به التأريخ الرسمي عبأً، ذلك الصدى الحاكي لصوت الحق، وليس هو من الحق في شيء، لأنه استغلال للاسم والموقع فحسب دون الغوص في الأعماق لاستقراء الحقائق الغائبة، فلا هو بواصل إلى البعد المؤثر حقاً، ولا هو بتارك الميدان لأهله الفعليين.

وكان للعباسيين لاسيما أبي جعفر المنصور الدور الفاعل في ابتكار المذهبية على أساس الولاء للحكم، واختبار الفقهاء المتجاوبين مع سياسته الخرقاء في القتل والتدمير وسفك الدماء، والاعتداء على الهاشميين من أبناء أمير المؤمنين بصنوف العذاب الذي لا مثيل له، كالقتل صبراً للجماعة والأفراد منهم، وجعل الأحياء في إسطوانات البناء

(١) ظ: هاشم معروف الحسني / سيرة الأئمة الاثني عشر ٢/٢٥٤.

وإغلاقها للموت جوعاً وعطشاً وخنقاً، وهدم السجون على المعتقلين وهم أحياء وليموتوا تحت الأحجار المتراكمة، وقطع الرؤوس وكتابة أسماء أصحابها في لوحات عليها، وجعل ذلك ميراثاً لولده المهدي، وهدية لحفيده الرشيد.(١)

ولا نطيل الحديث في هذا الموضوع المفجع، ولا الاسترسال في تلك الفظائع التي ارتكبت باسم الدين، فله غير هذا الموقع من البحث التاريخي.

والذي نريد قوله إن أبا جعفر المنصور قد فتح الباب على مصراعيه في استغلال وعاظ السلاطين، فتسنم منصّة الإفتاء غير المؤهلين علمياً ودينياً، ففسروا كتاب الله بما لم ينزل به سلطان، واخترعوا الأحاديث الكاذبة في ولاية الظالمين، وقالوا بالسنة بالأهواء، وضربوا بالعقل عرض الجدار.

وأنزلوا الشريعة منازل الرأي دون النظر في الأدلّة، وذهبوا إلى الاستحسان دون الاستنباط، والى القياس دون الاجتهاد القائم على الدليل والقواعد الفقهية والأصولية.

كان الفقهاء الرسميون قد انتشروا في الممالك والأقاليم، ينفِّذون رغبة السلطان، ويفتون بما تملي عليهم أوامر الحاكمين، يفتعلون الأحاديث وينسبونها للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ويضعون الروايات التي تمجّد أسلاف الخلفاء زوراً وبهتاناً، وينتحلون السنن التي لم تكن، إلا صبابة ضئيلة منهم يمنع الورع الذاتي حيناً والوازع الديني حيناً آخر عن العبث والإسراف.

وكان لهذه الظاهرة إشكالية مريرة في تأريخ الإسلام التشريعي، وهي

(١) ظ : على سبيل المثال : الطبري / التأريخ ٦/٣٤٣ .

ليست مشكلة سياسية تحلّ بالإداريين والولاة والكتّاب، وهي ليست مشكلة اقتصادية تعالج بالرفاهية وبذل الأموال، وهي ليست مشكلة عسكرية تحتوى بتعيين القادة ورجال الحرب والتجنيد الإلزامي، ولكنها مشكلة دينية خطيرة تتعلق بهذا الدين الحنيف في السنة والفقه والتشريع وإفتاء المسلمين، وتتعلق بتطبيق قانون السماء المختار من الله تعالى بين العباد.

وهنا بدأ الفراغ القاتل في حياة الشريعة ينذر بالخطر، ولم تكن الفئات المتغلبة سياسياً بإزاء ملء هذا الفراغ الحقيقي، إذ انقسموا متاجرين وولاة وحكاماً وسياسيين، وأهل دنيا، ورجال أعمال، وسواداً ولم يكن هناك..

ومهما يكن من أمر فقد استقبل المسلمون هذه المشكلة دون حلّ، واستقبلها الحاكمون بكثير من العناء، فعليهم أن يجدوا ويوجدوا من يفتي بين الناس، وكان إيجاد البديل عن قيادة الأئمة المعصومين متعثراً، يقع في إشكاليات معقّدة حيناً، ويتعرض لشطحات الأهواء حيناً آخر، فكثر الأخذ والردّ بلا طائل، وقام الخلاف على قدم وساق ومُني المسلمون بخسارة كبرى في تلقي معالم الدين.

لقد حاول المنصور الدوانيقي (ت ١٥٨ هـ) الذي تزيّا بزيّ الأكاسرة، وأحدث تقبيل الأرض بين يديه.[١] أن يطوّع الفقهاء في مشروع لخلق المذاهب الأخرى قبال مذهب أهل البيت عليهم السلام فاستعصى عليه سليمان بن الأعمش، وتحداه برواية فضائل أهل البيت وأحاديث الإمام الصادق وأخبار العترة النبوية في مواقف يطول شرحها، ولعل المنصور قتله.[٢]

---

(١) المقريزي / النزاع والتخاصم / ١٣٥.

(٢) ظ : علي الكوراني / جواهر التأريخ ٤٦٨/٥ وما بعدها.

وكان أبو حنيفة بين بين مع المنصور يستجيب له تارةً، ويتقيه تارةً أخرى فسقي من قبل المنصور بشربة عسل مسمومة فمات من غدٍ، والصحيح أنه توفي في سجن المنصور.[١]

وفي هذا الضوء لا نستطيع القول إن أبا حنيفة وقف ضد المنصور، ولا تستطيع القول إنه وقف معه، وإنما اتخذ بين ذلك سبيلاً، ومع هذا فقد غدر به المنصور.

نعم؛ استطاع المنصور أن يطوّع مالك بن أنس ويجعله من المنفذين لأوامره متمثلاً في كل شيء، فقد أحضره واستدعاه فاستقبله، وأمره أن يؤلف كتاباً يجمع به أشتات الفقه والأحاديث قائلاً له: «لم يبقَ على وجه الأرض أعلم مني ومنك!! وإني قد شغلتني الخلافة، فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به، تجنّبْ فيه رخص ابن عباس، وشدائد ابن عمر ووطئه للناس توطئه. قال مالك: فو الله لقد علّمني التصنيف يومئذٍ.) [٢] وقد استجاب مالك لذلك وسمّى كتابه «الموطأ» وهو أصل المذهب المالكي، وقد اشترط عليه المنصور أن لا يروي فيه عن علي عليه السلام شيئاً، وقد نفّذ ذلك حرفياً ولهذا فإنك لا تجد في «الموطأ» رواية عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.[٣]

ولقد تعهد المنصور لمالك بفرض كتابه على المسلمين بالقوة، بعد أن يكتبه كما تكتب المصاحف، فقد روى الذهبي أن المنصور قال لمالك: «والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف، ولأبعثن به إلى الآفاق فلأحملنهم عليه.»[٤]ومع كل هذا العمل المتواصل الذي

---

(١) ظ: الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٢٣٥ + الخطيب البغدادي / تأريخ بغداد ٣٢٩/١٣.

(٢) ابن خلدون / المقدمة / ١٨ + الذهبي / سير أعلام النبلاء ١١١/٨.

(٣) النوري / مستدرك الوسائل ٢٠/١.

(٤) الذهبي / سير أعلام النبلاء / ٦١/٨.

قام به أبو جعفر المنصور، فما استطاع أن يمحو ذكر أهل البيت، ولا تمكن من القضاء على الفكر الإمامي، إذ استطاع الإمام جعفر بن محمد الصادقعليه السلام (ت: ١٤٨ هـ) أن يتبنى ما أسسه أبوه الإمام محمد الباقرعليه السلام من ترسيخ قواعد مدرسة أهل البيت الكبرى، وأن ينشر مبادئ الشريعة الغراء رغم تلك الإفرازات السامة، وبذلك أعيدت للإسلام نضارته، وازدهرت آراؤه.[1]

وقد أعدّ الأئمة فيما بعد قادة الفكر الإمامي من الفقهاء وأساطين العلماء وجهابذة الفن بجهود مكثّفة عنيت بتدوين الأحاديث ولمّ شتاتها، وجمع ما تفرق منها، وقد انبثقت عن ذلك حركة الاجتهاد بين الفقهاء وِفقَ ما أصله الإمامان الباقر والصادقعليهما السلام فيما ورد عنهما.

«إنما علينا أن نلقي إليكم الأصول، وعليكم أن تفرّعوا.»[2]وما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام بقوله: «علينا الأصول، وعليكم الفروع»[3]

وبناءً على هذا التوجيه الضخم نهض الفقهاء بأداء الوظيفة الشرعية، وعملوا مخلصين على إبراز فقه آل محمد مبوّباً مبرمجاً في ظل علم الحديث، وقد رفد الإمام الحسن العسكريعليه السلام هذه المبادرة الخيرة، وأعلن تأييده للفقهاء والأخذ عنهم، وأمر أولياءه بالرجوع إلى فتاواهم، وتقليدهم في الفروع قائلاً: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه.»[4]

---

(١) ظ: تفصيل ذلك / المؤلف / الإمام محمد الباقر مجدد الحضارة الإسلامية / ٢٣٢ وما بعدها.

(٢) الحر العاملي / وسائل الشيعة ٤١/١٨.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) الطبرسي / الاحتجاج ٢٦٣/٢ وهو مرويٌّ في الكتب الأربعة.

وهنا أعطى الإمام خصائص الفقيه الذي يرجع إليه في التقليد، فهو ذو صفات أربع: صيانة النفس، حفظ الدين، مخالفة الهوى، إطاعة أمر المولى عَزَّوَجَلَّ.

وبهذا يكون الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ قد ثبت قواعد الإمامية بالرجوع إلى الإمام بعد الغيبة، وأجزل القول في صفة الفقيه المقلد ثقة وعدالة، وبذلك يكون الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ قد خرج من عهدة مسؤوليته الشرعية بعد وفاته وغيبة ولده المهدي بمهمتين:

الأولى: نيابة الوكلاء، وقد أمر بالرجوع لهم للوثاقة المطلقة التي أولاها إياهم، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يرجع أولياءه إليهم، كما عن أحمد بن إسحق عن الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ في شأن عثمان بن سعيد وولد محمد قال، قال الإمام: «العمري وابنه ثقتان، فما أديّا فعني يؤديان، وما قالا فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فأنهما الثقتان المأمونان»[1]

الثانية: مرجعية الفقهاء وأخذها الطابع النهائي والصيغة القطعية بما لا يقبل الردّ أو الجدل كما رأيت.

وكان الإمام جعفر بن محمد الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أرسى أصول هذا المبدأ، فوجه الإمامية إليه بقوله: «ينظر من كان منكم فمن روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يُقبل منه، فإنما استخف بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادّ علينا رادّ على الله، وهو بحدّ الشرك.»[2]

ولم ينحرف أولياء أهل البيت منذ وفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري (ت ٣٢٩ هـ) وابتداء الغيبة الكبرى، وإلى اليوم من عام ١٤٢٩ هـ

---

(١) الطوسي / الغيبة / ٢١٨.

(٢) الكليني / الكافي ٥٤/١ + الطوسي / التهذيب ٢١٨/٦ و٣٠١.

عن هذا المبدأ، فقد رجع الناس إلى الفقهاء لإكمال المسيرة، وقد واصل فقهاء أهل البيت استنباط الأحكام الفرعية في ضوء عملية الاجتهاد، وانتصب المذهب شامخاً متحدياً العصور والأجيال بالمنهج الاجتهادي في ضوء الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

وقد كان التدريب الاجتهادي المنظّم من مهمات الشيخ الأكبر المؤسس محمد بن محمد بن النعمان العكبري الكاظمي البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) وقد عزز هذا المبدأ على يد تلميذه علم الهدى السيد المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) وقد أثمر يانعاً على يد تلميذهما أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) فألف كتابه العظيم «المبسوط» في الفقه الإمامي، وجمع فيه الفروع في كل باب وفصل ومبحث، وأفتى في ذلك كله، فانتقل بهذا العلم الجليل في حياة النص إلى حياة الإفتاء، ومن مناخ الرواية إلى مناخ الاستنباط في نحو ثلاثين كتاباً انتظمت مرتبةً أبواب الفقه، وهي عملية متطوّرة كبرى، وبداية حضارية كتب لها التوفيق والسداد، ولا نغالي إذا قلنا: إن من جاء بعده من الفقهاء الأعاظم قد نسج على منواله، وسلك سبيل اجتهاده، ولذا عُبّر عنه بشيخ الطائفة، لابتكاره المنهج الموضوعي في طرح كبريات المسائل.

وهكذا كانت المرجعية الدينية العليا تؤدي مهمتها بأمانة وإخلاص، ولم تتحكم في ترشيحها وتعيين المرجع الأعلى العوامل السياسية وإرادة السلطان، ولم تتفاعل مع الحكومات الزمنية بإيحاء أو توجيه، وإنما تتحقق مرجعية الأعلم والأمثل تلقائياً ومن قبل أهل الخبرة العلمية، ويكون لأهل الخبرة القرار النهائي في الترشيح، وتتلقى الأمة هذا القرار بالرضا والغبطة والقبول، ولم يتفق ولو لمرة واحدة أن نجح أعداء الفكر الإمامي أو طواغيت السياسة أن يفرضوا مرجعاً واحداً خلال أحد عشر

قرناً من الزمان، وبقي هذا الكيان ثابتاً مستقراً لا يتغيّر ولا يتحوّل ولا يُستغل.[1]

(١) ظ: المؤلف / الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية / ١٨.

فلسفة انتظار الفرج

انتظار الفرج بمفهومه الرسالي يرسو على مستويين متعاضدين:

المستوى الأول: ويُعنى بتوطين النفس ودربتها على تلقي الأزمات بصدر رحب، وانفتاح على مكاره الزمن وعناء الشدائد، ويوحي بما يفرّج ذلك بعد أزمة خانقة.

وبذلك يتجلى مدى صبر الإنسان عند المعاناة، وتبدو درجة تمحيصه لدى هذا الاختبار الصعب كما نطقت بذلك روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام «... لا يكون فرجنا حتى تغربلوا، ثم تغربلوا، ثم تغربلوا ـ يقولها ثلاثاً ـ حتى يذهب الله الكدر ويبقى الصفو.»[1]

وتحدث جماعة عند الإمام محمد الباقر عن الحجة المنتظر، فالتفت إليهم قائلاً: «هيهات، هيهات لا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تمحّصوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تميزوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تغربلوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم إلا بعد أياس، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى يشقى

(١) الطوسي / الغيبة / ٢٠٦.

من شقي، ويسعد من سعد.»[١]

فهناك غربلة، وتمييز، وتمحيص، يتضح فيها الصادق والصابر من الكاذب الهارب، والناس في هذا درجات بحسب الثبات وشدّة التحمل، وقابلية الإنسان في المعاناة، وهنا تبدو إلماحة من فلسفة انتظار الفرج بالمعنى الاختباري، فإذا نجح المرء في هذا الامتحان كان منتظراً للفرج بمعناه الذي تتحدث عنه الرواية بحديث نبوي شريف يقول: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله تعالى.»[٢]

المستوى الثاني: ويعني بإعداد النفس في صدق الترقب والترصد والانتظار، فإن من يترقب أمراً عظيماً يتهيأ له، ويعمل من أجله بقدر شوقه إليه، ويتشوق إليه بمستوى اعتداده به، ولا شيء أحبّ للمؤمن الصلب العقائدي من إحياء أمر آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعملية الأحياء هذه تدعو إلى توعية الأمة واحتضان الجيل بما يتناسب معها، وتعمل على تعميق الدعوة إلى المثل العليا التي ضحوا من أجلها، وذهبوا قرابين على مذبح العقيدة، وهي مهمة صعبة المراس، ولكنّها تتيسر لمن دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فهي ضرورة ملحّة لخلق المجتمع المتكامل الذي يؤمن برسالة أهل البيت عليهم السلام بحيث تتهيأ الأجواء المناسبة فكرياً وعملياً لاستقبال ذلك الحدث العالمي بظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وينبغي أن يصاحب هذين المستويين الزهد الحقيقي في المظاهر الزائلة وحطام الدنيا، والالتزام بالتقوى معياراً روحياً، ليلتقي الهدف الديني بالهدف الرسالي، وذلك من الأهمية بمكان لمعرفة فلسفة انتظار الفرج.

---

(١) النعماني / الغيبة / ١١١.

(٢) الصدوق / كمال الدين / ٦٠٤.

إذن ليست الدعوة إلى انتظار الفرج نوعاً من الاتكالية على الغيب المجهول، ولا كيفية من الترهّب والانعزال عن الناس، ولا مبرراً للقوقعة على الذات وعدم مجابهة الحياة، فالأمر عكس هذا كلّه، بل هي عملٌ رسالي متواصل من خلال النفس وجماعة المؤمنين في حال الغيبة، وتواصل مع الخط الإلهي في الثبات على المبدأ مهما طال الزمن وكثر البلوى.

يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة إمامنا، فلم يزغ قلبه بعد الهداية.»[1]

كما أن هذا الأمر بالانتظار لا يعنى مداهنة الظلم ومسايرته، ولا يرى مسالمة الباطل ومصافحته، وإنما هو أمرٌ بالابتعاد عن الفتن المحدثة دون راية هدى، والاتزان عن الاندفاع وراء الحركات الغامضة في أهدافها أو الانتفاضات المجهولة في دوافعها، فهي قد تعلن هدفاً وتضمر غيره، وقد ترفع شعاراً وتريد سواه، فذلك جريءٌ وراء العواطف والأهواء ولا عائدية فيه لأتباع آل محمد إلاّ زيادة المكاره لهم، وإضافة قوافل من الضحايا إلى قوافل سابقة، مما يعني أن ذلك كلّه تضحية بلا قضيّة مُسوّغة شرعاً.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «ما خرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد، ليدفع ظلماً، أو ينعش حقاً، إلا اصطلمته البلية، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا.»[2]

ولهذا فإن انتظار الفرج بفلسفته الحقّة ينبغي أن يستقبل بذهنية تقرأ الأحداث، وتتحرى البعد التجريبي، وبذلك تكمن قيمته الرسالية في

---

(١) الصدوق / معاني الأخبار / ١١٢.

(٢) النعماني / الغيبة / ١٠٤.

تحقيق مسيرة أهل البيت القيادية، دون الولوج في متاهات مرتبكة مهما كانت شعاراتها برّاقة، أو كانت أسماء قادتها لامعة.

لذلك نجد الأئمةعليهم السلام يباركون ثبات أوليائهم، وصدق عزيمتهم في الانتظار الطويل، ويصفونهم بالمجاهدين تارةً، والمخلصين تارةً أخرى، وإنهم الشيعة صدقاً، والدعاة حقاً، فعن الإمام زين العابدين كما في رواية أبي خالد الكابلي، أنه قال: «تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من بعده.

يا أبا خالد: إن أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته، المنتظرون لظهوره أفضل أهل كلّ زمان، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً.»[1]

وتوالت بعد هذا الثناء العاطر على المنتظرين من قبل سيدنا ومولانا الإمام زين العابدين علي بن الحسينعليه السلام، توجيهات الأئمةعليهم السلام في هذا الاتجاه والمنظور.

قال الإمام محمد الباقرعليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ .. ﴾[2]

«اصبروا على أداء الفرائض، وصابروا على أذيّة عدوكم، ورابطوا إمامكم المهدي.»[3]

وهذه نظرة تطبيقية تبرمج فلسفة الصبر والمصابرة والمرابطة.

(١) المجلسي / بحار الأنوار ١٢٢/٥٢ وانظر مصدره.
(٢) سورة آل عمران / ٢٠٠.
(٣) النعماني / الغيبة / ١٠٣.

وكان الإمام علي بن موسى الرضاعَليَّسَلام قد حبَّبَ انتظار الفرج لشيعته من خلال التمثيل بآيات القرآن العظيم، فقال: ما أحسن الصبر وانتظار الفرج!! أما ما سمعت قول الله تعالى:

﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾.(١)

وقوله تعالى ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾(٢)

فعليكم بالصبر، فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان من قبلكم أصبر منكم.»(٣)

وقد سبق لمولانا أمير المؤمنين الإمام عليعَليَّسَلام أن عبر عن المقام الرفيع الأسنى للمنتظر لأمرهمعَليهِمسَلام فقال: «المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله.»(٤)

وفي الانتظار حفاظ على الدماء من السفك التائه في ظلمات الأحداث المبهمة والتحرك المشبوه.

ورد عن الإمام محمد الباقرعَليَّسَلام:

«كل راية ترفع قبل قيام القائمعَليَّسَلام صاحبها يكون طاغوت.»(٥)

وفي الرواية تحذير إيحائي من الانخراط في خضمِّ الضجيج في ظروف الفتن والاضطراب العقائدي.

لهذا فالانتظار حتى مع عدم إدراك الثأر من الطواغيت بالموت،

---

(١) سورة هود / ٩٣.

(٢) سورة الأعراف / ٧١.

(٣) المجلسي / بحار الأنوار ١٢٩/٥٢ وانظر مصدره.

(٤) الصدوق / كمال الدين / ٦٠٣.

(٥) النعماني / الغيبة / ٥٧.

يُحسب انتظاراً مشروعاً يثاب عليه المؤمن، ويعدّ من خلاله في أصحاب القائم المنتظر.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «من مات منكم على هذا الأمر منتظراً، كان كمن كان في فسطاط القائم.»[1]

وهذا شرف ما بعده شرف، وفيه دلالة على ضرورة المصابرة في الانتظار.

ويؤكد هذه الحقيقة الإمام محمد الباقر عليه السلام بقوله:

«ما ضر من مات منتظراً لأمرنا ألا يموت في وسط فسطاط المهدي عليه السلام وعسكره.»[2]

وتارةً أخرى يفصل الإمام محمد الباقر في فلسفة الانتظار مقترناً بالمعرفة والاحتساب فيقول:

«العارف منكم هذا الأمر، المنتظر له، المحتسب فيه، كمن جاهد ـ واللهِ ـ مع قائم آل محمد بسيفه. ثم قال: بل والله كمن استشهد مع رسول الله في فسطاطه.»[3]

ويضع الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام معايير ترقب الإمام بالانتظار وفق الأخبار عن دولتهم بإشاءة الله، وبصفات المرتقب في العمل والسلوك، فعن أبي بصير أن الصادق قال: «إن لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء» ثم قال: «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم عليه السلام فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام

(١) الصدوق / كمال الدين / ٦٠٣.
(٢) لطف الله الصافي / منتخب الأثر / ٤٩٨.
(٣) المصدر نفسه / ٤٩٨.

القائم بعده، كان له من الأجر مثل أجر من أدركه.»[١]

وهناك روايتان لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، يؤثران الانتظار وطلب الفرج، فذلك أحب الأعمال مقترناً بالأخذ بأمرهم مطلقاً، ليكون الآخذ بذلك معهم في حضيرة القدس، والمنتظر كالمتشحط بدمه في سبيل الله.

الأولى: قوله عليه السلام:

«انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ: انتظار الفرج.»[٢]

الثانية قوله عليه السلام:

«الآخذ بأمرنا معنا في حضيرة القدس، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله.»[٣]

ومن خلال هذا المنظور الملتزم أمرنا بالدعاء الصادق بتعجيل الفرج، فالدعاء قد يؤثر في التقدير، وقد يؤهل لتذليل صعوبة الانتظار، وقد يعجل بظهور الإمام.

قال صاحب الأمر نفسه:

«وأكثروا من الدعاء بتعجيل الفرج، فإنه فرجكم.»[٤]

وهذا التطلع بالدعاء بشرطه نوع من الإعداد للنفس في استقبال اليوم الموعود، وصنفٌ من الاستعداد في الاستجابة لنداء الداعي إلى الله وهو

---

(١) محمد تقي الموسوي / مكيال المكارم / ٤١٠.

(٢) لطف الله الصافي / منتخب الأثر/٤٩٨.

(٣) لطف الله الصافي / منتخب الأثر/٤٩٨.

(٤) الصدوق / كمال الدين ٤٥٢ + الطبرسي/الاحتجاج ٢/٤٨٢.

الإمام، وحينئذٍ ينظر لهذا الانتظار باعتباره إيجابي الأبعاد في نظرة مغايرة للرؤية السلبية.

يقول أستاذنا المجدد الشيخ محمد رضا المظفر طاب ثراه:

«ليس معنى انتظار المصلح المنقذ المهدي عليه السلام أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحق من دينهم، وما يجب عليهم من نصرته والجهاد في سبيله، والأخذ بأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل المسلم أبداً مكلّف بالعمل بما أنزل من الأحكام الشرعية، وواجب عليه السعي لمعرفتها على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقةً، وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما تمكن من ذلك وبلغت إليه قدرته «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» ولا يجوز له التأخر عن واجباته بمجرد الانتظار للمصلح المهدي والمبشّر الهادي عليه السلام، فإن هذا لا يسقط تكليفاً ولا يؤجل عملاً.»[1]

فالانتظار إذن لا يلغي العمل من أجله، ولا يتقاطع مع النشاط الديني المشروع، فكل منهما حقيقة قائمة بذاتها، لها ظواهرها وعوالمها الخاصة في تحقيق قيم الإسلام ومبادئه.

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام يوصي أصحابه بتقوى الله وأداء الفرائض، ويعرّج على انتظار الفرج كما في وصية أوصى بها علي ابن الحسين بن بابويه القمي، قائلاً:

«... وعليك بالصبر وانتظار الفرج، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج.»[2]

وكان الإمام يطمئن الأمة بالقول: إن الأرض لا تخلو من حجة إلى

(١) المظفر / عقائد الإمامية / ٧٩ ـ ٨٠ / مطبقة النعمان / النجف الأشرف / ١٩٦٨ م.
(٢) البيهقي / شعب الإيمان ٢/ ٤٣.

يوم القيامة، ويؤكد أن الحجة ولده الإمام المهدي، وأن له غيبة وظهوراً، الغيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك المبطلون، والظهور تخفق فيه الأعلام البيض فوق رأسه بنجف الكوفة، فعن محمد بن عثمان بن سعيد العمري، يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه: أن الأرض لا تخلو من حجة إلى يوم القيامة، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية؟ فقال:

إن هذا حقٌّ، كما أن النهار حقٌ!!

فقيل له: يا ابن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك؟

فقال: ابني محمد هو الإمام والحجة من بعدي، ومن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية. أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقاتون، ثم يخرج فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة.»(١)

ولعل من انتظار الفرج وفلسفته الروحية تلك الصلاة الزاكية على الحجة المنتظر من قبل أبيه عليه السلام.

فقد سأل أبو محمد عبد الله بن محمد العابد بالدالية أبا محمد الحسن بن علي العسكري في منزله بسرّ من رأى سنة خمس وخمسين ومائتين أن يملي عليه من الصلاة على النبي وأوصيائه عليه وعليهم السلام، وأحضر معه قرطاساً كبيراً، فأملى عليه الإمام من غير كتاب..

وكان مما يخصّ الصلاة على الحجة المنتظر قوله عليه السلام: «اللهم صلِّ على وليّك وابن أوليائك الذين فرضت طاعتهم، وأوجبت حقهم،

(١) الصدوق / كمال الدين /٤٠٩/٢ + الطبرسي / إعلام الورى / ٤١٥ + الأربلّي / كشف الغمة ٣١٨/٣ + الحر العاملي / وسائل الشيعة ٤٩١/١١.

وأذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً، اللهم انصره وانتصر به لدينك، وانصر به أولياءك وأولياءه وشيعته وأنصاره، واجعلنا منهم.

اللهم أعذه من كل باغٍ وطاغٍ، ومن شر جميع خلقك، واحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، واحرسه وامنعه أن يوصل إليه بسوء، واحفظ فيه رسولك وآل رسولك، وأظهر به العدل، وأيّده بالنصر، وانصر ناصريه، واخذل خاذليه، واقصم به جبابرة الكفر، واقتل به الكفار والمنافقين وجميع الملحدين حيث كانوا من مشارق الأرض ومغاربها وبرّها وبحرها، واملأ به الأرض عدلاً، وأظهر به دين نبيك عليه وآله السلام، واجعلني اللهم من أنصاره وأعوانه وأتباعه وشيعته، وأرني في آل محمد ما يأملون، وفي عدوهم ما يحذرون، إلهَ الحق آمين.»[١]

ولتكن هذه الصلاة الكريمة خاتمة المسك لهذا الفصل من الكتاب.

(١) الشيخ الطوسي / مصباح المتهجد / ٢٨٠.



الفصل الخامس

صفحات مشرقة من تراث الإمام

١. موارد علم الإمام الحسن العسكري.

٢. تلامذة الإمام ودورهم الإيجابي.

٣. وصايا الإمام ورسائله الرائدة.

٤. الإمام يدفع الشبهات بإفاضاته القيمة.

٥. في رحاب التفسير.

٦. في ميادين الفقه.

٧. الألفاظ الجارية مجرى الأمثال في تراث الإمام



موارد علم الإمام الحسن العسكري

وتراث الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وإن وصلنا منه ما يغني الفكر المعاصر أصالة، ووهبنا منحةً إنسانية شاملة، إلّا أنه كتراث أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام لم تُصن منه إلّا لقطات مضيئة في أنحاء التراث، ولم نضعْ أيدينا إلّا على شذرات شاردة في بطون الكتب.

أحسب أن سبب ذلك يعود لأمرين مهمين:

الأول: شدّة الرقابة على المؤرخين المعتدلين من ذوي الرأي والإنصاف، فقد أُخذ عليهم أن لا يذيعوا كرامة لأهل هذا البيت، وأن لا ينشروا مآثر أئمة الهدى، كيف لا؟ وذكر هؤلاء القادة الأبرار يهزّ عروش الظالمين!!! وعلمهم ينسخ أساطير الفقهاء الرسميين، ومصادر تراثهم الثرّ يرتبط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومجرد تصوّر هذه المؤشرات الثلاثة تصك تطلعات الخلافة بصدمة تردّهم على الأعقاب ناكسين؛ فما بالك إذن بالمؤرخين المتنعمين بفتات موائد البلاط العباسي، وقد انخرط جملة منهم في مراتب الكتّاب والمنشئين في أروقة الدولة؟

الثاني: إن الإمامين العسكريين عليهما السلام، قد فرضت عليهما الإقامة الجبرية في سامراء، وسُلطت الأضواء على كل جزئية وكلية من مسيرتهما القيادية، وأحصيت عليهما الأنفاس شهيقاً وزفيراً، وصاحبا السجون والمعتقلات في طوامير بني العباس، وقد نصّ الأربلّي على

هذا في التأكيد على ظاهرة ندرة المأثور عن الإمامين قائلاً: «لأنهما كانا محبوسين ـ يعني الإمامين العسكريين ـ في عسكر السلطان، ممنوعين من الانبساط في الفتيا، وأن لا يلقاهما كلّ أحدٍ من الناس.»[١]

فإذا أضفنا إلى هذا قصر سني إمامة الحسن العسكري الذي اخترم في عمر الورود اغتيالاً، عرفنا مدى ما أصيبت به الأمة من الحرمان المعرفي، وما منيت به من الشقاء الفكري، وما فرضت عليها السياسة الخرقاء من إجراءات.

لقد منع المسلمون الأبرار من مجالسة الإمام العسكري عليه السلام، وحرموا من لقائه وجاهاً إلّا نادراً، وأرغموا على الابتعاد عنه إلّا لماماً، وما تمتعوا بمشافهة الإمام إلّا قليلاً، مما اضطر معه الإمام إلى إملاء كتاب، قالوا إنه:

«يشتمل على أكثر علم الحلال والحرام.»[٢]

ولا نعلم مصير هذا الكتاب الذي لو وصل إلينا لأغنانا بفيضه ومعارفه، وهو اليوم مفقود كبقية آثار مهبط الوحي والتنزيل، وبذلك فاتنا علمٌ غزيرٌ جمّ، وتحرير منيف راقٍ، وقد ذكروا أن أوله: «أخبرني علي بن محمد بن موسى..»[٣]

وهذا يعني أنه متسلسل عن آبائه الطاهرين.

وقد لجأ الإمام إلى تحرير المسائل والإجابة عن الأسئلة العلمية والفقهية والكلامية التي ترده من شيعته وأوليائه، وكان تلك الإجابات ثمرة تجمع رسائل السائلين في حالتين:

(١) الأربلّي / كشف الغمة ٣/٣١٨.

(٢) ابن شهراشوب / المناقب ٣/٥٢٥.

(٣) ابن شهراشوب / المناقب ٣/٥٢٥.

الأولى: حالة تواجده في داره معزولاً عن الأمة، فتصله تلك المكاتبات سراً مع المراسلين الذين أخفيت هويتهم تماماً، بحيث لا يجلب أحدهم شكاً، ولا يثير وساوس الحاكمين، فيجاب عليها بالطريق نفسه، فتنتشر بين الأولياء، فتؤخذ عنها أحكام الشريعة الغرّاء.

الثانية: وهي حالة احتجازه في المعتقلات الرهيبة لدى العباسيين «إذ تجتمع تلك الرسائل في بيته بانتظار فرصة خروجه من السجن، ليحرر أجوبتها لأصحابها قبل أن يودع في سجن آخر، وكانت تلك المراسلات ـ كما يستفاد من المصادر ـ وافرة العدد، ومتنوعة الموضوعات، ومن مختلف البلدان والأصقاع.»[١]

ويمكن للباحث الاطلاع على مزيد من هذه المكاتبات القيمة في كل من:

١. الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني.[٢]

٢. إثبات الوصية لأبي الحسن بن علي بن الحسين المسعودي.[٣]

٣. مناقب آل أبي طالب لرشيد الدين محمد بن علي السروي / ابن شهراشوب[٤]

٤. كشف الغمة، لعلي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلّي.[٥]

٥. بحار الأنوار لمحمد باقر بن محمد تقي المجلسي.[٦]

---

(١) محمد حسن آل ياسين / الإمام الحسن العسكري /٦٧.
(٢) ظ : الكافي ٥٠٨/١ / ٥٠٩ / ٥١٠ / ٥١١ / ٥١٣ وسواها .
(٣) ظ : إثبات الوصية ٢٠٩ / ٢١٢ .
(٤) ظ : المناقب ٥٢٥/٣/٥٢٦/٥٢٧/٥٢٩/٥٣١/٥٣٢/٥٣٥/٥٣٦/٥٣٧/٥٤٠ .
(٥) ظ : كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢١٠/٣/٢١٢/٢١٤/٢١٧/٢٢١/٢٢٤ .
(٦) ظ : بحار النوار ٢٦٧/٤٨ + ٢٦٤/٥٠/٢٦٩/٢٧٠/٢٧٤/٢٧٧/٢٧٩/٢٨٢/٢٨٥/٢٨٦/٢٨٨/

وستأتي الإشارة إلى ذلك بموقعه من الكتاب إن شاء الله.

ولسنا بحاجة إلى إثبات استطالة علم الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فهو في المستوى الأرقى من منابع العلم الإلهي، ليس مع الناس ما يحتاج إليه، وليس معهم ما يستغنون به عنه، وعلمه كعلم آبائه ينزع به عن مصدر واحد وهو الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بما أفاضه على عليّ أمير المؤمنين، وما أفاضه أمير المؤمنين على أبنائه المعصومين، فجاء كلاً منسجماً في وحدة عضوية وفق منهج علمي واحد، لا تناقض فيه ولا اختلاف، فربما سئل الإمام عن المسألة كان أبوه أو جدّه قد أجاب عنها، فيجيب الإمام بالجواب نفسه، فقد سئل الإمام العسكري عن مسألة في إرث النساء، فأجاب عنها، فقال أحد الحاضرين إن أبا عبد الله الصادق عليه السلام قد أجاب الجواب نفسه حينما سئل عن هذه المسألة، فقال له الإمام العسكري:

«... الجواب منّا واحد إذا كان معنى المسألة واحداً، أجري لآخرنا ما أجري لأولنا، وأولنا وآخرنا في العلم سواء، ولرسول الله ولأمير المؤمنين فضلهما.»[1]

وقد أكّد هذا التعقيب من الإمام حقيقة الأمر في منبع العلم، ومجرى صدوره، وهذا من خصائص مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد استغرب بعضهم أن الإمام يكلم الاعاجم بلغتهم كما يكلم العرب، ويفهم عنهم ويفهمون عنه، وقد ظنوا أنه يتدارس اللغات الأجنبية، وليس الأمر كذلك قطعاً.

أورد الدكتور دونالدسن والأستاذ السامرائي، وهما بسبيل الإبانة عن

٢٩٤/٢٩٦/٢٩٩/٣٠١/٣٠٨.

(١) ابن شهراشوب / المناقب ٥٣٦/٣.

علم الإمام ومصادره الأولى، فذهبا أن الإمام الحسن العسكري قضى معظم وقته بالدرس، ونشأ نشأةً دينية على سنن السلف الصالح، وربما اهتم باللغات، إذ نراه يتكلم بالهندية مع الزوار الهنود، والتركية مع الأتراك، والفارسية مع الفرس، انسجاماً مع جنسيات الوافدين إليه وإلى أبيه من ذي قبل.(١)

وقد يكون الأمر غير ما اعتقداه في التصوّر الأولي بأن الإمام كان مهتماً بدراسة اللغات الأخرى، بقدر ما يكون ذلك من العلم اللدني الذي وهبه الله إياه، ووهبه أباه من ذي قبل، ولعل الإمام نفسه يؤكد ذلك، فقد روى أبو حمزة نصر الخادم، قال:

«سمعت أبا محمد عليه السلام يكلّم غلمانه بلغاتهم، فيهم ترك وروم وصقالبة، فقلت في نفسي: هذا ولد في المدينة، ولم يظهر حتى مضى أبو الحسن (يعني الإمام الهادي) فكيف هذا؟ فأقبل عليّ فقال: إنّ الله بيّن حجته من سائر خلقه، وأعطاه معرفة كلّ شيء، فهو يعرف اللغات والأنساب والحوادث، ولولا ذلك لما كان بين الحجة والمحجوج فرق.»(٢)

وقد سبق لنا أن تحدثنا عن موارد علم كل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام في أجزاء سابقة من هذه الموسوعة المباركة، وما قيل هناك بعد التدقيق والتحقيق والمقارنة بين الأحداث والروايات يقال هنا، فلا موجب لإعادته وهو مزبور في موقع كل كتاب صدر لنا عن الأئمة المعصومين ابتداءً من: الإمام محمد الباقر مجدد الحضارة الإسلامية في القرن الثاني الهجري، وانتهاءً بكتابنا السابق: الإمام علي الهادي النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي.

---

(١) ظ: دونالدسن / عقيدة الشيعة / ٢٢٢ + أحمد عبد الباقي / سامراء ١/٥٤٥.

(٢) ابن شهراشوب / المناقب ٥٢٩/٣.

وهنا نشير أن حقبة تسلم الإمام الحسن العسكري لمنصب الولاية الإلهية بعد أبيه كانت حقبة قصيرة المدى، فهي لا تتجاوز ست سنين، وكانت هذه السنوات الست محاطة بشؤون الاحتجاز المكاني للإمام، وملاحظ الاحتجاب الزماني له، وهذا يعني شدة الرصد والعيون على الإمام، وخطر الالتقاء بأتباعه إلّا قليلاً، يضاف لهذا اعتقالات الإمام المتكررة، وضياع كثير من تراثه في ذمة التأريخ الرسمي غير المحايد، ومع هذه الفجوات الكبيرة فقد وضع البحث يده على شذرات ثمينة من تراث الإمام المعرفي في تعليماته ووصاياه ورسائله وفتاواه، تكشف عن صفحات مشرقة لذلك العلم الذي لا ينضب، وتتوهج عن إشعاع سائر لذلك النور الذي لا يخبو.

تلامذة الإمام العسكري ودورهم الإيجابي

كان لتلامذة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، دور بارز في نشر علم الإمام، وكان فيهم الرواة الأثبات للحديث الشريف، وفيهم الفقهاء ممن تحدثنا عن مرجعيتهم المستقبلية، وفيهم الوكلاء، ممن عرضنا لأساليب نيابتهم عن الإمام عليه السلام، وأوضحنا جملة مسؤولياتهم الشاقة في عصرهم الحافل بأشتات المكاره والإفرازات وفيهم أصحابه الثقات الذين تؤخذ رواياتهم بالتسليم، وفيهم المؤلفون الذين أبقوا لنا تراثاً حافلاً قيّماً بمختلف العلوم وأصناف الفنون.

إن ما قدمه هؤلاء التلامذة والأصحاب والنوّاب والوكلاء والفقهاء والثقات والمصنفون بالإمكان عدّه مصدراً رئيسياً من مصادر الاطلاع على ظواهر علم الإمام في شتى حقول المعرفة الإنسانية، فلهم يعود الفضل فيما رووه عن الإمام، وما حدثوا به عنه، وما حبّروْه بأقلامهم من مدونات علم الإمام، وما نشروه في الآفاق من لقطات نادرة تكشف عن علم الإمام، رغم ما منوا به من التضييق الصارم والإجراءات العنيفة، ومع هذا وذاك استطاعوا بدقة وأمانة وذكاء إيصال جملة من المكنونات الثمينة التي تشمل على فتاوى الإمام وآرائه ومخزونه الثقافي العظيم إلى الكثير من مواليه وأتباعه.

يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين طاب ثراه:

«إن الفضل الأكبر في وقوف الأجيال التالية لعصر الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام على تراثه العظيم، وما حمل من فكر وعطاء، إنما يعود إلى أولئك الرواة عنه والمشافهين له، الذين سمعوا منه ذلك أو كاتبوه، فحدّثوا به، وأبلغوه إلى من جاء بعدهم، فأنعموا علينا بالاطّلاع عليه، والإفادة منه والاهتداء بهديه، ونخصّ بالذكر منهم أولئك النوابغ الواعين الذين بادروا إلى تدوين تلك الأمالي والأحاديث في كتب ومؤلفات حفظتها من الضياع، وحمتها من النسيان.

وكان فيهم من بوّب تلك الروايات بحسب مطالبها وموضوعاتها، وفيهم من اكتفى بإيداع ما سمع في مجموعات أطلق عليها في فهارس تلك العصور اسم (النوادر) أو (كتاب مسائل)... معلنين الإقرار لهم باليد البيضاء والإحسان الخالد على جميع طلاب العلم والمعرفة المستفيدين من ذلك كله على كرّ السنين، ومسجلين اسمى مشاعر التقدير والأكبار لهم بحكم كونهم بعضاً من تلك الطلائع المتقدمة في الجمع والتدوين في التأريخ العربي الإسلامي، ومن جملة الرعيل السبّاق من روّاد هذا الميدان في المائة الهجرية الثالثة.»[1]

إنّ أعداد هؤلاء التلامذة والرواة مختلف فيها من حيث الكثرة والقلة، ولقد قام الأستاذ باقر شريف القرشي دام علاه بإحصاء (١٠٧) من تلامذة الإمام ورواته وثقاته، وترجم لأغلبهم ترجمة جيدة، وذكر منزلتهم ودرجة وثاقتهم، وجملة من مروياتهم، ومصادر دراستهم، بما يعتبر عملاً سديداً موفقاً.[2]

واقتفى أثره الأستاذ السيد محمد كاظم القزويني رحمه الله، وأضاف في العدة، وزادني في العهدة، ورتبهم على طريقة (الألفباء) فكانوا عنده

(١) محمد حسن آل ياسين / الإمام الحسن بن علي العسكري /٩٠ـ٩١.
(٢) ظ: باقر شريف القرشي / حياة الإمام الحسن العسكري / ١٣١ـ١٧٥.

(٢٦٣) راوياً ومحدثاً وصحابياً وتلميذاً، وقد تتبع هؤلاء الرواة من موارد ترجماتهم، ودرس ذلك وأشبعه بحثاً وتمحيصاً، وأثبت روايات هؤلاء جميعاً، ودوّن أقوالهم وما نقلوه عن الإمام من رواية، أو وصية، أو فتوى أو رسالة، أو إشارة، أو توجيه، أو حكمة، أو أمر، مبالغاً في تدقيق ذلك بما يعتبر مجلداً خاصاً بهم اشتمل على ثروة فكرية بناءة.[١]

وقد قدّم لذلك بقوله: «بالرغم من قصر عمر الإمام العسكري عليه السلام، وبالرغم من التضييق والرقابة المشددة على الإمام، فإنك تجد طائفة غير كثيرة (طبعاً) كان لهم شرف الصحبة، وتلقي الأحكام الشرعية من الإمام، والاستضاءة بنوره، والارتواء من معارفه.

وبعضهم اختار لنفسه العاقبة السيئة، والسيرة البشعة، وارتكب أعظم الجنايات، وانحرف عن الصراط المستقيم، فكان جزاؤه اللعن والخزي، ولعذاب الآخرة أخزى وأشد وأبقى.»[٢]

وقد حقق الأستاذ محمد حسن آل ياسين في ذلك، فبلغت عدتهم لديه (١٠٣) راوياً ومحدثاً وصحابياً، إلّا أنه ركز على ذوي المؤلفات والمصنفات منهم، واستقصى ذلك من مظّانه، عدا من لم يعثر على أسماء كتبهم، فكان عدد تلك المؤلفات لأصحاب وتلامذة الإمام الحسن العسكري، مما عثر عليه من منجمه وفهرسته، عدا من ذكر مصنفاتهم في تلامذة أبيه الإمام الهادي، كون هؤلاء التلامذة صحبوا الإمامين العسكريين معاً، فما أراد تكرار ذلك، وقد ذكره في موضعه.

ولقد أحصينا عدّة هذه المصنفات التي أوردها آل ياسين لأصحاب الإمام العسكري فكانت أربعة وتسعين كتاباً.[٣]

(١) ظ: محمد كاظم القزويني / الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحد / ٥٠ـ٢٧٥.
(٢) المرجع نفسه / ٥٠.
(٣) ظ: محمد حسن آل ياسين / الإمام الحسن بن علي العسكري /٩٢ ـ ١٠٥.

أما الأستاذ الشيخ محمد جواد الطبسى فيقول:

وقد أحصيت أسماء أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام ورواة حديثه، فبلغت (٢١٣) محدثاً وراوياً.»[١]

وقد أورد الشيخ المجلسي (ت ١١١١ هـ) جملة صالحة من تلامذة الإمام الحسن العسكري وثقاته وأصحابه والمقربين لديه، نقلاً من المصادر المعتمدة، فأورد أهمهم شأناً، وأعلاهم كعباً على الوجه الآتي:

١. علي بن جعفر الهمّاني / قيم لأبي الحسن.

٢. أبو هاشم داوود بن القاسم الجعفري رأى خمسة من الأئمة المعصومين.

٣. داود بن أبي يزيد النيسابوري.

٤. محمد بن علي بن بلال.

٥. عبد الله بن جعفر الحميري القمي.

٦. أبو عمرو عثمان بن سعيد الزيّات والسمّان.

٧. إسحق بن الربيع الكوفي.

٨. أبو القاسم جابر بن يزيد الفارسي.

٩. إبراهيم بن عبيد الله بن إبراهيم النيسابوري.

١٠. محمد بن الحسن الصفار.

١١. سرّي بن سلامة النيسابوري.

---

(١) ظ: المجمع العالمي لأهل البيت / الإمام الحسن بن علي العسكري / ١٦٥ وانظر مصدره.

١٢. عبدوس العطار.

١٣. أبو طالب الحسن بن جعفر الفافاي.

١٤. أبو البختري.

١٥. الحسين بن روح النوبختي.[١]

وهذا التعداد اختيار لأبرز الأصحاب، وكان هؤلاء طريق الإمام إلى شيعته في التبليغ والوصايا والإفتاء والنصح الكريم.

وكان ابن شهراشوب قد صنف ـ من ذي قبل أصحاب الإمام وثقاته ورواة النص عليه على النحو الآتي:

فرواة النص عليه من أبيه: يحيى بن بشار القنبري، وعلي بن عمرو النوفلي، وعبد الله بن محمد الأصفهاني، وعلي بن جعفر، ومروان الأنباري، وعلي بن مهزيار الأهوازي، وعلي بن عمرو العطّار، ومحمد بن يحيى، وأبو هاشم الجعفري، وأبو بكر الفهفكي، وشاهويه بن عبد الله، والحسن الأفطس...

ومن ثقاته: علي بن جعفر / قيم لأبي الحسن (الإمام الهادي) وأبو هاشم داود بن القاسم الجعفري وقد رأى خمسة من الأئمة وداود بن أبي يزيد النيسابوري، ومحمد بن علي بن بلال، وعبد الله بن جعفر الحميري القمي، وأبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الزيّات والسمان، وإسحاق بن ربيع الكوفي، وأبو القاسم جابر بن يزيد الفارسي، وإبراهيم بن عبده بن إبراهيم النيسابوري.

ومن وكلائه: محمد بن أحمد بن جعفر، وجعفر بن سهيل الصيقل، وقد أدركا أباه وابنه (الحجة المنتظر).

---

(١) ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٣٠٩/٥٠ ـ ٣١٠ وانظر مصادره.

ومن أصحابه: محمد بن الحسن الصفار، وعبدوس العطار، وسريّ بن سلامة، وأبو طالب الحسن بن جعفر الفافاي، وأبو البختري.

وبابه: الحسين بن روح النوبختي (ثالث النوّاب الأربعة) [1]

وقد تم إعداد هذا الجيل من الرواة والثقات والأصحاب من قبل الإمام العسكري عليه السلام، تمهيداً لأحوال الغيبة، واستعداداً للشأن المستقبلي الذي ستواجهه الأمة.

(١) ظ: ابن شهراشوب / المناقب ٣/٥٢٤ ـ ٥٢٥.

وصايا الإمام ورسائله الرائدة

وكان الإمام العسكري عليه السلام قد نهد باصطفاء أبلغ الوصايا تقويماً لأوليائه من الأوّد، وإرشاداً لأتباعه عن الانحراف، وحثاً لهم على مكارم الأخلاق، فيها أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، ودعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والالتزام بالفرائض والسنن، والتحلّي بمعالي الأمور. فما كتبه الإمام للفقيه علي بن الحسين بن بابويه القمي: «أوصيك... بتقوى الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنه لا تقبل الصلاة من مانع الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الأخوان، والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...»[1]

وفي هذا المقطع من الوصية جماع الفضائل وركائز القيم، والتأكيد على معالم الدين وضروريات الشرع الشريف.

والإمام يوالي هذه اللفتات البارعة في وصاياه، من أجل خلق المجتمع الأفضل والجيل المؤهل لحمل الرسالة وإبلاغ الحق، وقد يضيف الإمام لهذا ما يسدد به الخطى لإقامة وحدة إسلامية بين المذاهب والقوى الأخرى، لإحلال التعايش السلمي بين فصائل الأمة، وإشاعة

(١) البيهقي / شعب الإيمان ٢/٤٣.

الحب الأخوي والتعاون على البر والتقوى بين المسلمين، فيوجه لأوليائه القول:

«أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

صلّوا في عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسّن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعيّ فيسرني ذلك، اتقوا الله وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كلَّ مودّة، وادفعوا عنّا كلّ قبيح، فإنه ما قيل فينا من حُسنٍ فنحن أهله، وما قيل فينا من سوءٍ فما نحن كذلك. لنا حقٌّ في كتاب الله، وقرابة من رسول الله، وتطهير من الله لا يدّعيه غيرنا إلّا كذّاب.

وأكثروا ذكر الله وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن الصلاة على رسول الله عشر حسنات، احفظوا ما وصيتكم به، وأستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام.»[1]

والملاحظ في هذا النصّ الهادف أن الإمام قذف في موجة هذا التوجيه مكانة أهل البيت عليهم السلام، ومالهم من الحقوق التي نصّ عليها القرآن الكريم، وما هم عليه من التطهير من الرجس، مما لا يدعيه أحد غيرهم إلّا كان كاذباً.

وفي مشهد آخر من وصايا الإمام، يفصّل عليه السلام القول في طبقات الناس وفئات المجتمع، مما يحكي واقع العصر الذي سبره غوراً، وأحكم عنه التقرير إحكاماً، في إجابة عن كتاب لبعض مواليه فيمن

(١) ابن شعبة / تحف العقول / ٤٨٧ ـ ٤٨٨.

تزلزل من الأصحاب وذهب يميناً وشمالاً، فأرشد الإمام إلى الصواب، وطبّق المفصّل في الجواب، وذلك بقطعة فنيّة تستوعب منازل الإيمان عند البشر، وتحقق في مشارب شرائح الناس، وما ابتدعوا من مسالك في ردّ الحق وتأييد الباطل، ختم ذلك بوصية بالعدل وحسن الرعاية، وكتمان الأسرار، ورفض الرئاسة لما في ذلك من الهلكة.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«الناس في طبقات شتى، والمستبصر على سبيل نجاة متمسك بالحق، متعلق بفرع أصيل غير شاكٍ ولا مرتاب، ولا يجد عنه ملجأ، وطبقة لم تأخذ الحق من أهله، فهم كراكب البحر يموج عند موجه، ويسكن عند سكونه. وطبقة استحوذ عليهم الشيطان، شأنهم الردّ على أهل الحق، ودفع الحق بالباطل، حسداً من عند أنفسهم، فدعْ من ذهب يميناً وشمالاً، فالراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها في أهون السعي... وإياك والإذاعة وطلب الرئاسة فإنهما يدعوان إلى الهلكة.»(١)

إن هذا الجزء من وصايا الإمام العسكري جاء على سبيل النموذج والمثال.

وأما رسائل الإمام عليه السلام، فكانت ضرورة إنسانية تمليها طبيعة الظروف الحرجة، وتفرضها زمجرة العصف السياسي، فقد تفرق الناس أشتاتاً، وكثر القيل والقال جزافاً، وتوالت الفتن والمحن اعتسافاً، فضلَّ الدرب كثير، وثبت على المبدأ القليل. وهذه المشاهد الحقيقية كانت تلقي بجرانها لدى أعتاب الإمام، ولقد يعزّ عليه انحراف من انحرف، ويمضّ في قلبه الانحدار في المهالك، ويحزّ في نفسه تفرق كلمة الأصحاب، كما يسرّ بتتابع إحسان الله على مواليه، وقد ينعى على

(١) القطب الراوندي / الخرائج والجرائح / ٤٤٩ + الأربلّي / كشف الغمة ٢٠٦/٣.

بعضهم الخلاف والاختلاف منذ زمن أبيه الإمام علي الهادي، فيمسك الإمام ثابتاً بزمام المبادرة، فيزجي التوجه السديد والنصح الكريم، متعقباً الأحداث، داعياً إلى طاعة الله، محذّراً من معصيته، ترغيباً حيناً وترهيباً حيناً آخر، مؤكداً الإنابة إليه تعالى بما يسّر من سبل الرشاد، وما أوجب من عظيم الفرائض، وما اختبر في أدائها تمييزاً وتمحيصاً وتفاضلاً، وما أولاه من النعم بولاية أئمة الهدى.

وكان من أنفس هذه الرسائل أثراً، وأعزّ هذه المظاهر ندرةً، رسالته إلى إسحق بن إسماعيل النيسابوري، وما فيها من رفيع الخطاب وجليل الاستدعاء، وما انتظمت عليه من عظيم الإصلاح وموارد الصلاح، وما اشتملت عليه من التسديد الرائد.

وقد عدّ البحث هذه الرسالة النموذج الأرقى للتوقيع الرفيع الصادر من الإمام، لما ذكر فيها من بليغ القول وغزير البيان وجودة الترسل، فهي رسالة فنية من وجه، وهي رسالة قيادية من وجه آخر، وقد التقى الهدفان عند الإمام في أداء متميز بجيد القول ومختاره، فهي بحاجة إلى دراسة خاصة تنفرد بها، وهذا نصّ الرسالة.

«يا إسحق بن إبراهيم: سترنا الله وإياك بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، قد فهمتُ كتابك رحمك الله، ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرقّ على موالينا، ونسرُّ بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم، ونعتدّ بكل نعمة ينعمها الله عَزَّوَجَلَّ عليهم. فأتمّ الله عليكم بالحق ومن كان مثلك ممن قد رحمه وبصّره بصيرتك، ونزع عن الباطل، ولم يَعمَ في طغيانه بعمهٍ، فإن تمام النعمة دخولك الجنة، وليس من نعمة وإن جلّ أمرها وعظم خطرها إلّا والحمد لله تقدست أسماؤه عليها يؤدي شكرها.

وأنا أقول: الحمد لله مثل ما حمد الله به حامد إلى أبد الأبد، بما منّ

به عليك من نعمته، ونجّاك من الهلكة، وسهّل سبيلك على العقبة، وايم الله إنها لعقبة كؤود شديد أمرها، صعب مسلكها، عظيم بلاؤها، طويل عذابها، قديم في الزّبر الأولى ذكرها.

ولقد كانت منكم أمور في أيام الماضي إلى أن مضى لسبيله صلّى الله على روحه وفي أيامي هذه، كنتم فيها غير محمودي الشأن، ولا مسدّدي التوفيق، واعلم يقيناً يا إسحق أن من خرج من هذه الحياة الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً.

إنها يا ابن إسماعيل ليس تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ في محكم كتابه للظالم.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾[1] قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[2] وأي آية يا إسحق أعظم من حجة الله عَزَّوَجَلَّ على خلقه، وأمينه على بلاده، وشاهده على عباده، ومن بعد ما سلف من آبائه الأولين من النبيين وآبائه الآخرين من الوصيين، عليهم أجمعين رحمة الله وبركاته.

فأين يتاه بكم؟ وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم؟ عن الحق تصدفون وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون، أو تكذبون، فمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم ومن غيركم إلّا خزي في الحياة الدنيا الفانية، وطول عذاب الآخرة الباقية، وذلك والله الخزي العظيم.

إن الله بفضله ومنّه لمّا فرض عليكم الفرائض، لم يفرض ذلك عليكم منه إليكم، بل رحمة منه لا إله إلّا هو عليكم، ليميز الله الخبيث

---

(١) سورة طه / ١٢٥.

(٢) سورة طه / ١٢٦.

من الطيّب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتألفوا إلى رحمته، ولتتفاضل منازلكم في جنته.

ففرض عليكم الحج والعمرة وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والولاية، وكفا بهم لكم باباً ليفتحوا أبواب الفرائض، ومفتاحاً إلى سبيله، ولولا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأوصياء من بعده، لكنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل يدخل قرية إلّا من بابها.

فلمّا من عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيه، قال الله عزّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]

وفرض عليكم لأوليائه حقوقاً أمركم بأدائها إليهم، ليحلّ لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومأكلكم ومشربكم، ويعرّفكم بذلك النماء والبركة والثروة، وليعلم من يطيعه منكم بالغيب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2]

واعلموا أن من يبخل فإنما يبخل على نفسه، وأنّ الله هو الغني وأنتم الفقراء، لا إله إلّا هو.

ولقد طالت المخاطبة فيما بيننا وبينكم فيما هو لكم وعليكم، ولولا ما يجب من تمام النعمة من الله عزّ وجلّ عليكم، لما أريتكم مني خطّاً، ولا سمعتم مني حرفاً من بعد الماضي عليه السلام.[3]

أنتم في غفلة عمّا إليه معادكم، ومن بعد الثاني رسولي وما ناله منكم حين أكرمه الله بمصيره إليكم، ومن بعد إقامتي لكم إبراهيم بن

(١) سورة المائدة /٣.

(٢) سورة الشورى / ٢٣.

(٣) المراد بالماضي هو الإمام السابق، وهو هنا الإمام علي الهادي عليه السلام.

عبدة، وفقه الله لمرضاته وأعانه على طاعته، وكتابه الذي حمله محمد بن موسى النيسابوري، والله المستعان على كل حال، وإني [لا] أراكم مفرطين في جنب الله فتكونون من الخاسرين.

فبعداً وسحقاً لمن رغب عن طاعة الله، ولم يقبل مواعظ أوليائه، وقد أمركم الله عَزَّوَجَلَّ بطاعته لا إله إلّا هو، وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبطاعة أولي الأمر عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فرحم الله ضعفكم، وقلة صبركم عما أمامكم، فما أغرّ الإنسان بربه الكريم؟ واستجاب الله تعالى دعائي فيكم، وأصلح أموركم علي يدي، فقد قال الله جلّ جلاله: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾.[1]

وقال جلّ جلاله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2]

وقال جلّ جلاله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[3]

فما أحبّ أن يدعو الله جلّ جلاله بي ولا بمن هو في أيامي إلّا حسب رقتي عليكم، وما انطوى لكم عليه من حبّ بلوغ الأمل في الدارين جميعاً، والكينونة معنا في الدنيا والآخرة.

فقد ـ يا إسحق، يرحمك الله ويرحم من هو وراءك ـ بيّنت لك بياناً وفسّرت لك تفسيراً، وفعلت بكم فعل من لم يفهم هذا الأمر قطّ، ولم يدخل فيه طرفة عين، ولو فهمت الصُّمُ الصلاب بعض ما في هذا الكتاب، لتصدعت قلقاً، خوفاً من خشية الله، ورجوعاً إلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، واعملوا من بعد ما شئتم. فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون

---

(١) سورة الإسراء / ٧١.

(٢) سورة البقرة / ١٤٣.

(٣) سورة آل عمران / ١١٠.

ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، والعاقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين.....[١]

ويا إسحق اقرأ كتابي على البلالي رضي الله عنه، فإنه الثقة المأمون، العارف بما يجب عليه، واقرأه على المحمودي عافاه الله، فما أحمدنا له لطاعته، فإذا وردت إلى بغداد فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا، والذي يقبض من موالينا، وكل من أمكنك من موالينا فأقرئهم هذا الكتاب، وينسخه من أراد منهم نسخة إن شاء الله، ولا يكتم أمر هذا عمن شاهده من موالينا إلّا من شيطان مخالف لكم، فلا تنثرنّ الدرّ بين أظلاف الخنازير!! ولا كرامة لهم.

وقد وقعنا في كتابك بالوصول والدعاء لك ولمن شئت، وقد أجبنا سعيداً عن مسألته والحمد لله، فماذا بعد الحق إلّا الضلال؟

فلا تخرجن من البلد حتى تلقى العمريَّ رضي الله عنه برضاي عنه، وتسلّم عليه، وتعرفه يعرفك، فإنه الطاهر الأمين العفيف القريب منّا وإلينا، فكل ما يحمل إلينا من شيء من النواحي، فإليه يصير آخر أمره، ليوصل ذلك إلينا، والحمد لله كثيراً.

سترنا الله وإياكم يا إسحق بستره، وتولاك في جميع أمورك بصنعه، والسلام عليك وعلى جميع مواليّ ورحمة الله وبركاته، وصلّى الله على سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً.»[٢]

وقد حفلت هذه الرسالة بظواهر أخلاقية دقيقة، واشتملت على لمحات إيمانية رائعة، تحكي فقراتها عن حرص أئمة أهل البيت على

(١) هنا فقرات من الرسالة، سبق أن درست في «نيابة الوكلاء» فيما يتعلق بإبراهيم بن عبدة، فما أردنا تكرارها هنا.

(٢) الكشي / رجال الكشي / ٤٨١_٤٨٥ + المجلسي / بحار الأنوار ٣١٩/٥٠ _ ٣٢٣.

مواليهم في السّراء ودفع الضرّاء، يتابعون نعم الله عليهم فيفرحون، وتضطرب صفوفهم ـ أحياناً ـ فيألمون، وينحرف بعضهم عن الخط المستقيم فيحاولون إرجاعه إليه ودلالتهم عليه، فهم يفرحون لفرح أوليائهم ويحزنون لحزن أوليائهم، وهذا منتهى التبني وغاية الالتزام.

وتتحدث الرسالة عن آلاء الله ابتداءً، وما سنّ من طقوس ومراسم، وما افترض من واجبات وسنن، وما أقامه للناس من أئمة وقادة، وما أوضح لهم من معالم الطريق.

وشملت الرسالة بعداً إرشادياً آخر يعنى بطول مخاطبته عليه السلام لأوليائه، وذلك من تمامية نعمة الله عليهم، وإلاّ لما سمعوا من الإمام حرفاً، ولا رأوا له خطاً، ذلك لنزغة تفريط كانت لهم مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام، وكأنهم في غفلة من أمر معادهم، ولا يشعرون بما يراد بهم «فبعداً وسحقاً لمن رغب عن طاعة الله.

وقد وقف الأستاذ القرشي عند أبعاد هذه الرسالة وقفة متأنية كشف فيها مسالكها التربوية، وأبان دلائلها الإيحائية، وأشار إلى لمساتها في النصح والخلق في تعقيب تحليلي ميسر.[1]

وكان مما نهدت به رسائل الإمام في رعاية أوليائه حرصه على هدايتهم، وطلب الخير والرشاد لهم، وتذكيرهم بحبّ العترة الطيبة لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والإشارة إلى من مضى على تلك النعمة، فورد موارد الفائزين.

ففي رسالة لأهل قم وآبة، كتب الإمام العسكري يقول: «إن الله تعالى بجوده ورأفته قد منّ على عباده بنبيه محمد بشيراً ونذيراً، ووفقكم لقبول دينه وأكرمكم بهدايته، وغرس في قلوب أسلافكم الماضين رحمة الله

(١) ظ: باقر شريف القرشي / حياة الإمام الحسن العسكري / ٧٦ـ٧٨.

عليهم، وأصلابكم الباقين تولي كفايتهم، وعمّرهم طويلاً في طاعته: حبّ العترة الهادية، فمضى من مضى على وتيرة الصواب، ومنهاج الصدق، وسبيل الرشاد.

فوردوا موارد الفائزين، واجتنبوا ثمرات ما قدّموا، ووجدوا غبّ ما أسلفوا.

ومنها: فلم يزل نيتنا مستحكمة، ونفوسنا إلى طيب آرائكم ساكنة، والقرابة الواشجة بيننا وبينكم قوية، وصية أوصى بها أسلافنا وأسلافكم، وعهدٌ عُهِدَ إلى شبابنا ومشايخكم، فلم يزل على جملة كاملة من الاعتقاد، لما جعلنا الله عليه من الحال القريبة، والرحم الماسّة، يقول العالم سلام الله عليه إذ يقول: «المؤمن أخو المؤمن لأمّه وأبيه.»[1]

وها أنت تقف من هذه الرسالة على عجب عجاب في البعد التوجيهي نحو الله تعالى، والبعد التذكيري بآلاء الله، وأنت تلمس بحرارة إيمانية صدق الدعاء، وصحة الحديث، ولطف العشرة، ولغة الحنان، وتستوحي منها عظيم المنّة لله تعالى، على ما هدى به أولياءه، وما غرس في قلوبهم من حبّ العترة الطاهرة، حتى عادت النيّة مستحكمة، والنفوس ساكنة، والقرابة المترابطة قوية الوشائج، ثابتة الأساس، في عهد معهود للشباب والشيوخ، ووصية للأسلاف مما جعل الحال قريبة، والرحم ماسة، فالمؤمن أخو المؤمن...

ورسائل الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام بابٌ متلئبٌ واسع بحاجة إلى دراسة أكاديمية متخصصة تنهض به وتدلّ عليه.

وما ذكرناه هنا نموذج لما لم يُذكر.

---

(١) ابن شهراشوب / المناقب ٥٢٧/٣ + المجلسي / بحار الأنوار ٣١٧/٥٠ .

الإمام يدفع الشبهات بإفاضاته القيّمة

وحرم أتباع أهل البيت من لقاء الإمام ومقابلته في الأعمّ الأغلب، ومنعوا من مشافهته والاستماع إليه إلّا قليلاً، ولم تكن الحرية مطلقة العنان لهم، ولا الرقابة تسمح بالإفادة من الإمام مباشرة، لذلك كانت الأساليب المبتكرة التي سيّرها الإمام كفيلة بتلبية متطلبات المرحلة بنيابة الوكلاء ومرجعية الفقهاء، يضاف إلى ذلك المكاتبة ابتداءً، أو المراسلة عن طريق الأثبات حيناً آخر، حلاً لإشكالية ما يستجد من الأسئلة بالجواب عنها، مما نقف معه على مخزون علمي متطور، وثروة فكرية طائلة تتصل روافدها بذلك النبع الجاري نبع أهل بيت العصمة أباً عن جد حتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا اتصلت الرواية برسول الله، فما لمتنطعٍ عذر.

وكانت مهمة الإجابة التحريرية تتطلب معرفة خطّ الإمام حذر التزوير أو التقليد أو المشاكلة، فكان الوكلاء والعلماء من أوليائه يحرصون على تلقي تلك الكتب والرسائل من مصدرها وحده.

يقول أحمد ابن إسحق: دخلت على أبي محمد عليه السلام فسألته أن يكتب لأنظر إلى خطه فأعرفه إذا ورد.

فقال: نعم ثم قال: يا أحمد إن الخطّ سيختلف عليك ما بين القلم

الغليظ والقلم الدقيق فلا تشكنّ...»[1]

وقد استجاب الإمام لطلب أحمد، لكون الأمر محل ابتلاء في المستقبل، ومعرفة خطّ الإمام توجب الاطمئنان على صحة الصدور منه، وهو بعد وثيقة تأريخية مهّمة لو أدركوا ذلك.

وكانت الشبهات الدائرة محور جملة من الاستفسارات نتيجة إفرازات العصر السياسية ومؤشراتها في إشغال المسلمين عن النظر في الشؤون العامة، والإلقاء بهم في حومة التشكيك والشبهات ومبهمات الأمور.

وكان هذا التخليط السياسي يستهدف أولياء اهل البيت عسى أن يوقع بينهم الفرقة والاختلاف، وقد توصل الحكم إلى شيء من هذا، إلّا أن الإمام العسكري كان له بالمرصاد، يكدّ ويكدح ويناضل من أجل تحصين أتباعه فكرياً وعقائدياً، وكان سمحاً في الإجابة، دقيقاً في الإثارة، حكيماً في معالجة الأمر.

فقد حدّث القاسم الهروي، قال: خرج توقيع من أبي محمد عليه السلام إلى بعض بني أسباط، قال: كتبت إليه أخبره عن اختلاف الموالي، واسأله إظهار دليل، فكتب إليّ: «وإنما خاطب الله عزّ وجلّ العاقل، ليس أحد يأتي بآية أو يظهر دليلاً أكثر مما جاء به خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، فقالوا: ساحر وكاهن وكذّاب، وهدى الله من اهتدى، غير أن الأدلة يسكن إليها كثير من الناس، وذلك أن الله عزّ وجلّ يأذن لنا فنتكلم، ويمنع فنصمت.

ولو أحب أن لا يظهر حقاً ما بعث النبيين مبشرين ومنذرين، فصدعوا بالحق في حال الضعف والقوة، وينطقون في أوقات ليقضي الله

(١) ابن شهراشوب / المناقب / ٥٣٣/٣ + البحار ٢٨٦/٥٠.

أمره، وينفذ حكمه.»[١]

ثم قسّم الإمام الناس إلى طبقات ثلاث، من هم على سبيل النجاة في الاستبصار، ومن لم يأخذ الحق من أهله، ومن استحوذ عليه الشيطان، وأمره بإبلاغ السلام لمن يوثق به من الموالي، وأن يأمرهم بالتقوى وأداء الأمانة وكتمان السر.[٢]

وفي قضايا التوحيد، قال سهل بن زياد:

«كتبت إلى أبي محمد سنة خمس وخمسين ومائتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد!! منهم من يقول: هو جسم!! ومنهم من يقول هو صورة! فإن رأيت ياسيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه، فعلت متطولاً على عبدك؟

فوقّع الإمام الحسن العسكري بخطه:

«سألت عن التوحيد... الله واحدٌ أحد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء، وليس بصورة جلّ ثناؤه، وتقدست أسماؤه، أن يكون له شبه، هو لا غيره، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.»[٣]

وفي محنة خلق القرآن، قدمه وحدوثه، وما سفك فيها من الدماء، وما اعتدي فيها على العلماء، اختصر الإمام العسكري إيضاح الأمر بالقول الفصل «الله خالق كل شيء، وما سواه مخلوق»[٤]

---

(١) الأربلّي / كشف الغمة ٣/٢١٢ ـ ٢١٣.

(٢) الأربلّي / كشف الغمة ٣/٢١٢ ـ ٢١٣.

(٣) الكليني / الكافي ١/ ١٠٣.

(٤) ابن شهراشوب / المناقب ٤/٤٣٦ + المجلسي / البحار ٥٠/٢٥٨.

وسئل الإمام عن قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[1]

فقال عليه السلام: «له الأمر من قبل أن يأمر به، وله الأمر من بعد أن يأمر بما يشاء».

فقلت في نفسي هذا قول الله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]

فأقبل عليّ فقال: هو كما أسررت في نفسك:

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

قلت: «أشهد أنك حجة الله وابن حجته في خلقه.[3]

وكما سبق فإن الشبهات قد لعبت دوراً كبيراً في نوعية الأسئلة الواردة على الإمام نتيجة ضغط معرفي معاكس، والإمام في دوره الريادي يدفع تلك الشبهات، فقد سأله محمد بن صالح عن قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[4]

فقال عليه السلام: هل يمحو إلّا ما كان؟ وهل يثبت إلّا ما لم يكن؟

فقال السائل في نفسه: هذا خلاف ما يُنقل عن بعضهم من أنه لا يعلم الشيء حتى يكون!! فأدرك الإمام لدنيّاً ما يجول في ذهن السائل، فنظر إليه قائلاً: «تعالى الله الجبار العالم بالشيء قبل كونه، الخالق إذ لا مخلوق، والرب إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه.»[5]

وكان تطلع أولياء أهل البيت للقائم من آل محمد محور التقصي

(١) سورة الروم / ٤.

(٢) سورة الأعراف / ٥٤.

(٣) الأربلّي / كشف الغمة ٢١٦/٣.

(٤) سورة الرعد / ٣٩.

(٥) المسعودي / إثبات الوصية / ٢١٠ + الأربلّي / كشف الغمة ١٥/٣.

الدقيق، في عمله وحكمه وتجديده لما اندثر من الإسلام، قال الإمام العسكري: «إذا قام القائم أمر بهدم المنائر والمقاصير التي في المساجد!!».

قال الراوي أبو هاشم الجعفري: فقلت في نفسي: لأي معنى هذا؟ فأقبل علي فقال: معنى هذا أنها محدثة مبتدعة، لم يبنها نبيٌّ ولا حجة.»[١]

وفي مجال العقيدة، حدّث الحسن بن طريف، قال: كتبت إلى أبي محمد أسأله: ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»؟

قال: أراد بذلك أن جعله علماً يعرف به حزب الله عند الفرقة.»[٢]

وفي الإطار نفسه، روي عن أبي هاشم أنه سأل الإمام الحسن العسكري عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٣]

قال: كلهم من آل محمد، الظالم لنفسه: الذي لا يقرّ بالإمام.

والمقتصد: العارف بالإمام، والسابق بالخيرات الإمام.

فجعلت أفكر في نفسي عظم ما أعطى الله آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبكيت، فنظر إلي وقال:

«الأمر الأعظم مما حدثت به نفسك، من عظم شأن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فأحمد الله أن جعلك متمسكاً بحبلهم تدعى يوم القيامة بهم إذا دعي كل

(١) الطوسي / الغيبة / ١٣٣ + الطبرسي / إعلام الورى / ٣٥٥.
(٢) الأربلّي / كشف الغمة ٣٠٣/٣.
(٣) سورة فاطر / ٣٢.

أناس بإمامهم، إنك على خير.»[١]

وقال سفيان بن محمد الضبعي، كتبت إلى أبي محمدعَلَيْهِالسَّلَامُ عن «الوليجة» وهو قول الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾[٢]

قلتُ في نفسي لا في الكتاب: من ترى المؤمنين ههنا؟

فرجع الجواب: الوليجة التي تقام دون وليّ الأمر.

وحدثتك نفسك عن المؤمنين من هم في هذا الموضع؟

فهم الأئمة يؤمنون على الله فيجيز أمانهم.»[٣]

قال أبو هاشم: كنت عند أبي محمدعَلَيْهِالسَّلَامُ فسأله ابن صالح الأرمني عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾[٤]

قال أبو محمدعَلَيْهِالسَّلَامُ: ثبتت المعرفة، ونسوا ذلك الموقف، وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدرِ أحدٌ من خالقه، ولا من رازقه.

قال أبو هاشم: فجعلتُ أتعجبُ في نفسي من عظيم ما أعطى الله وليّهُ، وجزيل ما حمله، فأقبل أبو محمد عليّ، فقال::الأمر أعجب مما عجبت منه يا أبا هاشم وأعظم، ما ظنك بقوم من عرفهم عرف الله؟ ومن أنكرهم أنكر الله؟ فلا مؤمن إلّا وهو بهم مصدّق، وبمعرفتهم مؤمن.»[٥]

(١) القطب الراوندي / مختار الخرائج / ٢٣٩ + الأربلّي / كشف الغمة ٢٩٦/٣.
(٢) سورة براءة / ٣.
(٣) المجلسي / بحار الأنوار ٢٨٥/٥٠ وانظر مصدره.
(٤) سورة الأعراف / ١٧٢.
(٥) الأربلّي / كشف الغمة ٢١٠/٣.

ويبقى المحور الكلامي قائماً في مجموعة الأسئلة، وفي طليعة ذلك قضايا الرؤية، فقد روى الكليني مسنداً عن أحمد بن إسحق، قال: كتبت إلى أبي محمدعليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربّه وهو لا يراه؟ فوقّععليه السلام: يا أبا يوسف جلّ سيدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يُرى.

قال: وسألته هل رأى رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم ربّه؟ فوقععليه السلام، إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ.»[١]

إن هذه الأسئلة من هذا العالم الجليل ليس الباعث لها الشك والجهل، ولكنها ـ والله العالم ـ على سبيل إيصال الحقائق إلى الآخرين، مشفوعةً بتوقيع الإمام وحكمه، لتتم عملية التغيير الاجتماعي والتوعية الكبرى على يد الإمام.

ويؤيد هذا ما روي عن أحمد بن إسحق نفسه، قال: دخلت على مولانا أبي محمد الحسن بن علي العسكريعليه السلام، فقال: ما كان حالكم فيما كان فيه الناس من الشك والارتياب؟

فقلت له: يا سيدي لما ورد الكتاب لم يبقَ منا رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم إلّا قال بالحق.

فقال: أحمد الله على ذلك يا أحمد، أما علمتم أن الأرض لا تخلو من حجة؟ وأنا ذلك الحجة، أو قال: أنا الحجة.»[٢]

أمّا الكتاب الذي يشير إليه أحمد بن إسحق في هذا الصدد، فلعل المراد به ما حبّره الإمام الحسن العسكري في بيان المقام الأسمى لأهل البيت، بقوله: «قد صعدنا ذرى الحقائق بأعلام النبوة والولاية، ونوّرنا

---

(١) الكليني / الكافي ٩٥/١.

(٢) الصدوق / كمال الدين / ٢٢٢.

السبع الطرائق بأعلام الفتوة، فنحن ليوث الوغى، وغيوث الندى، وفينا السيف والقلم في العاجل، ولواء الحمد والعلم في الآجل، وأسباطنا خلفاء الدين وحلفاء اليقين، ومصابيح الأمم، ومفاتيح الكرم، فالكريم لبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء... وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزاكية، صاروا لنا ردءاً وصوناً، وعلى الظلمة إلباً...

وسينفجر لهم ينابيع الحيوان، بعد لظى النيران، لتمام الرواية، والغواشي من السنين.»[1]

وهكذا نجد أن الإمام أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام يدفع الشبهات بإفاضاته، وينير الطريق بإضاءاته، منطلقاً بذلك كله عن فهم عميق لما يدور حوله، ومتحدثاً عن خبرة متأصلة بطبيعة الأحداث، فمضى في الطريق المستقيم مسدد الخطى، نافذ البصيرة.

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

(١) المجلسي / بحار الأنوار ٣٣٨/٧٨ وانظر مصدره.

في رحاب التفسير

وكان النهج العام لأئمة أهل البيت عليهم السلام مرتبطاً بالتمسك بالقرآن العظيم، وملتزماً بالكشف عن كنوزه ومدخراته، باعتباره كتاب الله الأكبر الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا بين يديه، فهو دستور الإسلام ومصدر التشريع الذي اتخذه الأبرار إماماً، ولمّا كان أئمة الهدى عدلاً للقرآن، فهم أولى الناس بالتوجيه إليه والعمل بما ضمّ بين دفتيه، وهذا أمرٌ مطَّرد بالدليل الاستقرائي، ولا يحتاج إلى تكلّف الإثبات، فهو قائم بالوجدان منذ عهد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام حتى عهد الإمام العسكري تطبيقاً وتنظيراً وعملاً واستشهاداً، وهو متعبد به لديهم تلاوةً وتفسيراً واستظهاراً، وهذا ما يشهد به الثقلان، ولا يستطيع نكرانه من له أدنى مسكة من عقل.

وكان الإمام الحسن العسكري معنياً بالقرآن في عصر ابتعد عن القرآن، ويكفي للتدليل على ابتعاد العصر عن القرآن أن تصدّى الإمام للفيلسوف يعقوب بن إسحق الكندي وأوقفه عند حدّه في محاولة استهداف القرآن ورميه بالتناقض، والإجهاز على مبدأ الإعجاز، فأقلع الفيلسوف الكندي عن غيّه بما سبق بيانه في موقعه من البحث، وكان تحرك الإمام رادعاً للكندي من التمادي في موضوعه، فألغاه جملةً وتفصيلاً.

وكان ابتعاد البلاط العباسي بكل موظفية وكتابه معروفاً لدى المسلمين، وكان ارتكاب ما حرّم القرآن شائعاً بين صفوفهم، والعمل بالقرآن معطلاً في أغلب مرافق الدولة وشؤونها، وقد يتشدق به القضاة والفقهاء الرسميون باستغلال نصوصه فيما يتفق مع أهوائهم، حتى ليصح لنا القول أن كتاب الله عاد مهجوراً.

ومن هنا كان اهتمام أهل البيت بالقرآن كبيراً، وإشاعة مفاهيمه بين الناس متواصلاً، والأخذ بزواجره وأوامره متوافراً، وهم في معركة دائمة مع الخصوم الذين رفضوا محكم القرآن وإن تظاهروا بالإسلام.

وقد تناثرت للإمام العسكري هنا وهناك نجوم تفسيرية للقرآن، وقطع إيضاحية لنصوصه، مما هو مأثور عنه، أتينا على بعضها سابقاً، ونخبر جزءاً منها لاحقاً.

وينبغي عرض ما جاء في المصادر وموازنته وغربلته، فقد ذكرت فهارس الكتب أن للإمام الحسن العسكري تفسيرين يطلق على كل منهما اسم «تفسير العسكري» وقد اختُلف في صحة نسبتهما للإمام عليه السلام.

أما التفسير الأول، فقد قال عنه الشيخ آغا بزرك: «الظاهر أن المراد من العسكري هذا هو الإمام علي الهادي عليه السلام الملقب بصاحب العسكر وبالعسكري أيضاً.»[١]

وقد نسب رواية هذا التفسير عن الإمام علي الهادي عليه السلام إلى الحسن بن خالد بن عبد الرحمن البرقي، وقيل إنه: يقع في عشرين ومائة مجلدة «والظاهر أنه لم يبق من كافة مجلداته المذكورة عين ولا أثر.»[٢]

ولا كلام لنا حول هذا التفسير بعد التحقيق بأنه منسوب للإمام

---

(١) آغابزرك / الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢٨٣/٤.

(٢) المصدر نفسه ٢٨٤/٤.

الهادي.

أمّا التفسير الثاني المسمى (تفسير العسكري) فيصفه الشيخ آغابزرك «أنه من إملاء أبي محمد الحسن بن علي العسكري، وأن نسخه متداولة، وأن له عدة طبعات»[1]

ورغم اختلاف العلماء في صحة نسبته رفضاً وقبولاً، والتشكيك في أصل صدوره عن الإمام، فهذا لا يمنع عن التحقيق في ذلك بإيجاز، فقد عرض سيدنا الأستاذ الخوئي قدس سره إلى رواة هذا التفسير، فهو مروي عن أبي الحسن بن محمد بن سيار، ويوسف بن محمد بن زياد، ووصفهما بالقول:

«وكلاهما مجهول الحال.»[2]

وكيف يؤخذ برواية مجهول الحال؟ هذا من ناحية السند، وأما من حيث المتن، فقد قال السيد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) :

«إن الناظر في هذا التفسير لا يشك أنه موضوع، وجلّ مقام عالم محقق أن يكتب مثل هذا التفسير، فكيف بالإمام عليه السلام.»[3]

إذن السيد الخوتي قدس سره ينفي صحة هذا التفسير سنداً ومتناً، وقد يكون هنالك تفسير للإمام العسكري ولكنه مفقود لم يصل إلينا، واختفى في نكبات المكتبات.

ومع هذا لم نحرم من شذرات تفسيرية تناقلها الرواة والمفسرون عن الإمام العسكري نذكر منها جملة، والعهدة فيها على رواتها، فهم وما دونوه في ثنايا كتبهم.

---

(١) المرجع نفسه ٢٨٥/٤.

(٢) الخوئي / معجم رجال الحديث ١٥٩/١٢ و٢٠٩/٢٠.

(٣) المرجع نفسه ١٦٠/١٢.

ففي قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[1]

قال الإمام عليه السلام فيما روي عنه:

«إن الأمي منسوبٌ إلى أمه، أي كما خرج من بطن أمه لا يقرأ ولا يكتب (لا يعلمون الكتاب) المنزّل من السماء ولا المكذّب به، ولا يميزون بينهما (إلاّ أماني) أي إلّا أن يقرأ عليهم ويقال لهم: إن هذا كتاب الله وكلامه، لا يعرفون إن قرئ من الكتاب خلاف ما فيه ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي ما يقرأ عليهم رؤساؤهم من تكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم...

وهم يقلدونهم مع أنه محرم عليهم تقليدهم ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2] [3]

وسئل الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن تفسير قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾[4]

وقد أجاب الإمام عن ذلك بتفصيل دقيق أعقبه تفسير تمام الآية إتماماً للفائدة، وتحدّثا بنعمة الله على البشر، وكان أسلوب الإمام في ذلك ـ كعادته في البيان ـ بليغاً رصيناً، لا غرابة فيه ولا إيغال، بل جاء بالسهل الممتنع مقترناً بالذائقة الفنية في التعبير، والنظرة المترسلة في التيسير.

قال الإمام:

«جعلها ملائمة لطبائعكم، موافقة لأجسادكم، لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة متحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة

(١) سورة

(٢) سورة البقرة / ٧٩.

(٣) الطبرسي / الاحتجاج ٢/٥٠٨ ـ ٥٠٩.

(٤) سورة البقرة / ٢٢.

الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم أبنيتكم ودفن موتاكم، ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون، وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾.»

وما اكتفى الإمام بهذا البيان العذب في تفسير الآية حتى أردف ذلك بتفسير ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[1]

قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «يعني سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم.

ثم قال ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[2]

يعني المطر ينزله من علوٍّ ليبلغ به قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثم فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلاً لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة، فتفسد أراضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم.

ثم قال: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[1]

يعني ما يخرجه من الأرض رزقاص لكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾.[1]

أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] انها لا تقدر على شيء من هذه النعم

---

(١) سورة البقرة / ٢٢.

(٢) سورة البقرة / ٢٢.

الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم.»[1]

وذكر السيد الأمين قدس سره، قال:

«وروى عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية ما حاصله:

إنها إشارة إلى أن هذا القرآن من جنس هذه الحروف، فأتوا بمثله إن كان من عند غير الله...»[2] فكأن الإمام عليه السلام يريد أن يعبر عن الملحظ الإعجازي في إيراد هذه الحروف بأوائل السور القرآنية لتنادي العرب أن القرآن مركب من جنس حروف لغتكم فأتوا بمثله، فما استطاعوا ولن يستطيعوا، ولهذا تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، قال تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3]

---

(١) الطبرسي / الاحتجاج ٢/٥٠٧ ـ ٥٠٨.

(٢) محسن الأمين العاملي / أعيان الشيعة ق/٣/ج٤/٣٠٢.

(٣) سورة البقرة / ٢٣.

في ميادين الفقه

كان لا بد للشريعة الغراء أن تبقى، ولتعليماتها النيرة أن تستمر، ولقواعدها الثابتة أن تترسخ، وللمشروع الإلهي أن يتعاهد الأجيال في أحكام الاسلام عرضاً وفقاهة وتشريعاً باعتباره خاتمة الرسالات السماوية لأنه الدين القيّم الذي اختاره الله سبحانه وتعالى للبشر، وكلله بالقوانين والنظم فروعاً وأصولاً بما يحتاج إليه الناس، وكان القرآن الكريم مصدر التشريع الأول، والسنة النبوية المصدر الثاني في بيانها لما في القرآن من الإجمال وتيسير دساتيره بالشرح والإيضاح، وقد أبلغ الرسول الأعظمﷺ رسالة ربّه على الوجه الأكمل، ولدى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، كان قد أعذر إلى الناس بجعل العترة عدلاً للقرآن، وأمرهم بالتمسك بهما، فهما متلازمان لا يفترقان على مر العصور حتى الورود على الحوض يوم القيامة.

قالﷺ بإجماع كتب الحديث:

«إني مخلّف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرَّقا (يفترقا) حتى يردا عليّ الحوض.»[1]

---

(١) أحمد بن حنبل / المسند ٣٦٧/٤ + مسلم / صحيح مسلم ١٢٢//٧ ـ ١٢٣ + البيهقي / السنن الكبرى ١٤٨/٢ و٣٠/٧ + النسائي/السنن ٥١/٥ + الطبراني / المعجم الكبير ١٥٤/٥ + الحاكم

وقد ورد الحديث باختلاف اللفظ واتحاد المعنى، وإضافة بعض الفقرات عند آخرين كما في رواية زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، هو كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.»[1]

ودلالة هذا الحديث واضحة الأداء: أن الرسول الأعظم ﷺ لم يترك الأمة هملاً، بل أمرها بالتمسك بالكتاب والعترة، وقد تمسك الإمامية بالحديث حرفياً، فذهبوا أن هناك قيّمين على الدين والأمة هما: القرآن وأهل البيت عليهم السلام.

وكان الأخذ الريادي لأحكام هذا الدين قد بدأ عند الإمامية ـ بعد النبي الكريم ـ بأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وبنجليه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وتسلسل الأخذ عن الذريّة المباركة للإمام الحسين عليه السلام من الأئمة المعصومين: السجّاد / الباقر / الصادق / الكاظم / الرضا/ الجواد / الهادي / الحسن العسكري / صاحب الأمر المهدي المنتظر عليهم السلام، وهؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر الذين أمرنا بطاعتهم بنصّ القرآن في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2]

وهم المعصومون في النص القرآني:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

النيسابوري / المستدرك ١١٠/٣ + أبو يعلى الموصلي / المسند ٢٩٧/٢ + الموفق الخوارزمي / المناقب / ٢٠٠ + القندوزي / ينابيع المودة ١٢١/١ وسواها.

(١) ابن الأثير / جامع الأصول ١٨٧/١.

(٢) سورة النساء /٥٩.

تَطْهِيرًا ﴾[1]

وقد نصّ رسول الله ﷺ على أسمائهم، وأشار إلى عددهم في كثير من الروايات، معلناً أنهم من قريش، والحديث حول هذه الأحاديث يطول، وفيه ما يدحض الشك ويدعو إلى اليقين ،ونكتفي بحديث متواتر انعقد عليه الإجماع، قال ﷺ: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش.»[2]

وقد دلّ الاستقراء التأريخي أن هذا الحديث لا ينطبق إلّا على الأئمة الاثني عشر.

وكان الإمام الحسن العسكري هو الإمام الحادي عشر من هذه السلسلة الذهبية، وإليه يرجع في الأحكام والإفتاء وسنن التشريع.

ولو استعرضت المصادر المعنية بفروع الأحكام وقضايا الفقه، فإنك ستقف على مأثور فقهي للإمام الحسن العسكري اشتملت عليه الكتب الأربعة عند الإمامية: الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩) ومن لا يحضره الفقيه لمحمد بن علي بن الحسين والمعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) وما ضمّ الاستبصار والتهذيب لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) يضاف إليها كتاب الوسائل للحر العاملي (ت١١٠٤هـ).

وقد تضمنت هذه الكتب جملة من الأسانيد المتصلة بالإمام الحسن العسكري عليه السلام في أحاديث شريفة لمختلف أبواب الفقه في العبادات والمعاملات والإيقاعات والعقود والمواريث، وقد شملت كتب: الطهارة / الصلاة / الصوم / الخمس / الزكاة / الحج / النكاح / الطلاق / القضاء /

---

(١) سورة الأحزاب / ٣٣.

(٢) البخاري / الصحيح ١٢٧/٨ + أحمد بن حنبل / المسند ٩٠/٥، ٩٣ + أبو داود/ السنن/ ١٠٣ ـ ١٠٤ + ابن حجر/ فتح الباري ١٣/ ١٨١ + ابن حبّان/ الصحيح ١٥/ ٤٤ وسواها.

الشهادات / الوصية / الوقف / الإرث / الأجارة / البيع / الضمان / أحكام الأولاد، وسوى ذلك.

وقد يذكر الإمام مضافاً إلى الإفتاء علل الأحكام مما يتطلع إلى معرفته السائل، فقد كتب حمزة بن محمد إليه يسأله:لم فرضَ الله الصوم؟ فورد في الجواب:

«ليجد الغني مسّ الجوع، فيحن على الفقير.»[١]

وتظلم أحد السائلين للمرأة، فسأل الإمام:

«ما بال المرأة المسكينة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين؟ فقال الإمام العسكري: «إن المرأة ليس عليها جهاد، ولا نفقة، ولا عليها معقلة (أي دية) إنما ذلك على الرجال.»[٢] وأمثال هذا مما هو مذكور في مصادره الحديثة.

وعلى الرغم من مصادرة السلطة الحاكمة لآراء الإمام العسكري والتعتيم عليها، ونصبه للوكلاء في تبليغ الأحكام، وإرشاده للفقهاء في تلقي الفتاوى، فقد ذكرت له المجاميع الحديثية ما ينيف على سبعين جواباً في مسائل الفقه والتشريع، والرجوع فيها باستخراج الحكم الشرعي إنما يعود للعلماء الأعلام من فقهاء الإمامية الذين يدرسون المتن والسند من زوايا مختلفة، فيقبلون ما توافرت به الشرائط، ويتوقفون عند بعضها، لأن الحديث الوارد عن الإمام لو صحَّ فهو السنة، ولكنه خاضع لمواصفات الجرح والتعديل سنداً ورواةً، ولدراسة المتن أداءً ولغةً، وعلى هذا فلا يستطيع غير الفقيه استنباط الحكم الشرعي من الحديث ابتداءً، وإنما يرجع ذلك لأهله من الفقهاء والمتخصصين بذلك طبق معاييرهم

---

(١) الكليني / الكافي ١٨١/٤ + الصدوق / من لا يحضره الفقيه ٤٣/٣.

(٢) الكليني / الكافي ٨٥/٧ + الطبرسي / إعلام الورى ١٤٢/٢.

في القبول أو الرفض، وفي الأخذ أو الردّ، من خلال التوثيق والتصحيف في السند، وفي النظر لما وافق كتاب الله في الأصل، لهذا السبب لم أورد تلك النصوص لئلا يعمل بها أحد دون ضابط شرعي وفق المقاييس العلمية.

الألفاظ الجارية مجرى الأمثال في تراث الإمام

للإمام الحسن العسكري عليه السلام: حِكَمٌ قصار شوارد، ووصايا ذات عمق دلالي، وشذرات بليغة هادفة، وألفاظ نادرة جارية مجرى الأمثال السائرة على الألسن، وهي فيض من نبع النبوة، وألقٌ من نور الإمامة، تدعو إلى حياة أفضل، وتحضّ على الكمال الإنساني:

وكان اختيارنا لهذه الألفاظ والفقرات والعبارات الجزلة يتحرى اللفظ الموجز والقول البليغ، وقد رتبتها على طريقة (الألفباء) ليسهل تداولها، وتنتظم عقودها بإطار فنّي موحّد، قريب من التناول، بعيد عن الإغراب.

وكانت موارد هذه اللقطات الفنية كتب الحديث والتراث والأدب والسيرة والنوادر، وكان أبرز ما رجعت إليه في استلهامها، ووجدته متناثراً في طيّاتها الكتب الآتية:

تحف العقول لابن شعبة الحراني / كشف الغمة للأربلّي / وسائل الشيعة للحر العاملي / أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي / سيرة الأئمة الاثني عشر / للسيد هاشم معروف الحسني / الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحد للسيد محمد كاظم القزويني/ الإمام الحسن بن علي العسكري إصدار المجمع العالمي لأهل البيت / حياة الإمام الحسن العسكري للشيخ باقر شريف القرشي / الإمام الحسن بن علي العسكري للشيخ محمد حسن آل ياسين، وسواها.

وكان دور البحث فيها الاختيار والتنظيم، ومراجعة مصادر هذه الشذرات واستخراجها من مظانها في التراث، والهدف منها تقويم الأمة وتوعية الجيل بما اشتملت عليه من العمق الرسالي، وهدفت إليه من الإرشاد والنصح الكريم.

(أ)

* إن لكلام الله فضلاً على الكلام كفضل الله على خلقه، ولكلامنا فضل على كلام الناس كفضلنا عليهم.

* إن للسخاء مقداراً، فإن زاد عليه فهو سرف. وللحزم مقداراً، فإن زاد عليه فهو جبن. وللاقتصاد مقداراً، فإن زاد عليه فهو بخل. وللشجاعة مقداراً، فإن زاد عليه فهو تهوّر.

* احذر كل ذكيّ ساكن الطرف.

* أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته.

* إذا نشطت القلوب فأودعوها، وإذا نفرت فودّعوها.

* إذا كان المقضي كائناً فالضراعة لماذا؟

* إدفع المسألة ما وجدت التحّمل يمكنك، فإن لكل يوم رزقاً جديداً.

* إصبر حتى يفتح الله لك باباً يسهل الدخول فيه.

* أولى الناس بالمحبة من أملوه.

* أقلُّ الناس راحةً: الحسود.

* أورع الناس: من وقف عند الشبهة.

* أعبد الناس: من أقام على الفرائض.

* أزهد الناس: من ترك الحرام.

* أشدّ الناس اجتهاداً: من ترك الذنوب.

* إنكم في آجال منقوصة وأيام معدودة، والموت يأتي بغتةً.

* الإشراك في الناس: أخفى من دبيب النمل على المسح الأسود في الليلة الظلماء.

* الأرزاق المكتوبة لا تنال بالشره والمطالبة.

* إعلم أن الإلحاح في المطالب يسلب البهاء، ويورث التعب والعناء.

* إن الوصول إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا يدرك إلّا بامتطاء الليل. (حثٌ على صلاة الليل).

(ب)

* بسم الله الرحمن الرحيم: أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

* بئس العبد: عبد يكون ذا وجهين، وذا لسانين، يُطري أخاه شاهداً، ويأكله غائباً، إن أُعطي حسده، وإن أُبتلي خانه.

(ت)

* التواضع نعمة لا يُحسد عليها.

(ج)

* جعلت الخبائث في بيت، وجعل مفتاحه الكذب.

* جرأة الولد على والده في صغره: تدعو إلى العقوق في كبره.

* الجهلُ خصمٌ، والحلم حكمٌ، ولم يعرف راحة القلب من لم

يجرعه الحلم غصص الغيظ.

(ح)

* حسن الصورة: جمالٌ ظاهر، وحسن العقل: جمالٌ باطن.

* الحظوظ مراتب، فلا تعجل على ثمره لم تدرك، وإنما تنالها في أوانها.

* حبّ الأبرار للأبرار: ثوابٌ للأبرار.

وحبّ الفجار للأبرار: فضيلة للأبرار.

وبغض الفجار للأبرار: زين للأبرار.

وبغض الأبرار للفجّار: خزيٌ على الفجّار.

(خ)

* خصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله، ونفع الأخوان.

* خير إخوانك من نسي ذنبك إليه.

* خيرٌ من الحياة: ما إذا فقدته أبغضت الحياة. وشرٌ من الموت: ما إذا نزل بك أحببت الموت.

* خيرُ إخوانك من نسي ذنبك وذكر إحسانك إليه.

(ر)

* ربما كانت الغير نوعاً من أدب الله...

* رياضة الجاهل وردّ المعتاد عن عادته كالمعجز.

(س)

* السهرُ ألذّ للمنام، والجوع أزيد في طيب المنام.

(أراد الإمام بهذا الحضّ على صلاة الليل وصيام النهار)

(ص)

* صديق الجاهل: تَعِبٌ.

(ق)

* قلبُ الأحمق في فمه، وفم الحليم في قلبه.

(ك)

* كفاك أدباً تجنّبك ما تكره من غيرك.

(ل)

* لا يعرف النعمة إلّا الشاكر، ولا يشكر النعمة إلّا العارف.

* لا تمارِ فيذهب بهاؤك، ولا تمازح فيُجترأ عليك.

* لا يسبق بطيء بحظه.

* ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التفكّر في أمر الله.

* لا يدرك الحريص مالم يُقدّر له.

* لا يشغلك رزقٌ مضمون عن عمل مفروض.

* ليس من الأدب: إظهار الفرح عند المحزون.

* لا تكرم الرجل بما يشق عليه.

* لكل زارع ما زرع.

* اللحاق بمن ترجو خيرٌ من المقام مع من لا تأمن شرَّه.

* لو عقل أهل الدنيا خربت.

* للقلوب خواطر من الهوى، والعقول تزجر، وتزاد في التجارب علماً مستأنفاً، والاعتبار يفيد الرشاد.

(م)

* من أنس بالله استوحش من الناس، وعلامة الأنس بالله الوحشة من الناس.

* من لم يتقِ وجوه الناس لم يتق الله.

* من أكثر من المنام رأى الأحلام.

* من كان الورع سجيته والإفضال حليته: انتصر من أعدائه بحسن الثناء، وتحصن بالذكر الجميل من وصول نقصٍ إليه.

* من مدح غير المستحق فقد قام مقام المتّهم.

* من رضي بدون الشرف من المجالس: لم يزل الله وملائكته يصلّون عليه حتى يقوم.

* من الجهل: الضحك من غير عجب.

* من الفواقر (الدواهي) التي تقصم الظهر: جارٌ إذا رأى حسنة أخفاها، وإن رأى سيئة أفشاها.

* المقادير الغالبة لا تدفع بالمغالبة.

* من التواضع: السلام على كل من تمرّ به، والجلوس دون شرف المجلس.

* من يزرع خيراً: يحصد غبطةً.

* من يزرع شراً: يحصد ندامةً.

* من أعطي خيراً: فالله أعطاه.

* من وقي شراً: فالله وقاه.

* من تعدى في طهوره كان كناقضه.

* ما ترك الحق عزيز إلّا ذل، ولا أخذ به ذليل إلّا عزّ.

* ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذلّه.

* ما أقرب الصنيع من الملهوف، والآمن من الهارف المحوف.

* المؤمن بركة على المؤمن وحجة على الكافر.

* من وعظ أخاه سراً: فقد زانه، ومن وعظه علانية: فقد شانه.

* ما من بليّة إلّا ولله فيها نعمة تحيط بها.

* من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة.

* من لم يحسن أن يمنع لم يحسن أن يعطي.

(ن)

* نائل الكريم يحببك إليه، ويقربك منه، ونائل اللئيم يباعدك منه، ويبغضك إليه.

(و)

* واعلم أن المدبر لك: أعلم بالوقت الذي يصلح حالك فيه، فثق بخيرته في جميع امورك يصلح حالك ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها فيضيق قلبك وصدرك، ويغشاك القنوط.

واعلم أنك غير نائل بالحرص إلّا ما كتب لك.

الفصل السادس

استشهاد الإمام الحسن العسكري

١. اغتيال الإمام مسموماً.

٢. إجراءات النظام العباسي.

٣. الحقيقة التأريخية في تجهيز الإمام.

٤. ما بعد وفاة الإمام العسكري.

٥. قصائد المؤلف في الإمام.

٦. خاتمة المطاف.

اغتيال الإمام مسموماً

بعد هذه المسيرة الحافلة بالتخطيط الرسالي المتطور، والحفاظ على مبادئ أهل البيت من الضياع، والاصطدام بأحلك الظروف إثارةً، وأسوأ الأحداث السياسية ابتلاءً، انتقل الإمام الحسن بن علي العسكري إلى الرفيق الأعلى عام (٢٦٠) عن ثمانية وعشرين عاماً، قضاها منظراً عالمياً فذاً، واحتواها عاملاً صابراً محتسباً، وصاحبها عالماً متمرساً، تتقاطر المعارف الإلهية على يديه، وتنطلق الحكمة الروحية من أصغريه، وهو بين ظلمات السجون وشدائد التبعات حيناً، وبين صرامة الرقابة وتوالي المكاره حيناً آخر.

قضى الإمام وهو في ريعان شبابه مظلوماً، ووفد على الله وهو في عنفوان نشاطه شهيداً، ولم يتحدث التأريخ عن إصابته بعلّة، ولم يروِ لنا أحد ابتلاءه بداء عضال، فما كان طريح فراش، وليس هو بقعيد داره، وكانت وفاته ـ في حينها ـ غامضة الأبعاد في حدود، فامتدت أصابع الاتهام إلى الخليفة العباسي المعتمد، وذلك بدس السمّ إليه ،كما صرح بذلك المؤرخون ورواة السيرة.[1]

(١) ظ: الأربلّي / كشف الغمة ٢٢٧/٣ + ابن الصباغ / الفصول المهمة / ٢٧٢ + الطبرسي / إعلام الورى ١٣١/٢ + ابن حجر / الصواعق المحرقة / ٢٤ + القندوزي / ينابيع المودّة / ٣٦٦ + المجلسي / البحار ٢٣٨/٥٠ + حيدر الحسني / عمدة الزائر / ٣٢٨.

وكان لهذا الاتهام مبرراته التاريخية وتأكيده الاستقرائي إذ لم يسبق الإمام بمرضٍ ما، وهو في ذروة فتوته وحيويته، وقد أعتلّ فجأة دون سابق إنذار، وتوفي مباشرة بعد علته بثمانية أيام ليس غير.(١)

«وقد تعلّم العباسيون من أشباههم من الأمويين واقتدوا بهم في دسّ السّم إلى الأئمة الطاهرين، وحاولوا أن تقع جناياتهم بصورة سريّة حتى لا يطّلع عليها أحد، ولكن الجريمة كانت تنكشف ويطّلع عليها الناس.»(٢)

قال الطبرسي: «وذهب كثيرٌ من أصحابنا إلى أنه عليه السلام قبض مسموماً وكذلك أبوه وجده، وجميع الأئمة عليهم السلام خرجوا من الدنيا على الشهادة، وستدلوا في ذلك بما روي عن الصادق عليه السلام من قوله: والله ما منّا إلاّ مقتول أو شهيد.»(٣)

وقد أثبتت الدلائل التاريخية صحة هذا القول، فقد تتبع البحث أحوال الأئمة ـ كما سبق ـ فلم يجد منهم إلاّ سميماً أو مقتولاً أو شهيداً، وما مات منهم أحد حتف أنفه ولم تفلح الخلافة الرسمية بمحو ذكرهم وإماتة وحيهم، وكانوا بقية السيف المباركة، فاشتبكت فروعهم بأصولهم، وكثر نسلهم، وتضاعف عددهم، وطار صيتهم في الآفاق وقد عدّ الشيخ المفيد ذلك من الآيات الباهرات التي صاحبت ذرية أمير المؤمنين في ظلامته، وما ابتلي به ولده بعد استشهاده فقال:

«ومن آيات الله تعالى فيه عليه السلام: أنه لم يمن أحد في ولده وذريته بمثل ما مني عليه السلام في ذريته، وذلك أنه لم يعرف خوف شمل جماعة

(١) ظ: المفيد / الإرشاد / ٣٨٩ + ابن شهراشوب / المناقب ٥٢٤/٣ + الطبرسي / إعلام الورى ١٥١/٢ + الأربلّي / كشف الغمة ٢١٠/٣ + المجلسي / بحار الأنوار ٢٣٦/٥٠.
(٢) محمد كاظم القزويني / الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحد / ٢٨٧.
(٣) الطبرسي / إعلام الورى / ٣٦٧.

من ولد نبيّ أو إمام، ولا ملك زمان، ولا برّ ولا فاجر، كالخوف الذي شمل ذرية أمير المؤمنين عليه السلام وولده، ولم يجرِ على طائفة من الناس من ضروب النكال ما جرى عليهم من ذلك، فقتلوا بالفتك والغيلة والاحتيال، وبني على كثير منهم ـ وهم أحياء ـ البنيان، وعذبوا بالجوع والعطش حتى ذهبت أنفسهم على الهلاك، وأحوجهم ذلك إلى التفرق في البلاد، ومفارقة الديار والأهل والأوطان، وكتمان نسبهم عن أكثر الناس، وبلغ بهم الخوف إلى الاستخفاء عن أحبائهم فضلاً عن الأعداء، وبلغ هربهم إلى أقصى الشرق والغرب والمواضع النائية عن العمارة، وزهد في معرفتهم أكثر الناس، ورغبوا عن تقريبهم والاختلاط بهم مخافة على أنفسهم وذراريهم من جبابرة الزمان، وهذه كلها أسباب تقتضي انقطاع نظامهم، واجتثاث أصولهم، وقلة عددهم، وهم مع ما وصفناه أكثر ذرية أحد من الأنبياء والصالحين والأولياء، بل أكثر من ذراري كل أحد من الناس، قد طبقوا بكثرتهم البلاد، وغلبوا في الكثرة على ذراري العباد، هذا مع اختصاص مناكحهم في أنفسهم دون البعداء، وحصرها في ذوي أنسابهم دنية من الأقرباء، وفي ذلك خرق العادة على ما بيناه وهو دليل الآية الباهرة في أمير المؤمنين عليه السلام كما وصفناه وبيّناه، وهذا ما لا شبهة فيه، والحمد لله رب العالمين.»[1]

وإذا تأملنا فقرات تقرير الشيخ المفيد أعلى الله مقامه، وجدنا أن كثيراً منها ينطبق على ما جرى للإمام الحسن العسكري عليه السلام من التغريب والتشريد والسجن، ومصادرة الحرية، ورقابة الدولة، ومفارقة الأهل والديار، ومتابعة طغاة النظام له في حلّه وترحاله، وتشتيت أوليائه بين القصبات والأقاليم، وملاحقة شيعته تحت كل حجر ومدر، والتضييق عليه بمجالات شتى، فحضور دار العامة مفروض عليه،

---

(١) المفيد / الإرشاد / ١٨٠ ـ ١٨١.

ومعاودة السلطان بالاجتماع به من مستلزمات الإقامة الجبرية، والتهديد المباشر من أبسط الإجراءات، والتحقق من ولده قائم على قدم وساق، وإيصال المكروه إليه مفروغ عنه، فاستخفى عن أحبائه فضلاً عن أعدائه، واحتجب عن أوليائه قسراً حتى لا تمكنهم رؤيته إلاّ يوم الركوب إلى البلاط، فكان بين عناء دائم وسلطة معتدٍ غاشم، حتى اغتيل بالسم يوم الجمعة على أشهر الروايات، وفي الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠ هـ.[1]

ولم تكن وفاة الإمام طبيعية على الإطلاق، ولا حديث اعتلال الإمام المفاجئ اعتيادياً، فوراءه تكمن صور وحقائق أخرى، تنطق بها إجراءات النظام العباسي عند أول مرضه نتيجة سمّه، ولزوم داره ليلاً ونهاراً حتى وفاته.

(١) ظ: تجد تفصيلات سمّ الإمام والروايات في ذلك في كل من:
الكليني / الكافي ٥٠٣/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٩ + الخطيب / البغدادي / تأريخ بغداد ٣٦٦/٧ + الطوسي / التهذيب ١٩٢/٦ + الطبرسي / إعلام الورى ١٣١/٢ + الكنجي الشافعي / كفاية الطالب / ٣١٢ + الأربلّي / كشف الغمة ١٩٧/٣ + ابن الصباغ / الفصول المهمة/ ٢٧١ + ابن خلكان / وفيات الأعيان ٣٧٣/١ + اليافعي / مرآة الجنان /١٢٧/٢ + ابن طولون / الأئمة الاثنا عشر / ١١٣ + الشبلنجي / نور الأبصار / ١٥٤ + المجلسي / البحار /٥ ٢٣٦ + النجفي جواهر/ جواهر الكلام ٩٩/٢٠.

إجراءات النظام العباسي

يبدو للبحث دون ريب أن البلاط العباسي كان قد أعلن حالة الطوارئ القصوى بين صفوف أتباع الخلافة من الوزراء والقوّاد والقضاة والمعدلين وسواهم من الخدم والحشم، فبعد أن أقدم على سمّ الإمام عليه السلام، اتخذ أهبة الاستعداد لمواجهة الموقف، وضرب حصاراً على دار الإمام، فلا يدخل عليه أحد، ولا يخرج منه أحد إلاّ لواذاً، وأحكموا القبضة بالنسبة للأمن العام، واستنفروا القوى الفاعلة للسيطرة على الحالة.

ويبدو أن الإمام بشبابه وحيويته قد قاوم السمّ إلى حين، فلم يأخذ مفعوله الفوري مباشرة، فاعتل ثمانية أيام يعاني من آثار السمّ، حتى ضعف عن ذلك، وانهارت قواه، فوحد على الله تعالى بعد هذه الأيام الثمانية.

وقد كان النظام مراقباً للأمر من أول لحظة، واستدعى المسؤولين إلى البلاط، وأصدر أوامره بإناطة المسؤوليات كلاً بحسبه، فتم إحضار الوزير الأول فوراً، ورجع على عجل ومعه خاصة الخليفة، وبعثوا على الأطباء فحضروا، ولازم الجمع دار الإمام للتعرف على مضاعفات حالته الصحية، وبدأت عملية المتابعة الدقيقة بكثير من التكتم صباحاً ومساءً.

ولم تكن هذه الإجراءات لتأكيد العناية بالإمام في لحظاته الأخيرة، وإنما كان ذلك في محاولة تبرئة ساحة الخلافة من التورط بجريمة قتل

الإمام عليه السلام، فحينما بدأ السمّ يسري في بدن الإمام، وقد ضعف عن المقاومة، أمر الوزير الأول بإحضار قاضي القضاة وطلب إليه وعلى الفور إحضار عشرة رجال ممن يوثق به عندهم، وبعث بهم إلى دار الإمام وأمرهم بملازمته ليلاً ونهاراً، ليكونوا شهداء الزور في إخفاء معالم الجريمة التي اقترفها البلاط العباسي، وقد تمت هذه الإجراءات بما ذكره المؤرخون أن الإمام الحسن العسكري لما اعتل بعث المعتمد العباسي إلى وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان:

«إن ابن الرضا قد اعتل[1] فركب من ساعته إلى دار الخلافة، ثم رجع مستعجلاً، ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين!! كلهم من ثقاته وخاصته، وأمرهم بلزوم دار الإمام الحسن وتعرّف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطببين فأمرهم بالاختلاف إليه، وتعهده صباحاً ومساءً.

فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر بأنه قد ضعف، فأمر المتطببين بلزوم داره، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره وأمره أن يختار عشرة ممن يوثق به في دينه وورعه وأمانته، فأحضرهم، فبعث بهم إلى دار الحسن، وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتى توفي.»[2]

ولم يكن هذا الاهتمام من البلاط العباسي أمراً اعتباطياً دون دراسة للحالة، بل كان إجراءً احترازياً من غضب الأمة التي أشارت بأصابع الاتهام للبلاط متهمة له باغتيال الإمام سميماً، ولو كان الإمام قد مرض مرضاً طبيعياً لما استدعى المعتمد وزيره الأول على وجه السرعة، واستعجال الوزير بالذهاب إلى القصر على الفور، وهو يتلقى الأوامر من

(١) بالنظر لشهرة الإمام الرضا في الآفاق، فقد أطلق «ابن الرضا» على ثلاثة من الأئمة: الإمام محمد الجواد والإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكري.

(٢) ظ: الكليني / الكافي ٥٠٣/١ + الطبرسي / إعلام الورى ١٤٧/٢ + الأربلّي / كشف الغمة ٢٠٢/٣ + الشبلنجي / نور الأبصار / ١٥٤.

الخليفة العباسي مباشرة، فيأخذ معه خمسة من خاصة المعتمد، وهؤلاء لزموا دار الإمام وحاصروا من فيها، ثم أحضروا قاضي القضاة فأمر بإحضار عشرة رجال من ثقات البلاط، وهؤلاء جميعاً حضروا دار الإمام وطوقوها تغطيةً على الأمر الذي أحكموا تدبيره بسمّ الإمام لئلا تعرف حقيقة الأمر بما جرى على الإمام.

وكان هؤلاء الحضور شهداء بالزور أن الإمام مات حتف أنفه.

ويبدو أنهم انسحبوا من الدار بعد تأكدهم من وفاة الإمام، فقد ذكرت بعض المصادر أن الإمام لم يحضره عند الوفاة إلا السيدة نرجس، وولده الإمام المنتظر، وعقيد الخادم، وإسماعيل بن علي النوبختي من أعيان الشيعة.

وقد أورد الصدوق ذلك في رواية تقول:

«مات أبو محمد، الحسن بن علي عليه السلام يوم جمعة مع صلاة الغداة، وكان في تلك الليلة قد كتب بيده كتباً كثيرة إلى المدينة، وذلك في شهر ربيع الأول لثمان خلون منه سنة ستين ومائتين من الهجرة، ولم يحضره في ذلك الوقت إلاّ صقيل [نرجس] الجارية، وعقيد الخادم، ومن علم الله عزّ وجلّ غيرهما.»[1]

يبدو أنه يشير بالعبارة الأخيرة إلى صاحب الأمر عجل الله فرجه، وحينما انتشر نبأ وفاة الإمام الحسن العسكري ـ يقول المؤرخون:

«صارت سر من رأى ضجة واحدة، مات ابن الرضا، وعطلت الأسواق، وركب بنو هاشم والقوّاد والكتاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذٍ شبيهاً بالقيامة.

---

(١) الصدوق / كمال الدين / ٤٧٣.

فلما فرغوا من تهيئة بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل، فأمره بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة دنا أبو عيسى منه، فكشف عن وجهه، فعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقوّاد والكتّاب والقضاة والمعدلين، وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه!! وحضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان، ومن القضاة فلان وفلان، ومن المتطببين فلان وفلان.

ثم غطى وجهه، وصلى عليه، وأمر بحمله.»[1]

وللبحث على هذا الخبر تعقيب، وتحليل، فلدى انتشار نبأ وفاة الإمام ضجت سامراء ضجة واحدة، وسامراء مقرّ الخلافة، والإمام في خط يتقاطع معها، وهذا ما يكشف عن عمق القاعدة الجماهيرية للإمام، حيث تدافعت الأمواج البشرية لتشييع جنازته، وعطلت الأعمال والأسواق والدواوين وهرع القادة والوزراء والكتاب مشيعين، وقد شبهت هذه الظاهرة بيوم القيامة!!

ولم يكن العباسيون أهل صلاة، وكانت صلاة ابن المتوكل تمثل نوعاً من رياء البلاط، ولم يكن الهدف هو الصلاة لذاتها بل ليخدعوا السواد الأعظم بأنهم ولاة الأمر، وكان قبل أداء الصلاة ما حاولوا من تبرئة السلطان من اغتيال الإمام، بكشف وجهه للناس، ولم تجرِ العادة بهذا، ولكن ذلك للأشهاد زوراً أن الإمام مات حتف أنفه بحضور ثقات المعتمد والقضاة والأطباء.. الخ!!

ومن ثم غطّى وجه الإمام عليه السلام، وصلى عليه في ظاهر الحال أمام

---

(١) ظ: الكليني / الكافي ٥٠٥/١ + المفيد / الإرشاد / ٣٨٣ + الطبرسي / إعلام الورى ١٤٩/٢ + الأربلّي / كشف الغمة ٢٠٤/٣ وسواها.

الناس، وأمر بحمل الجثمان، وهنا تتكامل أبعاد هذه التراجيديّة الفجّة، لتؤكد في إجراءاتها صحة اتهام الناس للخليفة العباسي بقتل الإمام، وتعالت الأصوات في الضجة التي أحدثوها عند ذيوع النبأ، فكانت هذه المظاهر لا لأداء حق الإمام في مقامه الأسمى، بل لتضليل الأمة الغاضبة.

الحقيقة التاريخية في تجهيز الإمام

بعد هذه المظاهر الخارجية التي عمدت الدول لإجرائها تستراً على مؤامرتها باغتيال الإمام، لا بد أن نشير إلى واقع الأمر وحقيقة الحال بتجهيز الإمام، بما جرى سراً بين خاصة الخاصة.

فقد ذكر الشيخ الطوسي أنه لما مات الإمام الحسن العسكري عليه السلام حضر غسله عثمان بن سعيد، وتولى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقبيره، مأموراً بذلك للظاهر من الحال التي لا يمكن جحدها ودفعها.[1]

وظهر بذلك حضور النائب الأول عثمان بن سعيد العمري لبعض مراسم التجهيز حصراً: التكفين، التحنيط، التقبير، ولم يذكر تغسيل الإمام.

والبحث يعتقد أن الإمام المهدي المنتظر عجّل الله فرجه هو الذي قام بتغسيل الإمام، كما أنه هو الذي صلى عليه كما سيأتي.

فالروايات عند الإمامية تنصّ أن الإمام لا يغسله إلاّ إمام، ولا يصلي عليه إلاّ إمام، فقد ذكر الكليني عن الإمام الرضا عليه السلام أنه: غسّل أباه الإمام الكاظم عليه السلام، فبسنده عن أحمد بن عمر الحلاّل أو غيره عن الإمام الرضا عليه السلام: قال: قلت له أي الإمام:

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢١٦..

«إنهم يحاجوننا، يقولون: إن الإمام لا يغسله إلاّ الإمام... قال له الإمام الرضا عليه السلام، قل لهم:

إني غسلته (يعني أباه الكاظم) فقلت له: أقول لهم إنك غسلته؟ فقال نعم.»[١]

وفيما عقده الشيخ الكليني من باب «أن الإمام لا يغسله إلاّ إمام من الأئمة» أورد بسنده إلى أبي معمّر، قال:

سألت الرضا عليه السلام عن الإمام يغسله الإمام؟ قال: سنة موسى بن عمران عليه السلام.»[٢] أي أن وصي الإمام، وهو الإمام من بعده، هو الذي يحضر عنده ساعة الموت أو عند الموت، ويقوم بتغسيله، كما قام يوشع بن نون وصي موسى بتغسيل موسى عليه السلام.

ولما كان عثمان بن سعيد من الوثاقة بمكان، فإنه قد حضر تلك المراسم في وفاة الإمام الحسن العسكري في جزء منها، وقام صاحب الأمر بغسل الإمام.

ولما كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام على علم مسبق بوفاته، فقد أنبأ بذلك خادمه المعتمد، أبا الأديان البصري، وأخبره بالدقة عما سيجري، وندع الحديث لأبي الأديان ليتحدث عن تلك المراسم بالضبط والدقة والتفصيل، قال:

«كنت أخدم الحسن بن علي بن محمد محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت عليه في علته التي توفي فيها صلوات الله عليه، فكتب معي كتباً، وقال: اِمضِ بها إلى المدائن، فإنك

(١) الكليني / الكافي ٣٨٤/١.

(٢) الكليني / الكافي ٣٨٥/١.

ستغيب خمسة عشر يوماً، وتدخل إلى سُر من رأى يوم الخامس عشر [من خروجك] وتسمع الواعية (الصراخ والعويل) في داري، وتجدني على المغتسل!!

قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدي فإذا كان ذلك فمن؟ (أي من الإمام من بعدك) ؟

قال من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي!!

فقلت: زدني. قال: من يصلي عليّ فهو القائم من بعدي!!

فقلتُ: زدني. قال: من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي!!

ثم منعتني هيبته أن أساله عمّا في الهيمان!!

وخرجت بالكتب إلى المدائن، وأخذت جواباتها، ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر كما ذكرني عليه السلام.

فإذا أنا بالواعية في داره، وإذا به على المغتسل، وإذا أنا بجعفر (الكذاب) بن علي (الهادي) : أخيه بباب الدار، والشيعة حوله يعزّونه يهنئونه!!

فقلت في نفسي: إن يكن هذا إماماً فقد بطلت الإمامة!! لأني كنت أعرفه يشرب النبيذ، ويقامر في الجوسق، ويلعب بالطنبور!!

فتقدمتُ، فعزيتُ، وهنأتُ، فلم يسألني عن شيء. (يعني أنه عزاه بأخيه، وهنأه بمنصب الإمامة، ولم يسأله عن جوابات الكتب التي أرسلها العسكري إلى أوليائه في المدائن)

يقول أبو الأديان: ثم خرج عقيد الخادم، فقال لجعفر: يا سيدي، قد كفن أخوك، فقم، وصلِّ عليه.

فدخل جعفر بن علي، والشيعة من حوله، يقدمهم السّمان (يعني

عثمان بن سعيد العمري) والحسن بن علي قتيل المعتصم، والمعروف بسلمة.

فلمّا صرنا في الدار، إذ نحن بالحسن بن علي صلوات الله عليه على نعشه، مكفّناً.

فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه، فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيٌ، بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجبذ (حذب) برداء جعفر بن علي، وقال:

«تأخر يا عمّ، فأنا أحقُّ بالصلاة على أبي».فتأخر جعفر، وقد اربدّ وجهه، واصفرّ.

فتقدم الصبيُّ وصلى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه.

ثم قال [الإمام المهدي]: يا بصريُّ، هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه، فقلت في نفسي: هذه بيشان (هذه اثنتان) ، بقي الهميان!! ثم خرجت إلى جعفر بن علي، وهو يزفر.

فقال له حاجز الوشّاء:

«يا سيدي من هذا الصبي؟ ليقيم الحجة عليه!!

فقال [جعفر]: والله ما رأيته قط ولا أعرفه!!

فنحن جلوس إذ قدم نفرٌ من قم فسألوا عن الحسن [العسكري] بن علي عليه السلام فعرفوا موته!!

فقالوا: فَمَنْ [نعزّي] فأشار الناس إلى جعفر بن علي!!

فسلّموا عليه، وعزّوه وهنّؤوه، وقالوا:

إنّ معنا كتباً ومالاً، فتقول ممن الكتب؟ وكَمْ المال؟

فقام ينفض أثوابه ويقول: تريدون منّا أن نعلم الغيب؟

قال أبو الأديان: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار، وعشرة دنانير منها مطليّة!!

فدفعوا إليه الكتب والمال، وقالوا: الذي وجه بك لأخذ ذلك هو الإمام.

فدخل جعفر بن علي على المعتمد، وكشف له ذلك، فوجه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبوها بالصبي، فأنكرته، وادعت حبلاً [حملاً] بها، لتغطي حال الصبي!!

فسُلِّمتْ إلى ابن أبي الشوارب القاضي.

وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت عن أيديهم، والحمد لله ربّ العالمين.»

إن ما قدمه أبو الأديان وهو خادم الإمام ومعتمده، وممن حمّلوا جزءاً من الأسرار التي خصه بها أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام، يعتبر وثيقة تاريخية مهمة، تنطق بحقائق موضوعية كبرى، فقد صحّ ما أخبره به الإمام من وفاته، وكان شاهد عيان على مراسم دفنه، وقدّم ميدانياً أبعاد ما أدَّعاه جعفر الكذّاب من جهة، وما جابهه به صاحب الأمر من جهة أخرى، وكشف عن كرامة الإمام المهدي في الصلاة على أبيه حيث تعطّلت كل القوى عن القبض عليه، وأبدى معاينةً علم الإمام اللدني في تسمية من أرسلوا الكتب للإمام وبعثوا له بالأموال، مع تحديد دقيق للأسماء والأعيان.

إن ما تحدث به أبو الأديان وهو شاهد من العصر، هو الذي يميل إليه البحث في حقيقة تجهيز الإمام.

وقد دفن الإمام الحسن العسكري إلى جنب قبر أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام في دارهما بسامراء، حيث المشهد الطاهر والضريح المقدّس، وقد سبق لنا أن قدمنا صورة إجمالية عن المشهد الشريف في كتابنا السابق: الإمام علي الهادي / النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي.

وقد فجّر المرقدان الطاهران للإمام الهادي وولده الإمام العسكري في صباح يوم الأربعاء الثالث والعشرين من المحرم عام ١٤٢٧ هـ الموافق ٢٢/شباط / ٢٠٠٦ م من قبل عصابات النظام الصدّامي السابق والتكفيريين العملاء بما تحدثنا عنه سابقاً، وقد دمّر هذا التفجير الإجرامي معالم الضريح المقدس والروضة العسكرية والقبة الذهبية.

وفي صباح يوم الأربعاء ٢٧/جمادى الأولى /١٤٢٨هـ=١٣حزيران/٢٠٠٧م، فجرت العصابات المسلّحة المنارتين الذهبيتين لروضة العسكريين فإنا لله وإنا إليه راجعون، وسيعمّر المرقد بأفضل مما كان:

أتــرى ضـريـح العسكري مُـهـدّمـاً

كـــلا.. سيبنى فـضـةً ونــضـــاراً

ما بعد وفاة الإمام العسكري

ما إن فارق الإمام الحسن بن علي العسكري الحياة شهيداً، حتى بدا الأفق كئيباً والمناخ غائماً بقطع من السحب السوداء تخترق أجواء سامراء الحزينة، فقد جدّ البلاط العباسي في طلب ولده الإمام المنتظر، وسلكوا في ذلك أسلوباً همجياً لا يقرّهم عليه عرف أو شرع، ولا تبيحه الغيرة العربية ولا الفطرة الإنسانية فضلاً عن المرتكزات الإسلامية، إذا هجم أعوان الخلافة على دار الإمام العسكري عليه السلام، وروّعوا من فيها من النساء، وفيهن عقائل الوحي والنبوة كوالدة الإمام الهادي، وحكيمة بنت الإمام الجواد عمة الإمام العسكري، وعائلة الإمام، وفتشوا عن الحوامل - في زعمهم - بما أوجزه الكليني (ت ٣٢٩ هـ) بقوله: «وبعث السلطان إلى داره (دار الإمام) من فتشها وفتش حجرها، وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده، وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل، فجعلت في حجرة، وَوُكِّل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم..»[(١)]

بهذا الاجتراء وهذا الترويع كان هجوم القوم على دار الإمام، لم يرقبوا لآل رسول الله حرمة، ولا راعوا لهم ذماماً، مما عظم وقعه عند

(١) الكليني / الكافي ١/٥٠٥.

المسلمين، وعاد بالحزن المضاعف على أولياء أهل البيت، وهي حالة تدعو إلى الاستنكار والاشمئزاز بوقت واحد، ولم يكن للناس حولٌ ولا طول في ردّ إجراءات السلطة الغاشمة.

ولعل المرأة التي ادّعت أن هناك جارية بها حمل، كانت من أولياء الإمام وأرادت التعمية على القوم، والتغطية على ولده، حتى ينشغلوا بالحمل المزعوم عن طلب صاحب الأمر.

«ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهم عليها الحمل لازمين حتى تبيّن بطلان الحمل، فقسّم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر. وادّعت أمّه وصيته، وثبت ذلك عند القاضي، والسلطان يطلب ولده.»(١)

وكانت العناية الإلهية بصاحب الأمر قد حفظته من مكر الطغاة، فلم يجدوا إليه سبيلاً، ولم يعثروا على ما يدل عليه.

يقول الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) بعد ذكر وفاة الإمام العسكري، وهو يشرح الملابسات التي جرت بعد الوفاة:

«وخلّف ابنه المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت، وشدة طلب سلطان الزمان له، واجتهاده في البحث عن أمره، ولما شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه، وعرف من انتظارهم له، فلم يظهر ولده عليه السلام في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته، وتولى جعفر بن علي أخو أبي محمد عليه السلام أخذ تركته، وسعى في حبس جواري أبي محمد عليه السلام واعتقال حلايله، والقول وشنّع على أصحابه بانتظارهم ولده، وقطعهم بوجوده، والقول بإمامته، وأغرى بالقوم حتى أخافهم وشرّدهم، وجرى على مخلفي أبي محمد عليه السلام بسبب ذلك كل

---

(١) الكليني / الكافي ١/٥٠٥.

عظيمة من اعتقال، وحبس وتهديد، وتصغير، واستخفاف، وذلّ.

ولم يظفر السلطان منهم بطائل، وحاز جعفر ظاهراً تركه أبي محمدعليه السلام، واجتهد في القيام عند الشيعة مقامه، ولم يقبل أحد منهم ذلك، ولا اعتقده فيه، فصار إلى سلطان الوقت يلتمس مرتبة أخيه، وبذل مالاً جليللاً، وتقرّب بكل ما ظن أنه يتقرّب به، فلم ينتفع بشيء من ذلك.»[١]

ولم يكن ادّعاء جعفر للإمامة بعد أخيه العسكري هو الأمر الوحيد الذي افتتن به الناس بين مصدّق وشاكٍ ومكذّب، بل اشتطَّ به الكيد المشين، وحب الدنيا، وقطيعة الرحم، وتجاوز آداب اللياقة أن دخل على المعتمد العباسي:

«وكشف له وجود خلف للعسكري، فوجه المعتمد يخدمه، فقبضوا على صيقل (أو صقيل) الجارية وطالبوها بالصبي.. فأنكرته وادعت حبلاً لتغطي حال الصبي، فسلّمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبلغهم موت عبيد الله بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجارية وخرجت من أيديهم.»[٢]

وكان ادّعاء جعفر بن الإمام الهادي لمنصب الإمامة بعد أخيه مثاراً لسخط الخاصة من أتباع أهل البيت، وداعية للفرقة بين الهموم، وأوجد بلبلة في صفوف الأمة، وتجهمت الرؤية عند كثير من الناس في شأن الخلف بعد السلف.. فلم يكن جعفر هناك حيث شرائط الولاية الإلهية، وليس له مسكة من ورع، ولا أثارة من علم، وكان يتعاطى الملاهي في قصور بني العباس، حتى أسفر الصبح عن فجره، وتجلّى الحق ناصعاً،

(١) المفيد / الإرشاد / ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٢) القطب الراوندي / الخرائج والجرائح ٣/١١٠٣ ـ ١١٠٤ طبعة بيروت / ١٤١١ هـ.

وأنقشعت سحب الريب عن الأفق، إذ تفرق أصحاب جعفر عنه واعتزلوه ملياً، إذ لم يقدم دليلاً واحداً، أو شبه دليل مقنع على صحة ادعائه، فثاب الناس إلى الهدى، وثبت أتباع أهل البيت بعامة على القول الثابت بإمامة المهدي المنتظر عجل الله فرجه، وانتهت أساطير الادعاء الكاذب، وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً.

والطريف أن هذا الأمر لم يكن جديداً في أنبائه سلباً وإيجاباً على ساحة أهل البيت عليهم السلام، بل وعلى صفوة أصحابهم وثقاتهم، فقد وُثق بأحاديث سابقة عن الإمام زين العابدين عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيها تعداد جملة من الأئمة وحجج الله على العباد، وسبب تسمية جعفر بن الإمام علي الهادي بالكذّاب، وذكر ما ادّعاه من الإمامة زوراً، وبيان جملة من كيده وتعاونه مع المعتمد العباسي، وكشفه ما ستر الله تعالى عند غيبة ولي الله الإمام المهدي.

وذكر الغيبة، والثناء على أولياء أهل البيت زمن الغيبة، القائلين بإمامة المنتظر عجل الله فرجه، والمنتظرين لظهوره، بما يعدّه البحث من الوثائق النادرة القيّمة التي نطقت بالحقائق قبل وقوعها، وصورت الحال بدقة متناهية.

فعن أبي خالد الكابلي، قال: «دخلتُ على سيدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقلت: يا ابن رسول الله أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم ومودّتهم، وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: «ياكابلي إن أولي الأمر الذين جعلهم الله عزّ وجلّ أئمة الناس، وأوجب عليهم طاعتهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن عمي، ثم الحسين أبي، ثم انتهى الأمر إلينا. ثم سكت.

فقلت له: يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الأرض لا تخلو من حجّة لله تعالى على عباده، فمن الحجة والإمام بعدك؟ قال: ابني محمد، واسمه في صحف الأولين باقر، يبقر العلم بقراً، وهو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر، واسمه عند أهل السماء الصادق.

قلت: يا سيدي فكيف صار اسمه الصادق، وكلكم صادقون؟

قال: حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فسمّوه الصادق، فإن الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدعي الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه، فهو عند الله جعفر الكذّاب المفتري على الله تعالى، والمدعي لما ليس له بأهل المخالف لأبيه والحاسد لأخيه، وذلك الذي يروم كشف ستر الله عزّ وجلّ عند غيبة ولي الله.

ثم بكى علي بن الحسين بكاءً شديداً ثم قال:

كأني بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله، والمغيّب في حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه برتبته، وحرصاً منه على قتله إن ظفر به، وطمعاً في ميراث أخيه حتى يأخذه بغير حق.

فقال أبو خالد: فقلت: يا ابن رسول الله وإن ذلك لكائن؟ فقال: إي وربي إن ذلك مكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال أبو خالد: فقلت: يا ابن رسول الله، ثم يكون ماذا؟

قال: ثم تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

والأئمة بعده. يا أبا خالد:

«إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره: أفضل من أهل كل زمان، فإن الله تبارك وتعالى اعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة، ما صارت عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف! أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله عز وجل سراً وجهراً.»[1]

(١) الصدوق / كمال الدين ٣١٩/١ + ابن شهراشوب / المناقب ٣٩٣/٣ + الطبرسي / الاحتجاج ٣١٧/٢ + الكوراني / معجم أحاديث الإمام المهدي ١٩٤/٣.



الشعر

قصائد المؤلف في الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

١. الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٢. على ضريح الإمام الحسن العسكري.

٣. سامراء في ظل الإمامين العسكريين عليهما السلام.

٤. جولةٌ في آثار سامراء.



(الإمام الحسن العسكري عليه السلام)

هو الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري، الإمام الحادي عشر للمسلمين.

ولد بالمدينة المنورة في ربيع الثاني سنة ٢٣٢ هـ، وتوفي بسامراء مسموماً على يد المعتمد العباسي في الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠ هـ.

لُقِّب هو وأبوه الإمام علي الهادي بالعسكريين، لأن المحلّة التي سكناها سميت (العسكر) ، وقيل: إن سامراء نفسها تسمّى بالعسكر.

دُفن إلى جنب أبيه في دارهما بسامراء.

نظمت في ١٩٩٣/٥/١٢ = ١٤١٣/١١/٢٠ هـ.

فـــداءٌ لـمـثْـواكَ الـنُـجـومُ الـطـوالِـعُ
وقد تفضل النّجمَ المضيءَ المضاجعُ

حَـوَتْ مِنْكَ قدّيساً، وضَمّتْ مُبَرَّزاً
تشيرُ إلـيْـهِ بـالـجـلالِ الأصـابـعُ

وحْسبُكَ مَـجْـداً: إنَّ فجْرَكَ صادقٌ
وليْلك وضّـــاءٌ، وصبْحُكَ رائـعُ

تُـبـاكـرُهُ الأمــجـادُ.. مـا ذرَّ شـارقٌ
وتَحْضُنُهُ الأفضالُ.. ما لاحَ طالعُ

فـتًـى عَـرَّقـتْ فـيـه سـلالـةُ هـاشـم
فطالتْ أصـولٌ، واشْـرَأَبَّـتْ منابعُ

فما وازنــتــهُ حِـمْـيَـرٌ، أو رَبيعةٌ
ولا ضارعتْهُ نَهْشَلٌ أو مُجاشعُ

سليلُ رســولِ الله.. قـامَـتْ فواطمٌ
بمحْتدِهِ الأسْمى، وطابتْ مراضِعُ

تـحـنُّ إلـيـهِ بـالـدُّعـاءِ الـصَّـوامـعُ
وتحنُو عليه بالصَّلاةِ الجَوامعُ

***

يقولونَ: مَـدْحُ (العسكريّ) مضيّقٌ
فـآثـارهُ مَـطْـمـوُسـةٌ والـروائـعُ

ومـا بَـــرِحَ الـتـأريـخ يَـظْـلـمُ أهْـلَـهُ
وظالمُ أهْـلِ البيتِ كـابٍ وواقِـعُ

وقد صَدَقوا قد كان بعضُ الذي رووا
ولكنَّ بـابَ العسكريينِ واسِـعُ

مـتـى تـأتـهِ فـالـمُـكـرمـاتُ مـواثـلٌ
وألْـطـافُـهُ هَـطّـالـةٌ والـمـنـافِـعُ

إذا حُجبتْ تلك الفضائلُ أسْفَرتْ
وإن نُشرتْ.. فالطّيبُ في الأفْقِ ضائعُ

إذا حـاولـوا الإســرار.. فالسِرُّ ذائـعُ
وإن حَشدُوا الكتمانَ.. فالأمرُ شائعُ
هوَ البحرُ مهمَا كنتَ بالبحرِ جاهلاً
فشطآنُهُ مَـعـروفَـةٌ والـمـشـارعُ

***

أبـا الحجةِ المهديِّ حَسبُكَ رِفْعةً
يُـضـافُ إليها كـلُّ ما هَـوَ ناصِعُ
مـنـاقِـبُـكَ الـغَـرَّاءُ بـيـضٌ سَـوافِـرٌ
وذكْـرُكَ مَحْمُودٌ، وصَوْتُكَ ساجِعُ
شـمـوخٌ وإقـدامٌ وحَـزمٌ وعِـصْـمَـةٌ
وعِلْمٌ وحِلْمٌ.. والصِّفاتُ التوابعُ
إذا الليلُ أرخـى من شكُوكٍ سُدُوله
تـألَّـقَ بـرْقُ مِـنْ يَقيْنِكَ لامِـعُ[1]
وإنْ نَـزَلَـتْ بالمُسْلِمِيْنَ مُلِمَّةٌ
فرأيكَ يَجلُوْها.. وعَـزمُـكَ دافِـعُ
إغـاثـةُ مَـلـهـوفٍ، وتَنْفيسُ كُـرْبَـةٍ
وتعجيلُ بِـرٍّ.. فَضلُكَ المُتتابعُ
فكمْ لـكَ مِـنْ شَـوْطٍ أرادَ اسْتباقَهُ
مُغِذٌّ، ولمّا يَلْحَقِ الرَّكبَ ظالعُ

(١) كان الأئمة: الجواد والهادي والعسكري يلقب كلّ منهم بابن الرضا نظراً لشهرة الإمام الرضا (ع).

وكَــمْ مَــوْقِــفٍ فــي الله جــلَّ جلالُهُ
تقاصَرَ عَنْهُ مُبطيءٌ أوْ مُسارِعُ
سَبَقْتَ إلـيـهِ.. فاسْتَقامَتْ أصُولُهُ
وقـد رسختْ أسبابُهُ والـذّرائـعُ

***

زَهَــت بِـكَ سـامـرّاءُ بَــدْراً فـأَزْهَـرَتْ
ربُاها، وفاضَتْ بالسَّناءِ المَرابعُ
وطـاولـتِ الأرضُ الـسَّـمـاءَ بقُبَّةٍ
تُضمُّ على القَبْريْنِ مِنْها الأضالعُ
أطلَّتْ على الصَّحراءِ في بركاتِها
فماجَتْ سُهُولٌ، واسْتطالتْ مقالعُ
بها يَهتدي الـحَـيْـرانُ مِـنْ شُبُهاتِهِ
ويَـأمَـنُ ذُو خـوفٍ، ويَلجأُ فـازعُ
هُوَ العَدلُ، ما قَدْ شَيَّدَ العَدْلَ ثابتٌ
وفيما بَنَى الطُّغيانُ هَبَّتْ زعـازِعُ
تُـمَـيِّـزُ فينا كُـلَّ حَــقٍّ وبـاطِـلٍ
أيـاديـكُـمُ آثـارُهـا والـصَّـنـائـع
أقـامُـوا على كتمانِها واسْتتارِها
وهَلْ سَترتْ ضَوءَ النَّهارِ البراقعُ
فسارَ بها في مسْمَعِ الحقِّ ناطِقٌ
وأصغى لها مِنْ مَنْطقِ الصِّدقِ سامعُ

أحـــاديـــثُ مَـــجْـــدٍ لا تُـــمَـــلُّ رُواتُـــهـــا
وأسْـــــرارُ آيـــاتٍ لها الـــدَّهـــرُ ذائـــعُ
بها مِـــنْ (عـــلـــيٍّ) لَمْحَةٌ واسْـتـنـارةٌ
ومِنْ طَلْعةِ (الزَّهراء) شُهبٌ لَوامعُ

***

لقدْ صَوَّحَتْ دُورُ الخلائفِ وامَّحتْ
معالِمُها الفَيْحاءُ فهيَ بلاقعُ
فما (الجعفريُّ) اليومَ إلاَّ رُسُومُهُ
ولا (الجوْسَقُ) الجبَّار إلا فواقعُ[1]
قصورٌ بناها الظُلمُ.. فانْهدَّ رُكنُها
وقوَّضتِ الآســاسَ مِنْها الفظائعُ
مـــنـــازلُ قـــامَ الـــبُـــومُ فـــي خرباتِها
فـــذا نـــاعِـــقٌ فيها.. وذلـــك قـــابِـــعُ
بناها (بنو العباسِ) ذكْـــراً لِمُلْكِهمْ
فلا ذِكْرُهُمْ باقٍ.. ولا المُلْكُ راجِعُ
فما عاش (مُعْتَزٌّ) ، ولا (مُتَوَكِّلٌ)
ولا عادَ شيئاً (مُسْتضيءٌ) و(طائعُ)
وقُمْ واسألَنْ (خان الصَّعاليك) هَلْ ذَوى
على جَنْبِهِ غَصْنٌ مِنَ اللهِ فـــارعُ[2]

---

(١) الجعفري: قصر بناه المتوكل في سامراء، وسُمّي باسمه، والجوسق: قصر بناه المقتدر بالله في سامراء، في وسطه بركة مغلّفة بالرصاص سعتها ثلاثون ذراعاً في عشرين.

(٢) خان الصعاليك: أحد خربات سامراء، أنزلوا به الإمامين العسكريين إذلالاً لهما.

أضــاءَ بفضلِ (العسكريينِ) بَهوُهُ
وإنْ حـقَـرَتْ أكنافُهُ والمَواضِعُ

أرادُوا بِــهِ إذلالَــهــمْ واضْطهادَهُمْ
وهَيهاتَ ما ذلَّـتْ أُنــوفٌ فَــوارِعُ

وهــاتـيـكُـمُ عُـقـبـاهُـمْ، فقبابُهُمْ
ضَرائحُ قُــدْسٍ زَخْرَفَتْها البَدائعُ

مَـقَـاصـيـرُ حــقٍّ لـلـعـبـادةِ والتُّقى
فـذا سـاجِـدٌ فيها، وذلِــكَ راكِـعُ

***

أبـا الحجَّةِ المهديِّ أعْـظِـمْ بِنِسبَةٍ
يَتيهُ بها النادي، وتَعْنُو المجامعُ

أبُــوهُ هُــوَ الــهـادي ووالِــدُهُ الرِّضا
فّمّنْ ذا يُدانيهُمْ، ومَنْ ذا يُضارعُ٥

هُــمُ حُـجـجُ اللهِ الــذيــنَ بحبِّهُمْ
تنالُ الأمـانـي، أو تُــرَدُّ المصارعُ

أسـاطـيْـنُ عِـلْـمِ، بـلْ أئـمّـةُ رَحْـمَـةٍ
بهمْ سُنَنٌ طالتْ، وقامَتْ شرائعُ

هُـمُ شـيَّـدُوا الإســلامَ: هــذا مهاجِمٌ
بساحَتِهِ العُظمَى.. وهــذا مُدافعُ

وقدْ حَملوا القُرآنَ عَـدْلاً فأفْصَحَتْ
زَوَاجِـــرُهُ عــنْ كُنْهِها والـقـوارِعُ

إذا حَـدَّثُـوا.. فالمُحكماتُ نَواطقٌ
وإمّا رووْا.. فالصَّادقونَ المَراجعُ
لهم يَنْتَهي علْمُ الحَديْثِ.. ومِنْهمُ
على الكَوْنِ غطّى سَيْلُهُ المُتدافِعُ
فماجتْ دواويـنٌ، وقَـرّتْ مَـدارسٌ
وفاضتْ أسانيدٌ، وسالتْ مجامعُ
فمنْ واردٍ فيها على إثْـرِ صـادِرٍ
ومنْ صَـادِرٍ.. والنَّجمُ للنجمِ تابعُ

❊❊❊

أبـا الحُجَّةِ المهديِّ، ألْـفُ تحيَّةٍ
يُبلّغُها قَلْبٌ مِـنَ الوجدِ خاشِعُ
تـلـوحُ عـلـيْـهِ لـلـولاءِ أمـارةٌ
ويطْبَعُهُ في مَيْسَمِ الحُبّ طابعُ
يَلُومُونني في حـبّـكُـمْ.. وألُومُهمْ
على بُغْضِكُمْ.. يا بُعْدَ ما أنتَ صانِعُ
إذا زَانـت النادي أحاديثُ فَضلِكُمْ
تهشُّ أسـاريـرٌ.. وتهْفُو طبائِعُ
وإمّـا جَرى في النَّاسِ ذكْـرُ مُصابِكُمْ
أطَلَّتْ شُجُونٌ.. واسْتَهَلَّتْ مَدامِعُ
وإن شُمْت في التأريخ حِرْمانَ حَقِّكُمْ
تـأوَّبـنـي لَـيْـلٌ مِـنَ الـهـمِّ سافعُ

لقد دفَعتْكُمْ عَـنْ عُـلاكُـمْ معاشرٌ
لها اللهُ فـي يـوم القيامةِ دافِـعُ
وقـدْ نازَعَتْكُمْ في الإمـامَـةِ عُصْبَةٌ
يَطُولُ لها عِنْدَ الحسابِ التنازعُ
وقـد قارعَتْكُم بالسُّيوفِ.. وإنّما
لإطْـفـاءِ ديـنِ اللهِ ذاكَ التقارُعُ
وقـد مانَعُوكُمْ عـنْ حـقُـوقٍ كثيرةٍ
ففي ذمّـةِ التأريخ ذاكَ التمانعُ
وقـدْ أسْلَمُوْكُم للسجّونِ وللظُّبا
وقدْ خَذَلُوكُمْ.. والرماحُ شَـوارِعُ
مـصـائـبُ جُـلَّـتْ أنْ تُـعـدَّ وإنَّـنـي
بها ولها في الدَّهرِ يقظانُ هاجعُ

***

إلـيْـكَ أبـا المهْدي صُـغْـتُ فريدةٌ
إذا تُليتْ تَهْتَزُّ مِنها المَسامِعُ
إذا ذُكـرتْ فـي مَـحْـفَـلٍ لِـعَـدوِّكُـمْ
تَـطـاوَلُ مِنْهُنَّ السُّيوفُ القواطِعُ
تَـنـوءُ بِـمَـدْحِ المالكينَ عِصابَةٌ
وفي مَدْحِ أهلِ البيتِ شِعْريَ صادعُ
بأفْراحِهِمْ يَـشْـدُو، وعِنْدَ مُصابِهِم
مـقـاطِـعُـهُ مَـشـبُـوبـةٌ والـمَـطـالِـعُ

بأمْثالِها أرجـو الـخـلاصَ.. وربَّما

تَـدَاركَـنـي مِنْكُمْ مُجيرٌ وشافِعُ

وأنْتُمْ على (الأَعْـرافِ) قد تَعْرفونَني

غّـــداةَ غَـــدٍ.. والأمْـــرُ للهِ راجِـعُ

وديـــعـــةُ حُـــبٍّ لـلـنَّـبـيِّ وآلِـــهِ

سَتَحْفَظُني في يَـوم تَبلى الودائعُ

على ضَريحِ الإمام العسكري عليه السلام

نظمت والشاعر في طريقه إلى سامراء لزيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام وقد لاحت له القبة الشريفة، وقد خصّ الإمام الحسن العسكري شتاء عام ١٩٨٧ بالتّحية في هذه القصيدة شبه المرتجلة.

سـلامٌ عـلى الحـسن العسكري
سـلامٌ عـلى الـقَـمـرِ الأزْهَـرِ
على مـوْرِدِ الـذكـريـاتِ الـعِـذابِ
بِـمُـنْـعَـطَـفٍ طَـيِّـبِ الـمَـصْـدَرِ
يُـذكِـرُنـي بَـدويِّ الـسّـنـين
وصـوْتُ الـزَّمـانِ صَـدى الأعْصُرِ
سـليـلُ الـرسـالـةِ مِـنْ (هـاشـم)
ونَـبْـعُ الأصـالـةِ مِـنْ (حِـمْـيَـرِ)
وثِـقْـلُ الـنُّـبـوَّةِ مِـنْ (أَحْـمَـدٍ)
وعـبءُ الإمـامـةِ مِـنْ (حَـيْـدَرِ)
وصُـنْـوُ الـكـتـابِ بـآيـاتِـهِ
ومـا جـاءَ فـي ثـقـلِـهِ الأكْـبَـرِ

ومـا قـدم الـمُـخـلِـصـونَ الأُلـى
أطَـلُّـوا على هـامـةِ المُشتري

***

سـلامٌ عـلـى نَـبـعَـةٍ.. فَـرْعُـهـا
تَـدَلَّـى على أصْلِها الـمُـوقِـرِ(١)

مـنَ الـخـالـديـن.. فـمـن فـاتـحٍ
بفَيضِ الـدِّمـاءِ.. ومِـنْ مُحْصَرِ

ومِـنْ بـائـعٍ نـفـسَـهُ لـلإلـهِ
فِـدًى.. ولـمـرضـاتـهِ مُـشـتـرِي

ومِـن مُـثـقَـلٍ بـرسـيـفِ الـقُـيُـودِ
أزيـزاً.. ومِـنْ صَـابـرٍ مُـكْـثـرِ

ومِـنْ مُـكْـتَـوٍ بِلَظى (الدولتين)
ومِـنْ عِـلـمِـهِ فـوهـةُ الـكَـوثـرِ

ومِـنْ صـامِـدٍ بـرهـيـبِ الـسّـجونِ
يَـهـزأ مِـنْ حَـاكِـمٍ مفتري

ومِـنْ مُـرْغَـمٍ بـبـريـق الـعُـهُـودِ
وأمـرُ الـولايـةِ فـي مَـحـضِـرِ

ومِـنْ جـارعٍ لـنـقـيـعِ الـسُّـمـومِ
(جـوادِ) الحقيقةِ والـمَـخْـبَـرِ

(١) في هذا المقطع صورة صادقة في لمحات عما جرى لأهل البيت عليهم السلام والأئمة المعصومين ابتداءً بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وانتهاءً بصاحب الزمان عجل الله فرجه.

و(خـــان الصّعاليك) ضـمَّ الإمــامَ

ووالِـــــدَهُ.. فـي ثَـــرًى مُـقْـفِـرِ

وإن كـــان فـــي روْضَـــةِ الخالديْنَ

مِـــنْ غـائـبـيـنَ.. ومِـــنْ حُـضَّـرِ(١)

وتُـــمْـــلأ بــالــعُــرفِ فـي نَـجْـلِـهِ

كـمـا مُـلـئـتْ قَـبْـلُ بِـالـمُـنـكَـرِ

***

ســــلامٌ عـلـى الـحـسـن العسكري

وقَـــبْـــرٍ تَـضَـمَّـنَـهُ أنْـــوَرِ

ســــلامٌ عـلـى جَـــدَثٍ ضَـمَّـهُ

تـضـوَّعَ بـالـمِـسـكِ والـعـنْـبَـرِ

تـطـوفُ الـقـلـوبُ فـمِـنْ خُـشَّـعٍ

عـلـى جـانـبـيْـهِ.. ومِـــنْ سُـمَّـرِ

وتَـــحْـــيـــا الـــعُـــقُـــولُ بــــإمـــدادِهِ

فـتـصْـدرُ عَـــنْ مَـــورِدٍ أوْفَـــرِ

وتَـــهْـفـو الـنـفـوسُ إلـــى مـجـدِهِ

وتْـــســـمُـــو إلـــى عـــالَـــمٍ أوْقَـــرِ

(١) لمّا وصل الإمام الهادي وولده الإمام العسكري سامراء، أمر المتوكل العباسي أن ينزلا في خان الصعاليك. وقد روى الكليني بسنده عن صالح بن سعيد، قال: دخلتُ على أبي الحسن (ع) يوم وروده، فقلت: جعلت فداك في كلّ الأمور أرادوا إطفاء نورك، والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع (خان الصعاليك)، فقال: هاهنا أنت يا ابن سعيد، ثم أومأ بيده فإذا أنا بروضاتٍ وأنهارٍ جاريات، وجناتٍ فيها خيرات عطرات، وولدانٌ كأنهم اللؤلؤ المكنون، فحار بصري، وكثر تعجبي، فقال الإمام عليه السلام: حيث كنّا فهذا لنا يا ابن سعيد.. لسنا في خان الصعاليك.

تُباكِرُهُ مِنْ نَجيعِ الغَمامِ
شآبيبُ مِنْ صَيّبٍ مُمْطِرِ
فتكرَعُ مِنْهُ حياةُ الخلودِ
كؤوسَ الكرامةِ والمَفْخَرِ
وتَزدانُ فيهِ سماتُ الشُّموخِ
بمعْشَوْشَبِ النَّبعِ مُخْضَوْضِرِ
وتحضى العواطِفُ في زهوِها
على ضاحِكٍ مِنْهُ مُسْتَبْشِرِ
يُبَشِّرُها بنَعيمِ الجنانِ
ودارِ المُقامَةِ في المَحْشَرِ
وتَدْفَعُ في واجِمٍ حائِرِ
إلى حرمٍ آمنٍ أكْبَرِ
وحَسْبُكَ في بضْعَةِ المُصْطَفى
وأنْجالِها.. شَرَفُ العُنصُرِ
عُلُوُ الحياةِ.. وعِزُّ المماتِ
وصفْوُ الكرامةِ مِنْ مَصْدَرِ

(سامُرَّاءُ) في ظل الإمامين العسكريين عليهما السلام

نظم شاعر العرب الكبر الأستاذ محمد مهدي الجواهري قصيدته (رسالة مملّحة) تغنّى فيها ببراغ العاصمة الجيكوسلوفاكية، والتي يسمّيها الجيكيون (براها) ، ومطلعها:

وفَّـــى لـــهـــا نّــــــذراً فـــوافـــى

وســـعـــى بـــهـــا سَـــبـــعـــاً وطـــافـــا

وأجرى عليها مراسم الحج المعروفة بالطواف والسّعي، ورمي الجمرات، وذلك عام ١٩٦٩م، فعارضه الشاعر بهذه القصيدة، وتوجه بها إلى سامراء في ظل الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام.

هناك تشابه في الموقع بين براها وسامراء، وتقارب بعذوبة الهواء، وطيب المناخ.

لـــبّـــى بـــهـــا وســـعـــى وطـــافـــا

وإسْـتَـهْـجَـنَ (بـــراهـــا) مَطافا

مـــا اشْـــتـــاقَ تُـــربَـــتَـــهـــا.. ولا

(وفّـــى لـــهـــا نَـــــذْراً فـــوافـــى)

مــــنْ شـــــاءَ رمْـــيـــاً لـــلـــجِـــمـــارِ

فـفـي (مـنـى) انـتـظَـمَـتْ رِدافـــا

إنّ المناسكَ من أصولِ الـ

حجِّ.. تأبى أن تُضافا

وشعائرُ اللهِ التي

تَعظيمُها يَجِبُ أزْدلافا

ذيّاكَ من تقوى القلُو

بِ.. ومنْ تَجاوزَها أحافا

أنَّى نقيسُ بها الأعالي

مِنْ (براغ) والحفافا

وشواطئُ الغِيدِ الحسانِ

وقد ضَربْنَ بها الطُرافا[1]

وعرائسُ الفتياتِ تنْـ

تَظِرُ.. الخُطُوبةَ والزَّفافا

مَنْ كانَ لا يدْري الحقائقَ

كيفَ يُطلِقُها جِزافا

إنَّ العقيدة لا تُسامُ

ولا تُهانُ، ولا تُجافى

***

لبّى بها وسعى وطافا

وأبى عن الحق انحرافا

---

(١) الطراف: الخيمة والطنب.

وأقـــالَ مِـــنْ عَـــثَـــراتِـــهِ
وأنـــابَ للهِ اخْـتـــلافـــا[1]
أنـــا لا أُوافـــقُ (شـــاعـــرَ الـــ
عـــربِ) الـــذي اسْتحلى الزحافا
وهْـــوَ الـحـصـيـفُ (أبـــو فُـــراتٍ)
مـــا تـــغـــافـــلَ أو تَـــغـــافـــى
غَـــنَّـــى لـــمـــكّـــةَ والـحـطـيـــ
مِ وزمْـــزَم ودعَـــا وخـــافـــا
والـــمَـــسـجـدَ الأقـــصـــى تـعـا
هـــدَهُ و(حـــطّـيـنـــاً) و(يـــافـــا)
وحـــمـــى الـــعـــروبـــةِ كُـــلُّ صَـقْـــ
عٍ فـــيـــهِ شـــتّـــى أو أصـــافـــا
مـــا كـــان فـــي جُـــزُرِ (الـبـهـا
مـــا) و(الـــكـــناري) قـــدْ أطـــافـــا
لـــكـــنّـــمـــا هـــوَ شـــاعِـــرٌ
يَـسْـتَـحـلـبُ الـمُـتـعَ انـتـزافـاً
كـــلاً.. ولا اسْـتَـصـفـى نَـقـيـــ
عَ الـــسُّـــمِّ فـــي عَـــسَـــلٍ ودافـــا
أنـــا طـــفْـــتُ بـــالـــبـــيـتِ الـحـرا
مِ فـــكـــانَ حَـــجّـــاً واعْـتـكـافـا

(١)الاختلاف: المعاودة والمراجعة، والمراد هنا العودة إلى حضيرة القدس.

وبــظــلِّ أهـــلِ الــبــيْــتِ بُــيِّــ
ضَــتْ الـصـحـائـفَ والصحافا
وكـــذلـــكَ الـــرَّمْـــزُ الـــمُــقــدَّ
سُ لَـــنْ يُـــحـــافَ.. ولـــنْ يُعافا

***

لـــبّـــى بـــهـــا وســـعـــى وطـــافـــا
وبـقـى عـلـى الـعـهْـدِ انْعطافا
مُـــتـــرسّـــمـــاً نَـــهْـــجَ (الأئـــمّـــ
ةِ) لا الــضّــلالَ، ولا الخلافا[1]
عَـــمَـــرَ الـــحـــيـــاةَ بـفـضـلِـهـمْ
ورَوى الأحـــاديـــثَ الـلِـطـافـا
وأتـــى بـــهـــا حَـــضَـــريَّـــةَ الـــ
رُّؤيـــا سِـــمـــانـــاً، لا عِـجـافـاً
مُـــتَـــسَـــلْـــسِـــلاتٍ فـــي الـــحـــد
يـــثِ مُـــوثـــقـــاتٍ لا ضـعـافِـا
يَـــحْـــيَـــا بـــهـــا الـــجـــيـــلُ الـــذي
يَـسْـتَـافُ زَهْـرتَـهـا اقْـتـطـافـا
ويَـــرى الـــمـــثَـــقَّـــفَ أنْ يـــزيـــ
دَ بـــهـــا أســـنَّـــتَـــهُ ثـقـافـا
لَـــمْ يـــكْـــفِـــهِ عَـــبُّ الـــنَّـــمـــيـــ
ــرِ فـــراحَ يَـغـتَـرفُ اغْـتـرافـا

---

(١) المراد أئمة أهل البيت الاثنا عشر عليهم السلام.

والـــــوعْـــــيُ فـــي أُسْــلُــوبِــهِ
يَـسْـتَـقـطِـبُ الـنّـــاسَ التفافا
كــالـفَـجْـرِ يُــزْجــي مِـــنْ أشِـعَّـــ
ــتِــهِ.. ويـــــزدادُ انْـكـشـافـا
والـــحَـــقْـــلِ يُـــرْخـــي بـالـثّـمـا
رِ فـتَـسْـتـلـذُّ لــهـا قِـطـافـا
وكـــذاكَ (أهـــلَ الـبـيـت) فَـلْـسَـ
ــفَـــةً، وفِـــكـــراً واكْـتـشـافـا

***

لـــبّـــى بـــهـــا وســعـــى وطـــافـــا
وأقـــــامَ يـــأبـــى الإنـــصـــرافـــا
للهِ (ســــــامـــــــراءُ) قَـــدْ
ضَـمَّـــتْ مِـــنَ الـنَّـبْـعِ النّطافا
جَـــمَـــعَـــتْ إلـــى الــديـــنِ الـقـو
يـم بـهـا الـكـرامَـةِ والـعَـفـافَـا
وزَهَـــــــتْ أشــعَّــتُــهـا بـنُـو
رِ اللهِ يـــزْدَهِـــرُ ارْتِـصـافَـا
بـــالــعَـــســكَـــريَّـــيْـــنِ الإمـــا
مَـيْـنِ الـهُـمـامَـيـنِ إتِّـصـافـا[1]
الـــقـــائـــمـــيـــنِ بـــأمـــرِ ديــــ
ــنِ اللهِ وحـــيْـــاً وانـكـشـافـا

(١) العسكريان هما: الإمام علي الهادي وولده الإمام الحسن العسكري عليهما السلام.

والـــحـــامـــلـــيـــنِ رســـالـــةَ الـــ
إســـــلامِ لــــلأمَـــمِ ائــتــلافــا
والـــواهـــبـــيـــنِ حـــيـــاتَـــهُـــمْ
عِـلْـمـاً وحِـلْـمَـاً وانْـتِـصـافـا
أنِـــخِ الـــرِّكـــابَ بـعُـقـرِ سا
حَـتِـهِـمْ ربـيـعـاً واصْـطِـيـافـا
وتَـــعَـــهَّـــدِ الـــحـــرمَ الـشَّـريـ
ـفَ، وجـــدِّدَنْ فـيـهِ الـطَّـوافـا
وأقِـــمْ هـــنـــاكَ.. وقـــبِّـلِ الـــ
أعـــتـــابَ لَـثـمـاً واسْـتـيـافـا
حـــيـــثُ الـــمـــلائـــكـــةُ الـكـرا
مُ تَـــجِـــدُّ فـــي الأثـــرِ اقْـتـيـافـا
والـــعَـــفـــوُ والـــرَّحـــمـــاتُ تَـحْـــ
تَضِنُ المشارف والـمُـعـافـى(١)

***

لــبّــى بــهــا وســعــى وطــافــا
ورآكَ غـــايَـــتَـــهُ فـــوافـــى
يـــا أيُّـــهـــا (الـــهـــادي) الـعَـظـيـ
ـمُ سَـمَـوْتَ تـأريـخـاً أنـافـا(٢)

---

(١) المشارف: الذي أشرف على الموت والهلاك.

(٢)الهادي: الإمام علي الهادي عاشر أئمة المسلمين.

رجـــــلُ الإمـــــامـــــةِ والـــكـــرا
مَــــةِ مــالــئ الــدُّنــيــا هِــتــافــا
يــا نَــسْــمَــةَ الــسَّــحْــرِ الــتــي
مــسَّــتْ مِــنَ الــقــلْــبِ الشِّغافا
يــا نَــفْــحَــةَ الــفَــجْــرِ الــطَّــرُو
بِ تُــثــيــرُ أنْــفــاســاً لِــطــافــا
يــا نَــجَــمَــةَ الــصُّــبــحِ الــتــي
سُــلِــكَ الــطَــريــقُ بــهــا اعْتيافا
يــــا زَهْــــــــرةً لــلأُقــحــوا
نِ تــكــادُ تَــرتَــشِــفُ ارْتِــشــافــا
مَــــــوْلايَ يــا لُــطْــفَ الــرَّبــيــ
ــعَ ورَوْحَ نَــفْــحَــتِــهِ اسْتيافا
عــقــبــاكَ فــي دنــيــا الــخــلــو
دِ حــوتْ مِــنَ الــقِــيَــمِ الــطِــرافــا
قــد تَــوَّجــتْ سِــفْــرُ الــزَّمــا
نِ صــحــائــفــاً غِــــرَّاً ظِــرافــا
وأضـــــــــاءَتِ الإســـــلامَ نُــو
راً يُــمــحــقُ الــلــيْــلَ الــغــدافــا
ولأنْــــــــتَ فــيــمــا قــدَّمــتْ
كــفّــاكَ بــذْلاً واسْــتــلافــا
كــالــبــحــرِ فــي نــفَــحــاتِــهِ
يُــحــيــي الــشَّــواطــئَ والــضِّــفــاف

***

لـبّـى بـهـا وسـعـى وطـافـا
والـعُـروةَ الـوثـقـى اسْتضافا
فـي حَـضـرَةِ (الـحـسـنِ الـزكـيِّ)
وقُـدْسِ رَوْضَـتِـهِ أطـافـا(١)
يـا سـيِّـدي لـكَ فـي الـضـمـيـرِ
مَـكـانَـةٌ تـلـجُ الـشـغـافـا
تـتـرَصَّـدُ الـمـاضـي الـسَّـحيـ
ـقَ ومـا جـنـاهُ، ومـا أحـافـا
لَـهـفـي عـلـيـكَ وقـدْ حـنـاكَ
الـحُـكْـمُ ظُـلْـمـاً واعْـتـسـافـا
أرْداكَ فـي قَـعـرِ الـسُّـجـونِ
فـلا تـوافـي، أو تُـوافـى
وسـقـاكَ مِـنْ كـأسِ الـمـنـو
نِ عـلـى الـطـوى سُـمّـاً زُعـافـا
حـتّـى بَـدَتْ غُـلْـوَاؤهُ
فـأذاقَـكَ الـمـوتَ الـذُّعـافـا
نـفـسـي فـداؤكَ.. قـد قَـضـيْـ
ـتَ بـهـا غَـريـبـاً لا تُـكـافـى

---

(١) الإمام الحسن العسكري عليه السلام الحادي عشر من أئمة المسلمين.

ذَهَـــبَـــتْ بِــكَ (الــعُــشْــرو
نَ) ، وازْدادتْ (ثمانية) عجافا[١]
عَــظُــمَــتْ بـهـا بَــلْــوَاكَ أَعْــ
وامــاً مُــضَــرَّسَــةً جَـفـافـا
حــتّــى ذَوَتْ أَغْــصــانُــهـا
صَــفــراءَ نـاحـلـةً نِـحـافـا
وأرتْـــــكَ مِـــنْ ويْـــلاتِــهـا
الآلامَ مُـثْـقَـلـةً جـزافـا
كــالــتْ بِـصـاعَـيْـنِ اضْـطـهـا
داً واضْــطــرابـاً وارْتِـجـافـا
لــكــنَّــمـا الــعُــقـبـى بــأنْ
تــبْــقـى مَــنـاراً قـد أنـافـا

❋❋❋

لـــبّـى بــهــا وســعــى وطــافـا
يــتــأمّــل الــدنــيــا ادّلافــا
أيْـــنَ الأولـــى قــد دوَّخــوا الــ
آفــاقَ حَــيْـفـاً واقْــتـرافـا
ولّـــى (بــنُــو الــعـبـاسِ) والــ
أخــطــاءُ سُــوداً لا تُـلافـى
ذَهَـــبـــتْ حــيــاتُــهُــمُ وقــدْ
ذرَّتْ ريــاحُــهُــمُ تَــسـافـى

---

(١) إشارة إلى عمر الإمام الحسن العسكري فقد اغتيل، وعمره ثمانية وعشرون عاماً.

أيْـــنَ الـــقُـــصـــورُ الـشَّـاهـقـا
تُ تَـمـيـسُ بـالـبـذْخِ ائـتـرافـا
والأُنـــسُ والـــشَّـــهـــواتُ قـدْ
ضَـرَبَـتْ سُـرادِقُـهـا سِجافا
والـشَّـعـبُ يـلْـتَـحـفُ الـعَـراءَ
مِـنَ الـمـجـاعـاتِ الـتـحـافـا
يـغـفُـو عـلـى مـضَـضِ الـخُـطـو
بِ ويَـرْتَـعـي الـشَّـبَـحَ المخافا
وإذا اسْـتَـفـاقَ فـإنَّـهُ
يَـسْـتَـقـبلُ الـدَّمـعِ الـذّرافـا
يـتـربَّـعُ الـبـلـوى اضْـطـبـا
حـاً واغْـتـبـاقـاً واسْـتـلافـا
ويـكـابـدُ الأصـفـادَ والأغْـلا
لَ ذلاًّ وارْتـسـافـا
فـإذا أتـى ذكْـرُ الـطُّـغـاةِ
تَـصُـكُّ رجْـلاهُ اصْـطـفـافـا
ويـودُّ لـوْ أنَّ الـبـلادَ الـ
أُمَّ تَـنْـخَـسِـفُ انْـخـسـافـا
أغْـنـى الـعـوالـمَ فـي الـمـعـادنِ
شَـعْـبُـهـا يـحْـيَـا الـشِّـظـافـا
والـخَـصْـبُ (دجـلـةُ) و(الـفـرا
تُ) وأرْضُـهُ تَـشْـكُـو الجفافا

والـحـاكـمـونَ تـبَـشّـمـوا
خَـمـراً وغـيـداً واعْـتـلافـا
صُـفَّـتْ مـوائـدهُـمْ بـهـا (الـ
أسْـمـاكُ) تَـسْـتَـبِـقُ (الـخِـرافـا)
والـشَّـعـبُ يَـحْـلِـف بـالـرَّغـيـ
ـفِ يـكـادُ يُـخـتـطـفُ اخْتطافا

* * *

لـبّـى بـهـا وسـعـى وطـافـا
واسْـتَـعـرضَ الـوضْـعَ اقتيافا[1]
لَـهْـفـي عـلـى الـشَّـعـبِ الـمُـعَـذَّ
بِ لَـمْ يَـجِـدْ قُـوتـاً كفافا
ورأى حـيـاةَ الـحـاكـمـيـ
ـنَ تَـمُـوجُ بـالـتـرفِ انْـتـزافـا
تَـشْـكُـو أُنـوفُـهـمُ - مِـنَ الـ
تُّخماتِ والـضَـغْـطِ - الرُّعافا
وأَكُـفُّـهُـمُ كـالـرَّاجـمـا
تِ تُـعـاودُ الـنَّـهـبُ انـقـذافـا
وبُـطُـونُـهُـمْ كـالـهـاويـا
تِ كـأنَّ فـيـهـنَّ انـخـسـافـا
وجُـيـوبَـهُـم بـالـمـالِ تَـخْـ
ـتَـزنُ الـمـلايـيـنَ احْـتـرافـا

(١) عرض لمفارقات نظام الطاغية صدام حسين.

وغـنـائـمُ الـشَّـعـبِ اسـتـبا
حُـوهـا ثِـقـالاً أو خِـفـافاً
ومَـرافِـقُ الأعـمـالِ والـ
ـشَّـركـاتِ أسْـهُـمُـهـا تُـكافى
وتـقـاسَـمـوا مـا فـي الـبلا
دِ لَـهُـمْ ثَـلاثـاً وانْـتـصافا
لَـمْ يَـشْـبَـعـوا مِـنْ كُـلِّ شَـيءٍ
قَـطُّ وازْدادوا لـهـافا
حـتّـى الـهَـواء لَـو اسْـتـطا
عـوا مَـسْـكَـهُ.. مُـنِـعَ اسْتيافا
لَـمْ يَـبْـقَ إلاَّ اللهُ لـلـ
ـشَّـعبِ الـمُـضـيَّـعِ أنْ يُـلافـى

***

لـبّـى بـهـا وسـعـى وطـافـا
وأقـرَّ بـالـذَّنـبِ اعْـتـرافـا
هُـوَ ذلـكَ الـعَـبْـدُ الـذلـيـ
ـلُ أبـى لـغَـيْـرِكُـمُ ارتـسـافا
يَـرْضَـى بـحُـبّـكُـمُ بـأنْ
يُـحْـبـى مِـنَ الـعَـيْـشِ الكفافا
وسِـواهُ يِـسْـتَـصـفِـي بـهـا
الـعَـسَـلَ الـمُـصَـفَّـى والـسُّـلافـا

أُجَـــــراءُ بـــاسْـــمِ الـــدِّيـــنِ والـــ
ـــحُـكْـمِ اسْـتـبـاحُـوا مـا تَنافى
مِـــنْ مُـــعْـــجَـــمِ الألـــفـــاظِ للـ
ـفِـكْـرِ اقْـتَـنـوا راءً وقـافـا[1]
جَـــمُـــدوا ولـــمْ يَـــتَـــحـــرَّروا
وتَـحَـمَّـلـوا الـــوِزرَ المُضافا

***

لـــبّـــى بـــهـــا وســـعـــى وطـــافـــا
وتَـــحَـــمَّـــلَ الـــعـــبءَ ازْدلافـــا
هُـــوَ ذلـــكَ الـــجُـــنـــديُّ فـــي الـــ
ـحَـرِبِ اقْـتِـحـامـاً والْـتـفـافـا
يـــشْـــدُو بِـــذكْـــرِكُـــمُ رِثـــا
ءً، وامْـتِـداحـاً، واحْـتـرافـا
ويَـــغِـــذُّ فـــي خـــطـــواتِـــهِ
يـأبـى عَـنِ الـحـقّ انْـحِـرافـا
عـــرفَ الـــطـــريـــقَ إلـــيـــكُـــمُ
فـأقـامَ يُـحـيـي الاعـتـكـافـا
يـــتـــرَصَّـــدُ الـــعُـــقـــبـــى ويـــأْ
بـى فـي الـمـتـاهـاتِ انْـجـرافـا
يَـــرْجُـــو الـــنَّـــجـــاةَ بِـــكُـــمْ غـــدا
ةَ غَـدٍ.. ويـأمـلُ أنْ يُـعـافـى

---

(١) يعني أنهم اجتجزوا الرق فبقوا عبيداً.

عَصَفَتْ بِهِ الأمراضُ.. والـ

أملُ المُرَجَّى أنْ يُشافى

عادى عَدُوَّكُمُ وجافى

وحَبَا وليّكُمُ وصافى

وإذا أتى يَوْمَ الحَسا

بِ يُريدُ لُطفاً لا انْتِصافا

وغَداً على (الأعْرافِ) قد

يَحْظى بِقُربِكُمُ انْعطافا

يُغني القليلُ عَنِ الكثيـ

رِ، ويَسْتَقي (الحوضَ) اشْتفافا

(جولةٌ في آثار سامراء)

نظمت في ١٩٩٧/١٠/١ م لدى جولته في خرائب دور الخلائف: المعتصم، والمتوكل وسواهما من بني العباس.

وَقَـفْـتُ على دُورِ الخلائفِ وقْفةً
بها عَـبْـرَةٌ للمُتَّقينَ وتـذكـارُ

وكـمْ عِظَةٍ في الغابرينَ مِـنَ الأُلـى
أشـادُوا حياةً للفناءِ بها صـارُوا

قصورٌ بناها الظُّلمُ.. فانهارَ رُكْنُها
وكـلُّ بناءٍ شـادَهُ الظلْمُ مُنْهارُ

وغالى (بَنو العباسِ) في مستقرِّها
فبادتْ.. وهَلْ يَبْقى مَعَ الدَّهْرِ دَيَّارُ

وجـدَّدتِ (الآثـارُ) مِنها رُسُومُها
ولمّا تَزَلْ في رسْمِها، وهيَ آثارُ[1]

تَـبَـخَّـرَتِ الأحـلامُ بَـعْـدَ غُـرورهـا
ومـا بقِيَتْ إلاَّ الفضيحةُ والعارُ

❊ ❊ ❊

(١) عمدت مديرية الآثار العامة لتجديد دور الخلائف فما وفقت.

وَيَمَّمْتُ شَطْرَ العَسْكَرِيَّيْنِ فأَزْهَرَتْ

ضَـرائِـحَ فيها للمهابةِ أَسْـرارُ

وقُبَّةُ مَـجْـدٍ.. قد أَطَلَّتْ على الرُّبى

وشَعَّتْ لَها فَـوْقَ الجَزيرةِ أَنْـوارُ

وفَكَّرْتُ فيّ خانِ الصعاليكِ إذ ثَوَى

الإمـامـانِ فيهِ.. والمهازِلُ أدْوارُ

فأَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ يَـجـزي بِمِثْلِ ما

يُقدِّمُ في الدنيا.. وللبعثِ أَخْبارُ

تسامى كيانُ (العَسكريَيْنِ) واعْتلى

لَهُ شَـرَفٌ مِنْ دونِـهِ: التاجُ والغارُ

غَريبيْنِ كانا في الـديّـارِ.. فأَصْبحا

مِنَ العِزِّ: أَنْ تُحْنى رؤوسٌ وأَبْصارُ

خاتمة المطاف

كان من توفيق الله تعالى وعونه أن صاحبتُ ـ قدر المستطاع ـ المسيرةَ الرائعة للإمام أبي محمد بن الحسن بن علي العسكري (ع) في تثبيت أصول الفكر الإسلامي وترسيخ مبادئ أهل البيت على قاعدة صلبة من التخطيط الرائد والإمداد المستفيض والوعي النابض بالحياة والحركة، مقتدياً بآبائه المعصومين في خطواته العملاقة وتوجهاته الفريدة، بما يعدّه البحث منهجاً جديداً في العرض والمعالجة، ومؤشراً خلاّقاً في الأساليب المتطوّرة، مع الحفاظ تماماً على وحدة الهدف في إعلاء كلمة الله في الأرض، وإقرار الحقائق الخالصة مع عجيب صبره، وشدة المعاناة، بما تبين فيه دقة التقدير لدى الإمام، والتمرس في اكتشاف البعد الازدواجي لأحابيل السياسة العباسية، والقدرة الفائقة في خوض غمار الأحداث رغم التيار المعاكس الصارم ضد مشروع الولاية الإلهية، واستبدالها باستخلاف السلاطين من الأغمار والأغرار ممن لا يمتّ إلى الاسلام بصلة، ولا يمثل المناخ التشريعي للسنة النبوية، ولا يدور مع القرآن العظيم حيثما دار، ولكنه الهوى في الاختيار والهوس في ابتداع الأباطيل.

وقد استطاع الإمام الحسن العسكري عليه السلام بما أوتي من كفاية عالية ومؤهلات مثلى، أن يثبت كالطود الأشم في أحلك الظروف وأقساها

في وجه الانحراف العقائدي، وأن يصمد متطاولاً شاخصاً في مهبّ تلك الرياح العاصفة ليمسك برسالة السماء من كيد الظالمين.

وكان فيما قدّم من علمه الفيّاض، وما ابتكَرَهُ من أطاريح متنورة في إقرار مرتكزات الشريعة الغراء، وما جابه به موجات الاعتداء المشين على مقدسات الدين والأمة، وما اختطه من أساليب حديثة في التأصيل والعرض ومناهج الدعوة وفق تعليمات الآباء والأجداد الطاهرين، مثالاً بارزاً للنضال المستميت في الخطو الحثيث القاضي بضرورة العصمة وولاية الأئمة، وما اجتباه الله وحباه لتلك الصفوة المختارة في قيادة الأمة وتطبيق مراسم الإسلام، فكان في ذلك كله منظراً ولأبعاده الكبرى مؤصلاً، وهو يسعى لاستمرارية نظام الوعد الإلهي الحق في استخلاف المستضعفين في الأرض، فجدّد نيابة الوكلاء، وأكّد مرجعية الفقهاء، ومهّد لولده الإمام المنتظر عجل الله فرجه، وهو بهذا قد احتاط لدينه عاملاً، وأخلص لأمته داعياً، ونهض برسالته إماماً مفترض الطاعة، ولهذا وسواه كان عنوان هذا الكتاب «الإمام الحسن العسكري/ وحدة الهدف وتعدد الأساليب» مطابقاً للمعنّون، ومتحداً في الشكل والمحتوى فيما أقرّه الإمام عليه السلام من منهج، وما ابتكره من أساليب، وما اتخذه من احتياط، فبعث في الدين حيويته، وأبقى للإيمان شعلته المتوهجة، وأنار بثاقب فكره السبيل بين يدي السالكين.

وكما رأيت فقد تمّ إخراج هذه الرسالة في ستة فصول أساسية، عالجنا في الفصل الأول منها الأحوال الذاتية للإمام عليه السلام بعرض شذرات ثمينة من السيرة العطرة وقد حققتُ في النسب الشريف والولادة والكنى وما تبع ذلك. وعرضتُ لنشأة الإمام الرائدة في ظل أبيه الإمام الهادي عليه السلام، وقدمت النصّ على إمامته، وبحثت ظواهر الإمام في نفسه وذاته، وما اشترك به مع الأئمة من خصائص أهل البيت المشتركة،

ولحظت عبقرية الإمام في جلب الأعداء إلى حضيرة الأولياء. واستنبطت فلسفة العطاء الهادف عند الإمام مضافاً إلى كرمه النفسي بلمح غيبي، وأشارت بكثير من الإيجاز إلى الرأي الآخر في الإمام، واقتطفت نصوصاً متميزة في لغة التأريخ وألسنة الرواة وهي تقف عند الإمام، فكان الشيخ المفيد يتحدث، ورشيد الدين السروي يستدلّ، وكمال الدين الشافعي يذكّر، وسبط ابن الجوزي يروي، وعلي بن عيسى الأربلّي يقرر، وابن الصباغ المالكي يستند، وعلماء آخرون يجملون القول في الإمام وكان للمعاصرين آراؤهم في الإمام.

وبحث الفصل الثاني عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام في نقاط بارزة عُنيت بتداعي هيبة الحكم في عهده، وأشارت إلى حياة اللهو والعبث عند العباسيين، ونظرت في الاستئثار بالسلطان والمال وإمكانات الدولة، وأبانت عن إنكار الإمام عليه السلام لتلك المظاهر السلبية، وعرضت لموجات الانحراف في الاعتقاد وسموم الأفكار الوافدة على العباد، وأكدت على مجابهة الإمام بقوة وثبات لمشاريع التضليل العقائدي.

وبحث الفصل الثالث حياة الإمام وملوك البلاط العباسي، فتحدث عن سياسة الإمام تجاه الخط العباسي العام، وتناول حياة الإمام وما كابده في ولاية المعتز العباسي، وتولّى الكشف عن جرائر المعتزّ في سلوكه المنحرف، وأسلوبه اللاإنساني في اضطهاد الإمام ومحاولة قتله، وعرض لأيام المهتدي العباسي وسياسته الإجرامية ضد الإمام والعلويين، وفصّلَ القول مكثّفاً عهد المعتمد العباسي وسجون الإمام فيه، وفرض الرقابة القاتلة والرصد الدائم على الإمام حتى استشهاد الإمام على يديه، وألقى البحث بالضوء على مواصلة الإمام العسكري لمسيرته القيادية بكل ثبات وإصرار رغم كل الضغوط والمكاره والعقبات التي أحاطت به بلا انقطاع.

وكان الفصل الرابع خاصاً بالخطوات البناءة للإمام الحسن

العسكري عليه السلام في الإعداد والاستعداد لاستقبال ولده الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، موضحاً طبيعة التمهيد التدريجي لحقيقة صاحب الأمر بما لا يقبل الشك، ومبرمجاً للتخطيط الاستراتيجي في الإعلان عن ميلاد الإمام المهدي المنتظر أولاً بأول، وإزجاء البشارة لأوليائه بوجوده الشريف، والعمل على استمرارية نيابة الوكلاء عن الإمام، وتأصيل الخطوة المباركة في إقامة مرجعية الفقهاء للأخذ منهم، والتوجه إليهم، والوثاقة بهم، واعتماد شيعته عليهم، وقد عالج الإمام بعد هذا ومن خلاله فلسفة انتظار الفرج معياراً إيجابياً في العمل لظهور دولة الحق، وصيانة الدماء من السفك، والحفاظ على أرواح المؤمنين من الازهاق، والإبقاء على حياة أولياء أهل البيت آمنة مطمئنة، والضن بها عن القتل العشوائي والشرر الطائش.

وتناول الفصل الخامس في بحوث معمّقة تلك الصفحات المشرقة، من تراث الإمام العسكري رغم قصر حقبة ولايته الإلهية، فبحث موارد علم الإمام: الموهبي منها، والمكتسب روايةً عن آبائه المعصومين، وركّز على الدور الإيجابي لتلامذة الإمام في نشر علمه ومعارفه، وتناول نماذج من وصايا الإمام ورسائله بالبحث والمدارسة، ووقف عند إفاضات الإمام في دفع الشبهات والشكوك وقضايا الاعتقاد، وأشار إلى ما أُثر عن الإمام في تفسير القرآن الكريم، وما سيّره في ميادين الفقه المستند إلى موروث أهل البيت التشريعي، واختار الفصل طائفة من الألفاظ الجارية مجرى الأمثال في حكم الإمام الشاردة.

وكان الفصل السادس خاصاً باستشهاد الإمام الحسن العسكري، وقد تضمن عرضاً لعملية اغتيال الإمام مسموماً، وهو في صحة جيدة، لا شكوى لديه من مرض أو عارض، وكشف عن إجراءات النظام لإخفاء معالم الجريمة في التظاهر بتفقد الإمام والعناية بأحواله الصحية، لإبعاد

تهمة قتلهم له، وقد طوقوا داره بالحرس، وأشخصوا المتطببين، وأحضروا القضاة للإدلاء بشهادات الزور، وقاموا بتجهيزه ظاهراً، إلا أن البحث كشف حقيقة تجهيز الإمام والصلاة عليه من قبل ولده الإمام المنتظر.

وتحدث الفصل عما بعد وفاة الإمام من إفرازات مضنية شنيعة، تم معها ملاحقة عائلة الإمام وتفتيش حرمه، والسيطرة على ما في داره، والبحث الحثيث عن ولده، ومشاركة أخيه جعفر الكذّاب في هتك الحرمة، وادّعاء الإمامة، وأخذ الميراث، وإعانة السلطان في متابعة آثار الإمام، ورصد أتباعه بالمكاره والأذى، وإعطاء صورة وثائقية عن هذا المشهد بكل تفصيلاته المفجعة.

وألحق البحث في هذا الفصل ثلاث قصائد للمؤلف في الإمام الحسن العسكري: إشادةً وتحيةً ورثاءً وكرامةً.

وقد كان البحثُ مضنياً في توحيد شتاته وبرمجة معلوماته، وقد يكون غير مستوفٍ لحياة الإمام، ولكنّه جهد المقلّ وبضاعته المزجاة، وهو بَعْدُ نفحة من نفحات الإمام الروحاء تتعطر بأنفاسه، وقبسة من أضواء قيادته العليا للأمة في أحلك الظروف وأشدها عسفاً وجوراً، وقد انجلى حيالها ألق الجبين، فللّه درّه وصبره وثباته، وله ما أبقى من عظيم الأثر وجليل الذكر.

وأملي الكبير أن يحظى هذا العمل بالقبول لدى الإمام، عسى أن يكون لي وسيلة أتقرب فيها إلى الله رب العالمين، وهو حسبي ونعم الوكيل.

النجف الأشرف محمد حسين علي الصغير

كلية الفقه / جامعة الكوفة

ثبتُ المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن العظيم.

١. ابن الأثير/ أبو الحسن/ علي بن أبي المكارم محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠ هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة. طبعة القاهرة ١٣٨٠هـ.

٢. ابن الأثير (نفسه). الكامل في التاريخ. دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).

٣. ابن الأثير/ أبو السعادات/ المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ). جامع الأصول في أحاديث الرسول. تصحيح عبد المجيد سليم، ومحمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٤٩ هـ.

٤. ابن أعثم/ أبو محمد/ أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ). كتاب الفتوح. طبعة الهند ١٣٨٨ هـ.

٥. أحمد أمين:فجر الإسلام مطبعة دار الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة ١٩٥٥.

٦. أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ). مسند أحمد. دار صادر، بيروت (د.ت).

٧. أحمد عبد الباقي السامرائي (معاصر). سامراء طبع بغداد ١٩٨٩م.

٨. الإربلي/ علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣ هـ) كشف الغمة في معرفة الأئمة مطبعة النجف، النجف الأشرف ١٣٥٨ هـ.

٩. الأصبهاني/ أبو الفرج/ علي بن الحسين (٣٥٦ هـ) الأغاني تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٠. الأصبهاني (نفسه) مقاتل الطالبيين المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٩٥٦ م.

١١. آغا بزرگ الطهراني (أبرز علماء الببلغرافيا والتصنيف في القرن العشرين) الذريعة إلى تصانيف الشيعة طبعة النجف الأشرف، طبعة دار الأضواء، بيروت ١٤٠٦ هـ.

١٢. الأميني/ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (ت ١٣٩٠هـ). الغدير في الكتاب والسنة والأدب دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٦ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٣. باقر شريف القرشي (أستاذ في الحوزة العلمية في النجف الأشرف). حياة الإمام الحسن العسكري مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

١٤. البحراني/ هاشم الحسيني البحراني (ت ١١٠٧هـ). البرهان في تفسير القرآن المطبعة العلمية، النجف الأشرف ١٣١٤ هـ

١٥. البخاري/ أبو عبد الله/ محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) صحيح البخاري المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، القاهرة ١٣١٤ هـ.

١٦. البرقي/ أبو عبد الله/ محمد بن خالد (ت ٢٧٤، ٢٨٠ هـ) كتاب المحاسن دار الكتب الإسلامية، طهران (د.ت)

١٧. البلاذري/ أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) أنساب الأشراف دار المعارف، مصر، القاهرة ١٩٥٩م.

١٨. البيهقي/ إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠ هـ) المحاسن والمساوئ دار صادر بالاشتراك مع دار بيروت ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م.

١٩. البيهقي/ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) شعب الإيمان تحقيق: أبو هاجر محمد سعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٠. الترمذي/ محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ). سنن الترمذي نشر المكتبة الإسلامية، القاهرة (د.ت)

٢١. ابن تغري بردي/ جمال الدين/ أبو المحاسن الظاهري (ت ٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة طبعة وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة.

٢٢. التنوخي/ المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة تحقيق: عبود الشالجي، بيروت ١٣٩١ هـ.

٢٣. التوحيدي/ أبو حيّان/ علي بن محمد (كان حيّاً سنة ٤٠٠ هـ) الإمتاع والمؤانسة. تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، القاهرة.

٢٤. ابن تيمية/ تقي الدين/ أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت ٧٢٨هـ) منهاج السنة مطبعة القاهرة ١٣٢١ هـ.

٢٥. الجهشياري/ محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ) الوزراء والكتاب مطبعة المصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٥٧ هـ.

٢٦. ابن الجوزي/ أبو الفرج/ عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ) المنتظم في تأريخ الملوك والأمم تحقيق: محمد بن عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٧. الحاكم النيسابوري/ أبو عبد الله/ محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين مراجعة: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١ هـ، ١٩٩٠ م.

٢٨. حاجي خليفة/ مصطفى بن عبد الله المعروف بالكاتب الجلبي (ت ١٠٦٨ هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون دار إحياء الكتاب العربي، بيروت.

٢٩. ابن حجر/ شهاب الدين/ أحمد بن محمد بن علي الهيثمي المكي (ت ٩٧٣ هـ) الصواعق المحرقة القاهرة ١٣١٢ هـ.

٣٠. ابن حجر/ أبو الفضل/ شهاب الدين/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩ هـ.

٣١. ابن حجر (نفسه) تهذيب التهذيب دار الفكر، بيروت ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

٣٢. ابن حجر (نفسه) الإصابة في تمييز الصحابة دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).

٣٣. ابن أبي حديد: أبو حامد/ عزّ الدين/ عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦ هـ) : شرح نهج البلاغة تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٩ هـ.

٣٤. الحر العاملي/ محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة دار إحياء التراث، بيروت (د. ت)

٣٥. الحر العاملي (نفسه) إثبات الهداة المطبعة العلمية، قم.

٣٦. حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسي طبعة القاهرة

٣٧. حسن الصدر (من علماء الكاظمية المقدسة، ت ١٣٥٤ هـ) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام مؤسسة الأعلمي، بيروت (د. ت)

٣٨. الحموي/ ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ). معجم البلدان طبع القاهرة ١٣٢٣ هـ.

٣٩. حيدر الحسني (ت ١٢٦٥ هـ) عمدة الزائر بيروت ١٣٩٩ هـ

٤٠. الخطيب البغدادي/ أبو بكر/ أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) تاريخ بغداد دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت)

٤١. ابن خلدون/ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الأشبيلي (ت ٨٠٨ هـ) المقدمة تحقيق: الدكتور علي عبد الواحد، الطبعة الثانية، لجنة البيان العربي، القاهرة ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥ م

٤٢. ابن خلكان/ أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) وفيات الأعيان وأنباء الزمان تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٤٩ م.

٤٣. الخوئي/ أبو القاسم الموسوي الخوئي (المرجع الديني الأعلى الراحل، ت ١٤١٣ هـ) معجم رجال الحديث إخراج: مرتضى الحكمي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٣٩٠ هـ

٤٤. خير الدين الزركلي الأعلام الطبعة الثالثة، بيروت، ١٣٨٩ هـ

٤٥. أبو داود/ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) سنن أبي داود. القاهرة ١٣٧١هـ.

٤٦. الداودي النسابة/ جمال الدين/ أبو العباس/ أحمد بن علي الحسني (ت ٨٢٨ هـ) عمدة الطالب المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٠ هـ.

٤٧. الدميري/ كمال الدين/ محمد بن موسى بن (ت ٨٠٨ هـ) حياة الحيوان الكبرى دار القاموس الحديث، بيروت.

٤٨. دونلدسن (مستشرق أوربي) عقيدة الشيعة الترجمة العربية، القاهرة ١٣٦٥ هـ.

٤٩. الذهبي/ شمس الدين/ محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨ هـ) تذكرة الحفاظ المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٣ هـ

٥٠. الذهبي (نفسه) ميزان الاعتدال دار المعرفة، بيروت (د.ت)

٥١. الراوندي/ قطب الدين/ سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ) الخرائج والجرائح مطبعة مصطفى، طهران (د. ت).

٥٢. ابن الساعي/ تاج الدين/ علي بن أنجب (ت ٦٧٤ هـ). نساء الخلفاء تحقيق: د. مصطفى جواد، دار المعارف، مصر.

٥٣. ابن سعد/ أبو عبد الله/ محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ) الطبقات الكبرى دار صادر، بيروت ١٣٨٨ هـ.

٥٤. سبط ابن الجوزي/ يوسف بن فرغلي البغدادي الحنفي (ت٦٥٤ هـ) تذكرة الخواص المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٣ هـ

٥٥. السيوطي/ جلال الدين/ عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) تاريخ الخلفاء مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٠ م.

٥٦. الشابشتي/ أبو الحسن/ علي بن محمد (ت ٢٨٤ هـ) الديارات تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥١ م.

٥٧. الشبلنجي/ مؤمن بن حسن الشافعي المدني (ت أوائل القرن الرابع عشر) نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار مطبعة العاطف، القاهرة ١٣٨٤ هـ.

٥٨. ابن شعبة/ أبو محمد/ الحسن بن علي الحراني الحلبي (من أعلام القرن الرابع الهجري). تحف العقول عن آل الرسول تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٧٥ هـ.

٥٩. ابن شهراشوب/ أبو جعفر/ رشيد الدين محمد بن علي السروري (ت ٥٨٨ هـ) المناقب: مناقب آل أبي طالب. المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٧٥ هـ.

٦٠. الشهرستاني/ أبو الفتح/ محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) الملل والنحل مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٤١٠ هـ.

٦١. الصدوق/ محمد بن علي الحسين بن بابويه (ت ٣٨١ هـ) التوحيد

المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٣ هـ.

٦٢. الصدوق (نفسه) علل الشرائع المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٩٦٦ م.

٦٣. الصدوق (نفسه) من لا يحضره الفقيه تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النجف، النجف الأشرف ١٣٧٧ هـ.

٦٤. الصدوق (نفسه) الخصال دار التعارف، بيروت ١٣٨٩ هـ.

٦٥. الصدوق (نفسه) معاني الأخبار نشر جماعة المدرسين، قم، ١٣٦١ هـ، ش.

٦٦. الصفار/ محمد بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠ هـ) بصائر الدرجات الكبرى منشورات الأعلمي، طهران (د. ت)

٦٧. صلاح الدين/ خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) الوافي بالوفيات بيروت، ١٣٨١ هـ.

٦٨. ابن طاووس/ رضي الدين/ أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر الحسني (ت ٦٦٤ هـ) مهج الدعوات. طبعة طهران ١٣٢٣ هـ.ش

٦٩. الطبراني/ أبو القاسم/ سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ) المعجم الكبير مراجعة: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتب العلوم والحكم، الموصل ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م.

٧٠. الطبرسي/ أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٨٨ هـ) الاحتجاج دار النعمان، النجف الأشرف ١٣٨٦ هـ.

٧١. الطبرسي (نفسه) إعلام الورى بأعلام الهدى المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٩٠ هـ.

٧٢. الطبرسي/ أبو علي/ الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ) مجمع البيان في تفسير القرآن. مطبعة العرفان، صيدا ١٣٣٣ هـ.

٧٣. الطبري/ أبو جعفر/ محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) تاريخ الأمم والملوك المطبعة الحسينية، القاهرة ١٣٢٦ هـ.

٧٤. ابن الطقطقي/ تاج الدين/ محمد بن علي بن طباطبا الحسني (٧٠٩ هـ) الفخري في الآداب السلطانية طبع القاهرة ١٩٣٨م

٧٥. ابن طلحة/ كمال الدين/ محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٧١ هـ.

٧٦. الطوسي شيخ الطائفة/ أبو جعفر/ محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) تهذيب الأحكام تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، النجف الأشرف ١٣٧٧ هـ.

٧٧. الطوسي (نفسه) مصباح المجتهد المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف

٧٨. الطوسي (نفسه) الغيبة تقديم الشيخ آغا بزرك، مطبعة النعمان، النجف الأشرف

٧٩. الطوسي (نفسه) رجال الطوسي المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨١ هـ

٨٠. ابن طولون/ شمس الدين الدمشقي الأئمة الاثنا عشر طبع بيروت ١٣٧٧ هـ.

٨١. عباس محمد رضا القمي الكنى والألقاب المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٧٦ هـ.

٨٢. ابن عبد البر/ أبو عمر/ يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. مطبوع بهامش الإصابة، دار المعارف، القاهرة ١٣٥٨هـ.

٨٣. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٧ هـ) العقد الفريد تحقيق: أحمد الزين وآخرون، مطبعة دار التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٧ م.

٨٤. ابن عساكر/ أبو القاسم/ علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت ٥٧٣ هـ). تاريخ دمشق تحقيق محمد باقر المحمودي، دار التعارف، بيروت ١٩٧٠ م.

٨٥. ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب. القاهرة ١٣٥٠ هـ.

٨٦. علي الكوراني (من علماء جبل عامل، لبنان) جواهر التاريخ منشورات دار الهدى، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.

٨٧. علي الكوراني (نفسه) معجم أحاديث الإمام المهدي بيروت ٢٠٠١ م.

٨٨. علي الكوراني (نفسه) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي الطبعة الأولى بيروت ٢٠٠٦ م.

٨٩. فلهاوزن (مستشرق أوربي) الدولة العربية وسقوطها دار صادر، بيروت (د. ت)

٩٠. ابن قتيبة/ أبو محمد/ عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦ هـ) الإمامة والسياسة الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٢٥ هـ.

٩١. القلقشندي/ شهاب الدين/ أحمد بن علي بن أحمد المصري (ت ٨٢١ هـ) مآثر الأنافة في معالم الخلافة طبع الكويت، الأولى ١٩٦٤ م / والثانية ١٩٨٥ م.

٩٢. القمي/ أبو الحسن/ علي بن إبراهيم الأشعري الكوفي (من علماء القرن الرابع الهجري) تفسير القمي تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، النجف الأشرف ١٣٨٦ هـ.

٩٣. القندوزي/ سليمان بن إبراهيم الحنفي البلخي (ت ١٢٩٤ هـ) ينابيع المودة مطبعة أختر استانبول ١٣٠١ هـ.

٩٤. القهبائي/ عناية الله بن شرف الدين علي (من علماء القرن العاشر الهجري) مجمع الرجال طبعة طهران ١٣٨٤ هـ.

٩٥. ابن كثير/ أبو الفداء/ إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) البداية والنهاية طبعة مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦ م.

٩٦. الكشي/ أبو عمرو محمد بن عبد العزيز (من علماء القرن الرابع الهجري) رجال الكشي تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٩٧٠ م.

٩٧. الكليني/ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحق الرازي البغدادي

(ت ٣٢٩ هـ) أصول الكافي دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٣ هـ.

٩٨. الكليني (نفسه) فروع الكافي تحقيق: علي أكبر الغفاري، ونجم الدين الآملي، الطبعة الإسلامية، طهران ١٣٨٨ هـ.

٩٩. المتقي/ الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين (٩٧٥ هـ) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥ م.

١٠٠. ابن ماجة/ محمد بن يزيد الربعي القزويني (ت ٢٧٣ هـ) سنن ابن ماجة تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

١٠١. ابن المعتز/ عبد الله بن المعتز العباسي (ت ٢٩٦ هـ) طبقات الشعراء المحدثين تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م.

١٠٢. المجلسي/ محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ) بحار الأنوار تصحيح: محمد باقر البهبودي، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٥ هـ.

١٠٣. المجمع العالمي لأهل البيت الإمام الحسن بن علي العسكري مؤسسة التأريخ العربي، بيروت ٢٠٠٤ م.

١٠٤. محسن الأمين الحسيني العاملي الشقرائي (ت ١٩٥٢ م) أعيان الشيعة مطبعة الإنصاف، بيروت ١٣٦٨ هـ.

١٠٥. محسن الأمين الحسيني (نفسه) المجالس السنية/ ج ٥ مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٣٨٣.

١٠٦. محمد حسن آل ياسين (من علماء الكاظمية المقدسة) الإمام

الحسن بن علي العسكري المطبعة العربية، بيروت ٢٠٠٠ م.

١٠٧. محمد حسن الجواهري النجفي جواهر الكلام طبعة طهران ١٣٩٢ م.

١٠٨. محمد حسين علي الصغير (المؤلف) الإمام زين العابدين، القائد ـ الداعية ـ الإنسان. مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ.

١٠٩. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام علي الرضا، قيادة الأمة.. وولاية العهد. مؤسسة البلاغ، بيروت ٢٠٠٧ م.

١١٠. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام علي الهادي النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي مؤسسة البلاغ بيروت ٢٠٠٨م.

١١١. محمد حسين علي الصغير (نفسه) ديوان شعر (مخطوط)

١١٢. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام جعفر الصادق زعيم مدرسة أهل البيت مؤسسة البلاغ، دار سلوني ٢٠٠٤ م.

١١٣. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام محمد الباقر مجدّد الحضارة الإسلامية مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

١١٤. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م.

١١٥. محمد حسين الطباطبائي (من أعاظم مفسري القرآن في القرن العشرين) الميزان في تفسير القرآن مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة

الثالثة ١٣٩٣ هـ.

١١٦. محمد رضا المظفر (مؤسس كلية الفقه في النجف الأشرف ت ١٩٦٣ م). عقائد الإمامية مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٦٨ م.

١١٧. محمد عبده (ت ١٣٢٣ هـ) شرح نهج البلاغة طبعة دار الأندلس، بيروت (د. ت).

١١٨. محمد كاظم القزويني (من علماء كربلاء المقدسة) الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحد المطبعة العلمية، قم، ١٤١٣ هـ.

١١٩. محمد كرد علي الإسلام والحضارة العربية لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

١٢٠. المرتضى علم الهدى/ علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦ هـ) أمالي المرتضى تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي وشركاءه، القاهرة ١٩٥٤م.

١٢١. المسعودي/ علي بن الحسين بن علي البغدادي (ت ٣٤٦ هـ) التنبيه والإشراف دار المكتب المصرية، القاهرة (د. ت).

١٢٢. المسعودي (نفسه) إثبات الوصية المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

١٢٣. المسعودي (نفسه) مروج الذهب ومعادن الجوهر دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥ م.

١٢٤. مسلم/ أبو الحسين/ مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ) صحيح مسلم مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٣٣٤ هـ.

١٢٥. المفيد/ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ) الاختصاص المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٩٠ هـ.

١٢٦. المفيد (نفسه) الإرشاد المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٢٩ هـ.

١٢٧. المقريزي/ تقي الدين/ أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) النزاع والتخاصم المطبعة العلمية، النجف الأشرف ١٣٦٨ هـ.

١٢٨. الموفق الخوارزمي/ الموفق بن أحمد بن محمد المكي الحنفي (ت ٥٦٨ هـ) المناقب تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، قم، مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١١ هـ.

١٢٩. النجاشي/ أحمد بن علي بن أحمد (ت ٤٥٠ هـ) رجال النجاشي نشر جماعة المدرسين، قم ١٤٠٧ هـ.

١٣٠. ابن النديم/ أبو الفرج/ محمد بن إسحق البغدادي (ت ٣٨٥ هـ) الفهرست نشر الأستاذ فلوجل، لايبزك ١٨٧١ ـ ١٨٧٢، تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١ م.

١٣١. النعماني/ محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني (ت ٣٨٠ هـ) كتاب الغيبة تحقيق: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران.

١٣٢. أبو نعيم/ الحافظ أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠ هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء دار الفكر العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٣٣. هاشم معروف الحسني (من علماء لبنان) سيرة الأئمة الاثني عشر دار القلم، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م.

١٣٤. الهيثمي/ نور الدين/ علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.

١٣٥. اليافعي/ أبو محمد/ عبد الله بن أسعد اليمني (ت ٧٦٨ هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر من حوادث الزمان مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٠ هـ.

١٣٦. اليعقوبي/ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٤ هـ) تاريخ اليعقوبي تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٤ هـ.

١٣٧. أبو يعلى الموصلي المسند دار المأمون للتراث، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

المحتويات

